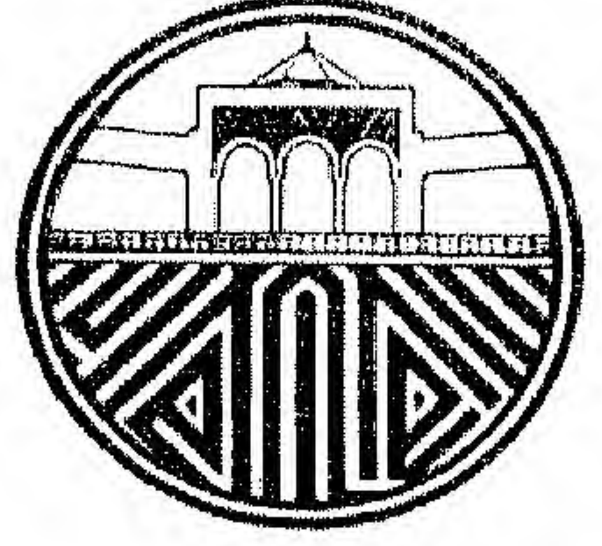
المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة نصوص ووثائق رقم 2



كتاب إثبات العلل

للإمام أبي عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي

تحقيق ودراسة : خالد زهري

كتاب إثبات العلل

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة نصوص ووثائق رقم 2



كتاب إثبات العلل

للإمام أبي عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي



تحقيق ودراسة : خالد زهري

تقديم : برند مانويل فايشر

الكتاب	:	**إثبات العلل**
المؤلف	:	أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي
المحقق	:	خالد زَهْري
سلسلة	:	نصوص ووثائق رقم 2
الناشر	:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
الغلاف	:	إعداد عمر أفا
الخطوط	:	بلعيد حميدي
الحقوق	:	محفوظة لكلية الآداب بالرباط بمقتضى ظهير 1970/07/29
التصفيف	:	أنسيف الزنايدي، هاتف: 73.07.22
الطبع	:	مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
التسلسل الدولي	:	1113-0342
ردمك	:	9981-59-007x
الإيداع القانوني	:	1998/786
الطبعة الأولى	:	1998

طبع هذا الكتاب بدعم من برنامج التعاون
بين كلية الآداب ومؤسسة كونراد أدناور

تقديم

نشكر خالد زهري الطالب الباحث في تخصص الفكر الإسلامي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط الذي سبق له أن قام بدراسة عميقة ومقارنة جيدة في أصول الاجتهاد بين أهل السنة والشيعة الإمامية لنيل دبلوم الدراسات العليا (الماجستير)، ويقدم لنا الآن بشكل ممتاز دراسة وتحقيقا لإحدى روائع التراث الإسلامي، وهي كتاب *اثبات العلل* للحكيم الترمذي، أحد أعلام القرن العاشر الميلادي والذي كان له دور عميق في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث كان بمثابة الوسيط بين الفقهاء والمتصوفة والفلاسفة في زمانه، مما حدا بالمستشرق بيرند راتكه (Bernd Radtke) الأستاذ في جامعة أوترخت (Utrecht) والمختص الغربي الأوحد الذي قام منذ ثلاثين سنة بدراسة عميقة لأفكار الحكيم الترمذي ومؤلفاته إلى أن يطلق عليه -بحق- لقب تيوسوف إسلامي (Theosophe).

وهذا واضح من خلال كتاب *اثبات العلل*، حيث نجده يفلسف الشريعة بالبحث عن أسرارها ومقاصدها. فالحكيم الترمذي يعتبر مؤسسا لفكر إسلامي قائم على أساس الإيمان الإسلامي المستند إلى العقل والعرفان حين يقوم بتحليل المسائل المعقدة في الشريعة التي أخذت شكلها النهائي في عصره. ولذلك، فإن أفكاره ونظرياته حول الشريعة وأسرارها من الأهمية بمكان؛ لأنها تقف شاهدة في عصره على التجديد التاريخي الذي خدم به الشريعة؛ مما يجعل ملاحظاته وتعليقاته الفلسفية والعرفانية تغني المناقشة الحالية التي تدور حول العلاقة بين الإيمان الشخصي لكل مسلم والأهمية الأساسية للشريعة في التنظيم الإسلامي لحياة المسلم.

وفي ختام هذا التقديم، لا يفوتني أن أنوِّه بنشر كتاب *اثبات العلل* الذي أثار ضجة كبيرة لدى فقهاء زمان الحكيم الترمذي كما أثار اهتمام الكثير من الباحثين والمستشرقين في عصرنا هذا باعتباره من أنفس ما أنتجه الفكر الإسلامي.

طنجة 7 مارس 1998

برند مانويل ڤايشر

مقدمة

كان أول اتصال لي بالحكيم الترمذي حين اقتنيت كتابه *الأكياس والمغترون*، فحدثني صديقي وزميلي الباحث الجامعي محمد عبدو أن له كتاباً فريداً كان مثار معاناته الفكرية والنفسية وهو كتاب *ختم الأولياء* لما تضمنه من أفكار عرفانية في النُّبُوَّة والولاية. ثم أمدني مشكورا - بعد فترة من الزمن - برقم مخطوط *اثبات العلل* الكائن في مكتبة برلين بألمانيا، مخبراً إيّاي بأنه في علم مقاصد الشريعة وأنه لم يحقق بعد على الرغم من أهميته. فسارعت إلى الاتصال بالمستشرق الألماني البروفيسور د. د. برند مانويل ڤايشر (Pr.DDR.Bernd M.Weischer) في محل إقامته بمدينة الرباط، حيث كنت أعرفه وأتصل به باستمرار منذ ردح من الزمن، وطلبت منه أن يعينني على الحصول على نسخة من المخطوط المذكور، فوجدت منه ترحاباً منقطع النظير. وعند المناقشة معه، ألفيته يلمّ إلماما واسعا بشخصية الحكيم الترمذي، وطفق يحدثني عن أفكاره وكتبه وتصوفه وعرفانه. وشجعني كثيرا على تحقيق المخطوط المذكور مؤكدا لي أن ذلك سيحقق قفزة نوعية في عالم تحقيق مخطوطات التراث الإسلامي، بسبب ما للكتاب من ميزة خاصة وأهمية قصوى.

وبعد مدة قصيرة، أمدني بميكروفيلم للمخطوط من برلين، ثم استخرجت منه الصور، فألفيته مشحوناً بالمطموسات. وعندما أطلعته عليه، أكَّدَ لي أنه لا يمكن الاعتماد على هذه النسخة بمفردها، فأعطيته رقم المخطوط في مكتبة ولي الدين بتركيا كنت حصلت عليه وأنا أقرأ ما كتبهُ الباحثون والمستشرقون عن الحكيم الترمذي. فكان أن استجاب لطلبتي وزودني بميكروفيلم من المكتبة المذكورة، ثم بشَّرني بأن الكتاب سينشر - بعد دراسته وتحقيقه - في إطار برنامج التعاون بين كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ومؤسسة كونراد أدناور (Konrad Adenauer).

وهكذا شرعت في دراسته وتحقيقه تحت إشرافه، فكان لي نعم المشرف الذي استفدت كثيرا من توجيهاته وإرشاداته العلمية الفذة. فلا يسعني إلا أن أقدم إليه جزيل الشكر وعظيم الثناء، وأزفّ إليه تقديري الكبير باعتباره مستشرقاً خدوما للتراث الإسلامي بكل موضوعية وعلمية بما لا نعهده في أهل هذا التراث إلاّ من رحم ربي وقليلٌ ما هم. كما لا يفوتني أن أقدم امتناني الكبير إلي مؤسسة كونراد أدناور؛ لما تقوم به من خدمة جليلة للتراث الإسلامي خاصة والإنساني عامة. فأدامها الله صديقة وفيّة للثقافة الإسلامية، وخادمة دؤوبة للتراث الإسلامي الذي أعرض عنه أهله، وتركوه فريسة سائغة للأرضة والديدان.

هذا، وإنني قد قسمت الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول سلطت فيه الضوء على حياة الحكيم الترمذي، وما تخللها من معاناة نفسية واجتماعية مما كان له كبير الأثر في إنضاج فكره وصقل سلوكه الصوفي، ثم عرجت على مصنفاته وما خلفته من تأثير عميق فيمن جاء بعده من أساطين التجربة الصوفية. أما المبحث الثاني، فضمّنته التحليل الصوفي والعرفاني لدى الرجل لبعض المفاهيم، والفكر المقاصدي لديه. ثم عالجت نسبة كتاب *اثبات العلل* إليه، وختمت ببيان طريقتي في التحقيق. والحمد لله رب العالمين.

خالد زَهْرِي

مدينة سلا في: 20 شعبان سنة 1418هـ

موافق: 21 دجنبر سنة 1997م

الدراسة

المبحث الأول

حياة الحكيم الترمذي :

لا يمكن الحديث عن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الترمذي بمعزل عن بلاد ترمذ[1] التي ينتسب إليها، فهي الإطار البيئي الذي نشأ فيه، والذي كان له كبير الأثر في صقل فكره وبلورة سلوكه الصوفي.

لقد كانت مرتعا خصبا للتصوف والمتصوفة حيث شهدت أعلاما من المتصوفة والعارفين، نذكر منهم في القرن الثاني الهجري : داود الطائي، وابراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي، وكلهم من أصل خراساني، إلا الأول فمن أصل عربي. فابن أدهم وشقيق قدما من بلخ[2]، وابن عياض من سمرقند[3] أومرو[4].

---

(1) يقول صفي الدين البغدادي في تحديد كلمة «ترمذ» نطقا وموقعا : «ترمذ: الناس يختلفون في هذا الاسم، والمعروف أنه بكسر التاء والميم، وأهل تلك المدينة متداول على لسانهم بفتح التاء وكسر الميم، وبعضهم يقول بضمها. وهي مدينة من أمهات المدن مشهورة، راكبة على جيحون من شرقيّه، متصلة العمل بالصغانيان لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم» (*مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع*: 1/ 259). وبلاد ترمذ هي المعروفة الآن بأوز بكستان.

(2) يذكر إسحاق بن الحسين أن مدينة بلخ هي قاعدة خراسان العظمى، وموضعها في وسطها، ويصفها صفي الدين البغدادي بأنها من أجمل وأشهر مدن خراسان ذكرا، وأكثرها خيرا، وأن بينهاوبين ترمذ اثني عشر فرسخا (انظر : *آكام المرجان*: 82، و*مراصد الاطلاع*: 1/ 217).

(3) يصف إسحاق بن الحسين مدينة سمرقند بأنها من أجمل البلدان وأعظمها وأشدها امتناعا وأكثرها رجالا، وأنها متاخمة لبلاد الترك، افتتحها قتيبة ابن مسلم في زمن الوليد وصالح ملكها. أما مدينة مروفيصفها بأنها من أجل كور خراسان، وأن أهلها أشراف من العجم، وبها قوم من العرب من الأزد، افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي في خلافة عثمان سنة إحدى وثلاثين (انظر : *آكام المرجان*: 74 و84).

(4) انظر عثمان اسماعيل يحيى في: *L'œuvre de Tirmidhi (essai bibliographique)* Louis Massignon: *Mélanges* , T.III, pp.413.

ونذكر في القرن الثالث الحكيم الترمذي[5]، وهو أيضا من خراسان[6] التي كانت تتموقع في شمال شرق الامبراطورية الإسلامية، والتي كان لها دور كبير في تشكيل الفكر الصوفي لدى المتصوفة المسلمين حتى لقبت بـ «مهد التصوف»[7]. كما كانت مركزا فكريا يضم الكثير من العلماء نذكر منهم المحدث الكبير أبا عيسى محمد ابن عيسى بن سورة الترمذي المعاصر للحكيم الترمذي[8]. كما نذكر منهم والد الحكيم الترمذي: علي بن الحسن الذي كان من رواة الحديث والمشتغلين به، وقد روى عنه ابنه[9]. ويفيدنا الباحثون أنه أخذ عنه علم الحديث[10].

ويذكر المستشرق نقولا هير أن المعرفة المفصلة الدقيقة لحياة الحكيم غير ممكنة، مقرراً أن أقدم ما وصل إلينا من حياته هي الترجمة التي سطرها في رسالته *بدو شأن أبي عبد الله*، وهي تشمل أخبارا عن صدر حياته مما لا يوجد في المصادر المتأخرة، ومنامات رأتها زوجه وأصحابه بشأنه العظيم[11].

وقد قرأت الرسالة المذكورة بتحقيق الدكتور عثمان إسماعيل يحيى؛ وهي مسطورة في مقدمة تحقيقه لكتاب *ختم الأولياء*. وتتكون من ثمانية عشرة صفحة[12]: الصفحات الست الأولى يحكي فيها الحكيم مسيرته العلمية، وتجاربه الروحية، ومعاناته النفسية والاجتماعية باختصار شديد؛ خصوصا اتهامه في دينه، أنه أخذ علم الحديث وعلم الرأي مذ بلغ الثامنة من عمره على يد شيخ؛ دون أن يحدد هوية هذا الشيخ: هل هو أبوه أم غيره؟ يقول: «كان بدو شأني أن الله - تبارك اسمه - قيض لي شيخي، رحمة الله عليه، من لدن بلغت من السن ثمانيا، يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه، ويدأب ذلك في المنشط والمكره، حتى صار ذلك لي عادة وعوضا عن اللعب في وقت صباي، فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي»: الصفحة 14.

---

(5) اختلفوا في تاريخ ولادته بين 205 و210 و215هـ موافق 820 و825 و830م، كما اختلفوا في تاريخ وفاته بين 295 و300 و320هـ موافق 905 و910 و930م.

(6) خراسان بلاد واسعة، من أمهات مناطقها: نيسابور، وهراة، ومرور، وبلخ، وطالقان، ونسا، وأبيورد، وسرخس (انظر: *مراصد الاطلاع*: 1/ 455-456).

(7) انظر: *L'œuvre de Tirmidhi (essai bibliographique)*: 412.

(8) انظر *نفسه*: 422.

(9) انظر: *تذكرة الحفاظ للذهبي*: 2/ 645.

(10) انظر: *الحكيم الترمذي الفقيه الناقد* لكامل محمد محمد عويضة: 5، لكن الحكيم الترمذي في سيرته الذاتية *بدو شأن أبي عبد الله* ذكر

(11) انظر نقولا هير في مقدمة تحقيقه لكتاب *بيان الفرق* للحكيم الترمذي: صفحة 3، وأيضا عثمان يحيى في: *L'œuvre de Tirmidhi*: 413-414.

(12) من الصفحة 14 إلى الصفحة 32.

وتلفيق تهمة ادعاء النبوة إليه، وطرده من ترمذ حيث توجه إلى بلخ ومكث بها ردحا من الزمن. ثم يخصص باقي الرسالة للحديث عن المنامات المبشرة بشأنه العظيم وخاصة منامات زوجته. كما يشير إلى رحلته إلى مكة للحج وهو في سن السابع والعشرين حيث توهّج إيمانه وهو في بيت الله الحرام، وعقد العزم على تصحيح التوبة وإخلاص العبادة لله، فعاد إلى وطنه مشحونا بالرغبة في الإكثار من الصلاة والصوم وقراءة القرآن وعمل القربات إلى أن اهتدى إلى طريق التصوف بعد وقوع كتاب لأحد أهل المعرفة اسمه الأنطاكي بين يديه؛ يقول واصفا حيرته الفكرية والسلوكية في غمرة هذا الإيمان المتوهج: «فأخذت أتتبع من الكتب محامد الرب، تبارك اسمه! والتقاط محاسن الكلام، من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة، وأسترشد في البلاد فلا أجد من يرشدني الطريق، أو يعظني بشيء أتقوى به، وأنا كالمتحير لا أدري أي شيء يراد لي. إلا أني أخذت في الصوم والصلاة فلم أزل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام أهل المعرفة، ووقع إلي كتاب الأنطاكي فنظرت فيه، فاهتديت لشيء من رياضة النفس. فأخذت فيها، فأعانني الله»[13].

ولدى ذكره للتهم الملفقة إليه، والمعاناة الواردة عليه في سيرته الذاتية المذكورة لم يشر إلى سبب ذلك، لكنه لا جرم يقصد كتابين له هما: *ختم الأولياء* الذي اتهم فيه بتفضيله للولي على النبي وبادعائه للنبوة، و*اثبات العلل* الذي علل فيه الشريعة تعليلا عقليا مخالفا بذلك الفكرة السائدة آنذاك وهي أن العبادات غير معقولة المعنى[14].

فإلى أي حد كان خصومه صادقين فيما اتهموه به من تفضيله للولاية على النبوة وفي ادعائه للنبوة؟

يقول الحكيم الترمذي في وصف معاناته النفسية والاجتماعية من هذه التهمة: «. . . فأصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات، وحُمل ذلك على غير محمله، وكثرت القالة، وهان ذلك كله علي. وسلط علي أشباه من ينتحلون العلم: يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون، وأنا في طريقي ليلا ونهارا

---

(13) *بدو شان أبي عبد الله*: 15.

(14) انظر الإشارة إلى ذلك في *تذكرة الحفاظ*: 2/ 645.

دؤوبا دؤوبا. حتى اشتد البلاء، وسار الأمر إلى أن سُعِيَ بي إلى والي بلخ، وورد البلاء من عنده، من يبحث عن هذا الأمر. ورفع إلي أنَ ههنا من يتكلم في الحب، ويفسد الناس، ويبتدع، ويدعي النبوة. وتقولوا علي ما لم يخطر ببالي، حتى صرت إلى بلخ، وكتب عليَّ قباله أن لا أتكلم في الحب. وكان ذلك من الله تبارك اسمه سببا في تطهيري، فإن الغموم تطهر القلب، وذكرت قول داود ﷺ أنه قال: يا رب! أمرتني أن أطهر بدني بالصوم والصلاة، فبم أطهر قلبي؟ قال: بالغموم والهموم يا داود»[15].

وللحسم في المسألة، وتبيُّن الصدق من الافتراء، والنباهة من قصور الفهم والإدراك، يلزمنا قراءة كتاب *ختم الأولياء* برمته، وتحليل خطابه تحليلا دقيقا وواعيا. لكن هذا الصنيع يستلزم بحثا مستقلا تعجز عن استيعابه هذه الدراسة.

ومهما يكن؛ فقد رجعت إلى الكتاب - مخطوطا ومطبوعا منشورا - وقرأته، فألفيت تلك التهمة عارية من الصحة ومجردة من الصدق، حيث إن الكتاب صريح في مواطن عدة بأفضلية النبي على الولي، وفي مواطن أخرى لم يُفهَم قصده فاحتاج إلى تأويل.

وفي تقرير ذلك نثبت قبيسة من *ختم الأولياء*: «قال قائل: أفليس في هذه الأخبار ما يدل على تفضيل مَن دون الأنبياء على الأنبياء؟! قال: معاذ الله أن يكون كذلك، ليس لأحد أن يُفَضِّل على الأنبياء أحدا. الأنبياء لهم نبوتهم ومحلهم. قال: فلمَ يغبطهم النبيون وليسوا بأفضل منهم؟ قال: قد تبين في الخبر لِمَ ذلك، قال: لقَربهم ومكانهم من الله»[16].

هذا وإن ابن تيمية المعروف بالنقد اللاذع واللسان الحديد الذي يسلق به التصوف والمتصوفة - وإن لم يفضِّلوا الوليَّ على النبي ولا ادعوا النبوة - أثنى خيرا على الحكيم الترمذي[17]، ولم ينتقد كتاب *ختم الأولياء* إلا انتقاداً خفيفا؛ إذ يقول: «وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء قياسا على خاتم الأنبياء، ولم

(15) *بدو شأن أبي عبد الله*: 17-18.

(16) *ختم الأولياء* (مخطوط ولي الدين رقم 770): ورقة رقم 25.

(17) انظر: *حقيقة مذهب الاتحاديين* لابن تيمية: 59-60.

يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع»[18]، ويقول: «ما ذكروه من خاتم الأولياء لا حقيقة له، وإن كان قد ذكره الحكيم الترمذي في كتاب *خاتم الأولياء*، فقد غلط في ذلك الكتاب غلطا معروفا عند أهل المعرفة والعلم والإيمان»[19].

وأنا لا أقصد إلى مناقشة ابن تيمية في كلامه هذا، فإنه ليس من غرضنا في هذه الدراسة، بل أقصد إلى إثبات أن ابن تيمية لو شمّ رائحة ما رُمي به الحكيم الترمذي في كتابه المعلوم، لَمَا توانى في جعله غرضا لتكفير الرجل وتفسيقه، والحال أن شيئا من هذا لم يقع.

وللحكيم الترمذي فرقة صوفية كانت تسمى «الحكيمية» نسبة إلى لقبه، وقد أفادنا الدكتور نقولا هير أن الهجويري خصّ هذه الفرقة بفصل كامل في كتابه *كشف المحجوب*[20]. ولا جرم أن أهل زمانه لقبوه بـ«الحكيم» و«حكيم ترمذ» لزهده وورعه وعلمه، كما لقّبه بذلك السابقون واللاحقون ممن ترجموا له أو شرحوا كتبه[21]. والحكيم: هو قائل الحكمة والعامل بمقتضاها، والحكيم الترمذي يعرّف الحكمة في كتابه *نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول* بقوله: «والحكمة باطن الأمور وأسرار العلم»[22]. وبناء عليه فهو يعتبر حكيما بحقّ لأنه كان حريصا في كتبه على تأكيد أن العلم الباطن هو المقصود من الشريعة، وأسرار الأحكام هي المبتغاة منها، وكتابه *إثبات العلل* يصب برمته في تقرير هذا المنحى الباطني في النظر إلى الشريعة، بل إنه يجسد الحكمة بالمعنى الذي حدده الترمذي، كما أن تحليله العميق للولاية والأولياء في كتابه *ختم الأولياء* تجعلنا نجزم أنه «من أساطين الحكمة الغيبية في الإسلام»[23].

---

(18) *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*: 39.

(19) *علم الحديث*: 271.

(20) انظر مقدمة نقولا هير في *بيان الفرق*: 7، وعثمان يحيى في *Mélanges*: I 411-412.

(21) ممن اهتم بكتب الحكيم الترمذي درسا وشرحا؛ الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه، ومن مصنفاته في هذا الشأن كتابه *الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم* حيث شرح فيه الأسئلة التي أوردها الحكيم الترمذي في كتابه *ختم الأولياء*.

(22) *نوادر الأصول*: «الأصل السادس والثمانون والمائتان في عشرة الحليم وتجربة الحكيم»: 2/ 409.

(23) عثمان يحيى في تقديمه لكتاب *ختم الأولياء*: 105.

ولمعرفة القيمة العلمية والعملية التي يتبوؤها شيخ ترمذ وحكيمها نورد بعض القبائس بشأنه.

فقد ذكره الحافظ الذهبي في كتابه *تذكرة الحفاظ* في الطبقة العاشرة من الحفاظ، وقال فيه: «الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف. روى عن أبيه، وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق، وصالح بن عبد الله الترمذي، ويحيى بن موسى خت، وعتبة بن عبد الله المروزي، وعباد بن يعقوب الرواجني، وطبقتهم، وعني بهذا الشأن ورحل فيه. روى عنه يحيى بن منصور القاضي والحسن بن علي وعلماء نيسابور[24]، فإنه قدمها في سنة خمس وثمانين ومائتين. قال السلمي: نفوه من ترمذ بسبب تأليفه كتاب *ختم الولاية*[25]، وكتاب *علل الشريعة*[26]، وقالوا: زعم أن للأولياء خاتما، وأنه يفضل الولاية، واحتج بقوله عليه السلام: يغبطهم النبيون والشهداء وقال: لو لم يكونوا أفضل منهم لما غبطوهم. فجاء إلى بلخ فأكرموه لموافقته إياهم في المذهب، قلت: عاش نحوا من ثمانين سنة»[27].

وذكره جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتابه *صفوة الصفوة* في فصل «ذكر المصطفين من أهل ترمذ»، وقال فيه: «يكنى أبا عبد الله، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة وكان يقول: ما صنفت شيئا لينسب إلي، ولكن كنت إذا اشتد علي وقتي أتسلى بمصنفاتي.

منصور بن عبد الله قال: قال محمد بن علي الترمذي: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر، لأن من برّك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك.

الحسن بن علي قال: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: من جهل أوصاف العبودية، فهو بجهل الربوبية أجهل.

---

(24) مدينة نيسابور من أعمال خراسان، وهي بلد واسع كثير الأكوار، افتتحها عبد الله بن عامر ابن كريز في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ثلاثين (انظر: *آكام المرجان*: 72).

(25) هذا خطأ منه، والصحيح: *ختم الأولياء*.

(26) أي كتاب *إثبات العلل*.

(27) *تذكرة الحفاظ*: 2/ 645.

أبو الحسن الفارسي قال: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، والمنافق حزنه في وجه وبشره في قلبه.

وقال: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لاتنقطع عنك نعمته، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه»[28].

وذكره يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه *جامع كرامات الأولياء*، وقال فيه: «محمد بن علي الحكيم الترمذي؛ قال المناوي: هو الإمام الشهير، الصوفي الكبير، أحد أفراد العارفين وأئمة العلماء العاملين، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية وعلم الإسناد. لقي أبا تراب النخشبي والبلخي وتلك الطبقة. وهو من أقران البخاري.

من كراماته أنه لما قام عليه معاصروه وكفروه، جمع كتبه كلها وألقاها في البحر، فابتلعتها سمكة ثم لفظتها بعد سنين، وانتفع الناس بها. وقال: «لا ينكر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله تعالى، فإن الكرامة إنما هي صنع الحق».

وقال الشعراني في *الأجوبة المرضية*: أخرجوا الشيخ أبا عبد الله الحكيم الترمذي أحد الأوتاد إلى بلخ حين صنف كتاب *علل الشريعة*، وكتاب *ختم الأولياء*، وأنكروا عليه بسبب هاذين الكتابين، وقالوا له: قد أوهمت الناس تفضيل الأولياء على الأنبياء، وأغلظوا عليه القول، فجمع الشيخ كتبه، ووضعها في صندوق، وألقاها في الدجلة في مرض موته، فخرجت يدان من الماء، فأخذت الصندوق، وقال: إن ملوك البحر أخبروني أنهم يحفظون كتبي حتى يخرجوها بين يدي الساعة، فيحيوا بها الشريعة بعد اندراسها. توفي سنة 255، ومثله في *كشف الظنون*، وقال المناوي: مات في حدود العشرين والثلاثمائة»[29].

كما ذكره اسماعيل باشا البغدادي في كتابه *هداية العارفين*، وقال فيه: «الحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسين[30] بن بشير المؤذن، المعروف بالحكيم الترمذي، المحدث الزاهد، المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين. قال في *تذكرة*

(28) *صفوة الصفوة*: 4/ 167-168.
(29) *جامع كرامات الأولياء*: 1/ 129.
(30) اختلفوا في اسم جده هل هو الحسن أو الحسين.

الحفاظ: قدم نيسابور سنة 285 ولم يذكر تاريخ وفاته[31]، من تصانيفه: *إثبات العلل للشريعة*، *ختم الأنبياء*، *ختم الأولياء*، *رياضة النفس*، *شرح الصلاة*، *غور الأمور*، *غرس الموحدين*، كتاب *الاحتياط*، كتاب *الفروق*، كتاب *المناهي في إثبات العلل*، *منهاج العبادة*، *المنهج*، *نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول*، وغير ذلك»[32].

فهذه النصوص المنقولة - وغيرها كثير - شهادات على إجماع علماء «معرفة الرجال» على القيمة العلمية الرفيعة، والمكانة الدينية العليّة اللتين كان يتسنمهما الحكيم الترمذي[33].

أما عن الكرامات التي نسبها فريد الدين العطار - المتوفى سنة 627 هـ - إلى الحكيم في *تذكرة الأولياء*، فقد شكك في صحتها نقولا هير لعدم ذكرها في الكتب القديمة[34].

وملاحظته هاته لا تخلو من واقعية ومصداقية، وقمين بنا أن نستحضرها أيضا في الحكم على السمكة التي التقمت كتبه لتلفظها بعد وفاته، أو اليدين اللتين خرجتا من البحر لأخذ صندوق الكتب على النحو الذي نقلناه قبل حين.

كما كان دقيقا في ملاحظته أن المتأخرين «من المؤرخين كالجامي المتوفى سنة 898هـ، والشعراني المتوفى سنة 973هـ، والمناوي المتوفى سنة 1031هـ، ودارشكوه المتوفى سنة 1056هـ، فلا يأتون بجديد عن الترمذي»[35].

---

(31) هذا يؤكد اضطراب المؤرخين في وفاة الحكيم الترمذي، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة 255هـ، ثم نقل عن الحافظ الذهبي قدومه إلى نيسابور سنة 285هـ. وعلى أية حال فقد اختُلف في تاريخ وفاته كما سبق ذكره، فينضاف إلى سنوات وفاته المختلف فيها سنة 255 وسنة 285.

(32) *هداية العارفين*: 2/ 15-16.

(33) انظر المزيد من تلك الشهادات في الكتب التالية: *طبقات الشافعية الكبرى* للسبكي: 2/ 245، و*التعرف لمذهب أهل التصوف* للكلاباذي: 22-47. و*طبقات الصوفية* للسلمي: 51، و*حلية الأولياء* لأبي نعيم: 1/ 233، و*الطبقات الكبرى* للشعراني: 1/ 78، و*نتائج الأفكار القدسية* لزكريا الأنصاري: 1/ 164، و*الأعلام* للزركلي: 2/ 156، و*تذكرة الأولياء* لفريد الدين العطار: 91. و*مفتاح السعادة* لطاشي كبرى زادة: 2/ 171، و*نفحات الأنس* للجامي: 131.

(34) انظر: مقدمة *بيان الفرق*: 7.

(35) نفسه: 9-10.

ومما له صلة وثيقة بحياة الحكيم الترمذي علاقته بالملامتية؛ فهل أوصلته حكمته العرفانية إلى سلوكها أم كان لها من الرافضين.

يذكر كثير من الباحثين أن الحكيم الترمذي تأثر بالملامتية فكرا وسلوكا؛ لورود مفاهيم الحزن والاضطراب واللوم الشديد للنفس، والأحوال والكرامات في مصنفاته[36]. لكن المستشرق «نقولا هير» ينكر تأثره بالملامتية؛ يقول: «لم ينتسب الترمذي إلى طائفة الملامتية، بل تناول أصولها بالنقد، ولكنه كان وثيق الصلة ببعض من ينتمون إليها. وقد كان أحد هؤلاء تلميذاً له، وهو أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني (الجرجاني) الذي ورد ضمن سند للسلمي في «رسالة الملامتية»»[37].

واستند في إنكاره هذا إلى مكاتبة الترمذي إلى أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري، وهو أحد ثلاثة أسسوا مذهب الملامتية، ومحمد بن الفضل البلخي وهو صديق حميم لأبي عثمان. ويذكر أنه لا يزال من هذه المكاتبة رسالة إلى أبي عثمان ورسالتان إلى محمد بن الفضل بين كتب الترمذي المخطوطة. وهو في هذه الرسائل يأخذ على مُرَاسِلِيْه دوام الانشغال بمعرفة عيوب النفس وعاداتها المسترسلة بما يشغل عن معرفة الله، وإن كان يقر بوجود مصائب النفس[38].

كما أحالنا السيد «هير» في تقرير مُدّعاه إلى كتاب *الأكياس والمغترون* في الصفحات 95-98 من مخطوط الظاهرية[39].

وقد رجعت إلى كتاب *الأكياس والمغترون*، فقرأته ووجدت الأمر كما قرره. ولتأكيد ذلك سأنقل نصين للحكيم من «فصل: في الصادقين»؛ يقول: «فهؤلاء السائرون يسيرون إلى الله تعالى، ويقتضون الصدق من أنفسهم في السير، وجعلوا عيوب الناس علمهم وحديثهم، فبقوا مع هذا الحديث، ومع الاستقصاء على

---

(36) انظر مثلا: Geneviève Gobillot: "Patience et Gratitude selon al-Hakim al-Tirmidi", *Studia Islamica*, T.LXXIX , pp. 53-54 ,1994.
- Geneviève Gobillot:" Un penseur de l'amour (*Hubb*) le mystique khurasanien al-Hakim al-Tirmidi": *Studia Islamica* , T.LXXIII , pp.26-27,1991.

(37) مقدمة تحقيقه لكتاب *بيان الفرق*: 10.

(38) انظر نفسه: 10-11.

(39) انظر نفسه هامش الصفحة: 10.

أنفسهم في طلب العيوب، واستخراج مكامنها، تكايسا وتحذلقاً في الكلام، فوقعوا في ظلمة الاغترار. هذا علمهم ورأس مالهم، فلا يزالون الشهر والدهر ينقرون ويبحثون عن خدع النفس في باب المعرفة، وفي شأن الوصول إلى الله تعالى، فيقولون هذا عيب وعلمك بهذا العيب عيب، والتفاتك إلى هذا العلم عيب. كلام مسلسل كأنه من كلام الشياطين يغترون، ويغرون الناس بأنه نداء دقيق كلام العارفين. فلو أن إنسانا قعد ففكر في خبث النفس ودهائها، فلما اطلع على خبث مكامنها اتخذه علما وكتبه، فلا يزال هذا شأنه عمره، إذن لَمَلأ بيته ودنياه كتبا وقولا وحقيقة، وهو في غرور عظيم. وقد عجز عن النظر إلى منن الله تعالى، وإلى اختيار الله، وإلى علم تدبيره عن علم الله»(40).

ويقول في نفس الفصل: «وهؤلاء المغترون بقوامع النظر في عيوب النفس، فلا يزالون يفكرون في خيانتها، وما يعرفون من أنفسهم في الجريرة والدهاء. فيصيرونها علما وكتبا؛ يبثون في الناس مشغلة للقلوب وقطعا للطريق على المريدين، وخيانة لحق الله عز وجل»(41).

كما رجعت إلى مقدمة الدكتور عثمان إسماعيل يحيى لتحقيقه كتاب *ختم الأولياء*؛ حيث كَشْفُ بداية ونهاية مجموعة رسائل ليبزيج واستنبول، فألفيت البداية والنهاية للرسائل التي أشار إليها نقولا هير تنسجم مع الحكم الذي أصدره. وأرى لزاما علينا أن نثبتها في هذا المقام للمزيد من البيان والوضوح:

- «الرسالة الثامنة ومائة: ورقة رقم: $\frac{أ}{140}$ $\frac{ب}{141}$

عنوان: مسألة

بداية: قال، وكتب إلى أبي عثمان سعيد النيسابوري رحمه الله جواب كتابه: سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد: فإن هذه النفوس مبناها على سبع [الأصل: السبع]: على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشك والشرك والغفلة...

---

(40) *الأكياس والمغترون* للحكيم الترمذي: 80-81.

(41) *نفسه*: 82.

نهـاية: . . . «فـاعلم أنه لا إله إلا الله»، فـاقـتـضـاه علـم هذا كله [الأصل: الكله]، وقـد كـان علـم قـبل ذلك منه مـا علم. ولـم يزل صلى الله عليـه وسلـم يزداد علما إلى أن فارق الدنيا»(42).

- «الرسالة الحادية والتسعون: ورقة رقم: أ 129 ب 130

عنوان: كتاب من الري

بداية: قـال الإمـام أبو عـبـد الله: سلام عليك ورحـمـة الله، وصـل كـتـابك. وذكرت: «إني مشتاق إلى رؤيتك العزيزة». . .

نهاية: . . . وقال رسول الله ﷺ: «البسوا نعالكم فإنها جمالكم»(43).

- «الرسالة الرابعة والسبعون: ورقة رقم: ب 66 ب 66

عنوان: رسالـة أبي عبد الله محمـد بن علي الترمذي رحمهُ الله إلى محمد بن الفضل رحمه الله.

بداية: بسـم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلم. سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وأدام الله لك العافية والسلامة، وزاد في نعمـه عندك. . . وصل كتـابك أبقاك الله تعالى وفـهـمتُه. فأما مـا ذكـرت من معـرفة النفس وقلة أمانتها. . .

نهـاية: . . . فـأحب أن تَنْتَبه، فـقـد جـاءت الحـقـائق، وذهبت الشكوك من الانتبـاه، والناس في غـفلة، والهلاك لمن استقـبل أمرالله بالمناصبة. فأنا حذر لهذا الباب، فأحذرك لشفقتي عليك ونصحي لك. وأسأل الله تعالى توفيقك ورشدك. والسـلام عليك ورحـمـة الله تعـالى وعلى إخـواننا من قـبلك. تم الكـتـاب والرسـالة بحمد الله وصلى الله على محمد وآله»(44).

- «الرسالة العشرون: ورقة رقم: ب 15 ب 17

---

(42) مقدمة عثمان يحيى: 76، وقـد ذكـر ضـمـن مجموعة رسائل ليبزيج رقم 212 (القسم العربي: D.C.339).

(43) نفسه: 71.

(44) نفسه: 65-66.

عنوان: كتب الإمام أبو عبد الله رحمة الله عليه إلى محمد بن الفضل جواب كتابه.

بداية: فأما ما ذكرت أكرمك الله من المصايب: فمصايب النفس كائنة ولكنها تهون في جنب مصايب القلوب وأن من أعظم مصايب القلوب حجبها عن الله...

نهاية: ... فخرجوا من الدنيا عطاشا... لأنهم عجزوا عن احتماله أيام الدنيا من أجل النفوس والهوى والعدو. وجعلنا الله وإياك من أهل ذكره والسعادة به. آمين يا رب العالمين»[45].

فالبدايات والنهايات في الرسائل المذكورة تشهد لما ذهب إليه السيد «هير»، وقد تابعه في ذهابه هذا السيد عثمان يحيى[46].

لكنني حين رجعت إلى رسالة الحكيم الترمذي الموسومة بـ: *بدوشان ابي عبد الله*؛ ألفيت فيها تعبيرات ليست بغريبة عن الملامتية، بل إنها من صميمها. وسأورد نصين من الرسالة تقريراً لما قلناه؛ يقول: «وألهمت منع الشهوات نفسي، حتى صرت كأني أعلم على قلبي الشيء بعد الشيء؛ حتى ربما كنت أمنع نفسي الماء البارد، وأتورع عن شرب ماء الأنهار، فأقول: لعل هذا الماء جرى في موضع بغير حق. فكنت أشرب من البير، أو من الواد الكبير. ووقع علي حب الخلوة في المنزل والخروج إلى الصحراء، فكنت أطوف في تلك الخربات والنواويس حول الكورة، لم يزل ذلك دأبي. وطلبت أصحاب صدق يعيونني على ذلك فعزّ علي، فاعتصمت بهذه الخربات والخلوات»[47]، ويقول: «فتواترت علي الغموم، حتى وجدت سبيلا إلى تذليل نفسي، فكنت أراودها على أمور قبل ذلك من طريق الذلّة، فتنفر ولا تطاوعني، مثل ركوب الحمار في السوق، والمشي حافيا في الطرق، ولُبْس الثياب الدون، وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء، فيشتد علي ذلك. فلما أصابتني هذه المقالة والغموم، ذهبت شرّة نفسي، فحملت عليها هذه الأشياء، فذلت وأطاعت، حتى وصل إلى قلبي حَلاوة تلك الذلة»[48].

---

(45) نفسه: 46.

(46) انظر نفسه: هامش الصفحة 39.

(47) *بدوشان ابي عبد الله*: 15-16.

(48) نفسه: 18.

فما السبيل إلى التوفيق بين رسائله في النهي عن الاستغراق في الملامتية، وبين ما حكاه عن نفسه من سلوك لا يختص به إلا أرباب الملامتية؟

هل كان ذلك السلوك ضروريا في بداية مسيرته الصوفية لتطهير القلب وصقل الروح، ثم الإعراض عنه للتفرغ إلى معرفة الله تعالى أو أنه نهى عن الإغراق في الملامتية؟ أما الالتزام بها بالقدر الذي يطهر النفس ويساعد على السير في طريق معرفة الله، فليس فيه بأس.

الجواب عن هذه الأسئلة يحتاج إلى دراسة متخصصة في التنقيب عن ملامح ومعالم الملامتية في كل كتب الحكيم ورسائله، وربط ذلك بمحيطه البيئي والثقافي، فلنعرض عنه الآن للحديث عن مؤلفاته وتأثيرها فيمن جاء بعده من أرباب الأحوال وعلماء القلوب.

مؤلفات الحكيم الترمذي وتأثيرها في غيره:

إن الحكيم الترمذي في التصنيف مكثار، والمطبوع منها لا يبلغ معشار المخطوط، أما المحقق منها فنزر يسير. وقد أقام الدكتور عثمان إسماعيل يحيى فهرسا وافياً لمصنفات الحكيم في الجزء الثالث من مختارات المستشرق لويس ماسينيون[49]، وأضاف إلى الفهرس المذكور ما جَدَّ له من وثائق عن مؤلفاته في مقدمة تحقيقه لكتاب *ختم الأولياء*[50]. كما نشر نقولا هير سنة 1958م في مقدمة تحقيقه لكتاب *بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب* ثَبتاً بمؤلفاته[51]، وتكلم المستشرق الألماني بيرند راتكه (Bernd Radtke) بتفصيل على مصنفات الحكيم حيث ذكر منها المخطوط، والمنشور، والمفقود، وما نسب إليه وليس له، وما كان من أفكاره لكن بأسلوب تلامذته أو غيرهم، مع تسليط الضوء على مضمون هذه

---

(49) انظر: Louis Massignon: *Mélanges*, T.III, pp.411-480.

(50) انظر الصفحات: 39-92 (مجموعة ليبزيج ومجموعة استنبول).

(51) انظر الصفحات: 13-29.

المصنفات[52]. لكن أهم المصنفات التي تستحق الذكر - في نظري- بسبب ما أثارته من ضجة حول الرجل ومعتقده قديما وحديثا؛ مصنفان هما: *ختم الأولياء* و *اثبات العلل* كما بينا عند الكلام على حياته.

الكتاب الأول حققه أحسن تحقيق الدكتور عثمان إسماعيل يحيى، وكانت طَبَعَتْهُ المطبعة الكاثوليكية في بيروت، والكتاب الثاني هو محل دراستنا وتحقيقنا. ولا جرم أن دراسة هذا الكتاب في المبحث الثاني من هذه الدراسة سيكشف لنا المزيد من الجوانب الفكرية والعلمية والسلوكية للرجل. لكن قبل تسليط الضوء على ذلك أجدني مضطرا إلى الحديث عن تأثير مؤلفاته فيمن جاء بعده من أقطاب التصوف وأساطين السلوك، وبما أن الحديث في ذلك ذو شجون، فسأقتصر على حجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

يذكر الدارسون لشخصية الحكيم الترمذي والباحثون في التراث الضخم الذي خلفه؛ أنه لم يكن له مريدون كُثْر، حيث يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة بقليل؛ وهم:

1- أبو محمد يحيى بن منصور القاضي من محدثي نيسابور.

2- منصور بن عبد الله بن خالد الهروي.

3- الحسن بن علي الجوزجاني.

4- أحمد بن محمد بن عيسى

5- أبو بكر ابن الوراق الترمذي

6 - أبو بكر محمد بن جعفر بن الهثيم[53].

لكن مما لا ريب فيه أن تأثيره عن طريق كتبه ورسائله فيمن جاء بعد وفاته كان واسعا وعميقا. فيذكر نقولا هير وعثمان يحيى أن الغزالي قد تأثر به في *احياء علوم الدين*، وابن عربي في *الفتوحات المكية*، و *الجواب المستقيم عما سأل عنه*

---

(52) انظر:
Bernd Radtke, *Al-Hakim at-Tirmidi: ein islamischer théosoph des 3./9. Jahrhnnderts*: pp.1-38.

(53) انظر عثمان يحيى في تقديمه لكتاب *ختم الأولياء*: 37، وكامل محمد محمد عويضة في كتابه *الحكيم الترمذي الفقيه الناقد*: 51-52.

الترمذي الحكيم الذي شرح فيه أسئلة *ختم الأولياء*، *وشرح المسائل الروحانية في كتاب ختم الأولياء*، وابن قيم الجوزية الذي ينقل فقرات من *كتاب الفروق* للحكيم في كتابه *الروح*، وبهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية، والشيخ ضياء الدين عمّار بن محمد عمّار البدليسي المتوفى سنة 590 هـ، وغيرهم كثير[54].

وقد كنت أودّ الكشف عن معالم ذلك التأثير في كل شخصية من الشخصيات الصوفية المذكورة، لكن هذا مما تأباه طبيعة هذه الدراسة، وسأقتصر في ذلك على شخصية الإمام الغزالي الذي كثر في شأنه اللغط كما كثر في شأن الحكيم الترمذي.

يذكر نقولا هير أن الإمام الغزالي استفاد من كتاب *الأكياس والمغترون* للحكيم الترمذي في آخر الربع الثالث من *إحياء علوم الدين* حين تكلّم على الغرور[55]. وتابعه في ذلك عثمان يحيى في مقدمة تحقيقه لكتاب *ختم الأولياء*[56].

وهما لا جرم يقصدان ربع المهلكات[57] في الكتاب العاشر الموسوم بـ: «كتاب ذم الغرور»[58].

لكنني أضيف أن الغزالي في *الإحياء* تأثر بكثير من مصنفات الحكيم كما تدل عليه عناوين الكتب المكوِّنة للإحياء. وبمقابلة بعض هذه الكتب ببعض كتب الحكيم ينكشف المقصود كما سأوضح في الجدول التالي:

---

(54) انظر نقولا هير في مقدمة *بيان الفرق*، 11-12. وعثمان يحيى في مقدمة *ختم الأولياء*: 37-38، وأيضا:
L'œuvre de Tirmidhi : T.III - pp.411-412.
- Louis Massignon: *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*: T.II - pp.246.

(55) انظر: *بيان الفرق*: 11-12.

(56) انظر الصفحة: 38.

(57) يتكون *إحياء علوم الدين* للغزالي من أربعة أرباع: ربع العبادات، فربع العادات، فربع المهلكات، ثم ربع المنجيات.

(58) انظر: *إحياء علوم الدين*: 3/ 399-436.

بعض كتب الإحياء للغزالي	بعض كتب الحكيم الترمذي
1) من ربع العبادات :	
● كتاب العلم	● بيان العلم . ● أدب العالم والمتعلم. ● كتاب العلوم. ● أبواب في صفة العلم . ● علم الأولياء.
● كتاب أسرار الصلاة . ● كتاب أسرار الزكاة . ● كتاب أسرار الصيام . ● كتاب أسرار الحج .	● إثبات العلل. ● علل العبادات. ● الصلاة ومقاصدها. ● الحج وأسراره. ● سبب التكبير في الصلاة. ● باب في حقيقة بسم الله.
● كتاب الأذكار والدعوات . ● كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .	● درجات الذكر ومراتب الذاكرين. ● من كلامه في الذكر. ● كتاب في الأدعية
2) من ربع العادات :	
● كتاب أحكام الكسب .	● آداب المريدين وبيان الكسب. ● مسألة في شأن الرزق.
3) من ربع المهلكات :	
● كتاب رياضة النفس .	● غور الأمور ● الرياضة وأدب النفس. ● مكر النفس. ● أسرار مجاهدة النفس. ● شفاء العلل
4) من ربع المنجيات :	
● كتاب الصبر والشكر .	● مسألة في الصبر. ● مسألة في الشكر والصبر
● كتاب النية والصدق .	● مسألة في النية.
● كتاب التفكر .	● كتاب المناجاة .
● كتاب التوحيد والتوكل.	● كتاب التوحيد.

كمـا أن الإطلاع على باقي كـتب الغـزالي من غـيـر *الإحياء* تكشف عـن تأثره العـمـيق بالحكيم التـرمـذي، ومـثـال ذلك أن كـتـاب *الأكياس والمغترون* للحكيم الترمذي، وكتاب *الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين* للإمام الغزالي يجريان في واد واحـد، ويتناولان مـواضيع مـتناظرة، ويهـدفـان إلى مقـصـد محـدَّد؛ وهو التـحـذير من آفـة الغـرور والرياء التي تتـسلل في الأعـمـال الصـالحـات فتكون من المهلكات من حيث يُظن أنها من المنجيات. والمقابلة بين فهرستي الكتابين توضح ما أصبو إلى بيانه:

كتاب *الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين*	كتاب *الأكياس والمغترون*
بيان أصناف المغرورين وأقسام كل صنف:	
• الصنف الأول من المغرورين: العلماء • الصنف الثاني من المغرورين: أصحاب العبادات والأعمال	• فصل في الوضوء • فصل في الصلاة • فصل في طلب العلم • فصل في النكاح • فصل في مجاورة البيت • فصل في تلاوة القرآن • فصل في بناء المساجد
• الصنف الرابع من المغرورين: المتصوفة	• فصل في ميدان الدعاة • فصل في المريدين • فصل في الصادقين • فصل في ميدان المتقين
• الصنف الثالث من المغرورين: أرباب الأموال	• فصل في الاحتيال في إبطال الشفعة • فصل في الأشربة

وكتاب *الإحياء* الذي تنبه نقـولا هيـر إلى أن الغزالي تأثر في جـزء منه بكتـاب *الأكياس والمغترون*؛ لا أستبعد أن يكون أيضا قد استوحى منه العنوان [أي *إحياء علوم الدين*]، حيث نجد الحكيم الترمذي في «فصل: في طلب العلم» يقول في المغتـرّ بطلب العلم: «... ولا طلب إقـامـة حق الله، أو *إحياء دين الله*[59].

(59) *الأكياس والمغترون*: 49.

ولا جرم أن الغزالي كان غرضه الأساس في كتابه المذكور هو إحياء دين الله؛ كما يدل على ذلك عنوانه، وكما يقول في مقدمته: «رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياءً لعلوم الدين»[60].

علاوة على أن الغزالي تناول بين ثنايا مصنفاته فصولا وأبوابا تناولها الحكيم قبله، لكن في مصنفات مستقلة. فمثلا للحكيم الترمذي كتاب *بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب*، والغزالي عقد في كتابه *روضة الطالبين وعمدة السالكين* بابا سماه: «الباب السادس في بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل». وفي كتابه *كيمياء السعادة* خصص فصلا بعنوان «فصل في معرفة القلب وعسكره»، وللحكيم كتاب *آداب المريدين*، والغزالي عقد فصلا في كتابه *الأدب في الدين* وسمه بـ «آداب الصوفي». وللحكيم كتاب *الأعضاء والنفس*، والغزالي عقد في *كيمياء السعادة* فصلا سماه: «فصل في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء»، وفي كتابه *الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية* فصلا سماه: «وجه تعلق الروح بالبدن»، وفي كتابه *معارج القدس في مدارج معرفة النفس* فصلا سماه: «بيان أن النفس قد تحتاج إلى البدن وقد لا تحتاج إليه». وفي كتابه *ميزان العمل* فصلا سماه: «بيان مراتب النفس في مجاهدة الهوى والفرق بين إشارة الهوى والعقل»، وللحكيم كتاب *العقل والهوى*. والأمثلة كثيرة جدا في ذلك يضيق المجال عن ذكرها برمتها.

بل إننا نلمس الغزالي متأثرا أيضا بالاستعارات والمجازات والكنايات والتشبيهات التي كان يصيغ بها الحكيم الترمذي كلامه في الكشف عن مرامه وبيان مقصوده؛ نأخذ هذه العبارة: «فمن جمع الله تعالى فيه كلا الفقهين[61]، فهو الكبريت الأحمر، والعالم الأكبر، واللبيب الأوفر»[62]، ونقارنها بمقولة الغزالي في كتابه *جواهر القرآن*: «. . . ولعلك تقول: أشرت في بعض أقسام العلوم إلى أنه يوجد فيها الترياق الأكبر، وفي بعضها المسك الأوفر، وفي بعضها الكبريت الأحمر، إلى غير ذلك من النفائس»[63]، وفي مقدمة كتابه قال عند تقسيمه للكتاب وبيان

---

(60) *الإحياء*: 10/1.

(61) أي فقه الظاهر وفقه الباطن.

(62) *بيان الفرق*: 78.

(63) *جواهر القرآن*: 48.

فصوله: «الفصل السادس في معنى اشتمال القرآن على الكبريت الأحمر، والترياق الأكبر، والمسك الأذفر، وسائر النفائس والدرر، وأن ذلك لا يعرفه إلا من عرف كيفية الموازنة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت»[64]، فالقبيستان صنوان من حيث الصياغة والأداء إلا اختلافا يسيرا؛ إذ يستنكف اللبيب عن نقل عبارات غيره بعجرها وبجرها. ونلفي الغزالي يكثر من عبارة «جنود القلب»[65]، وهي عبارة يكثر الحكيم الترمذي من استعمالها في مصنفاته، ونصادفها كثيراً في كتابه *اثبات العلل*[66]، ونماذج ذلك من الكثرة بحيث لا يضبطها قانون العدّ والحصر.

وقبل الانتقال إلى المبحث الثاني نورد ثبْتا مختاراً لبعض مؤلفات الحكيم الترمذي المنشورة. أما المخطوطة فهي من الكثرة، بحيث يعسر إيرادها.

1- *آداب المريدين وبيان الكسب*: تحقيق عبد الفتاح بركة.

2- *أدب النفس*: تحقيق A.J.Arberry وعلي حسن عبد القادر، القاهرة 1947.

3- *أسرار مجاهدة النفس*: تحقيق إبراهيم الجمل.

4- *الأكياس والمغترون*: تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح والسيد الجميلي، القاهرة 1990.

5- *الأمثال من الكتاب والسنة*: تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1975.

6- *بدو شان أبي عبد الله*: نشر وترجمة. B. Radtke, "Tirmidiana Minora", in *Oriens* 34 (1994) 242-298.

7- *بيان الفرق بين الصدر والقلب الفؤاد واللب*: تحقيق N.Heer، القاهرة 1958.

ترجمة: N.Heer, "A sufi psychological treatise", in: *The Muslim World* 51 (1961) 25-36, 81-91, 163-172, 244-258.

8- *تحصيل نظائر القرآن*: تحقيق حسني نصر زيدان، القاهرة 1970.

---

(64) نفسه: 15.

(65) انظر مثلا: كتاب «شرح عجائب القلب» من *الإحياء*: 3/ 6-9.

(66) انظر مثلا: «ذكر علة الصوم».

9- جواب كتاب من الري: تحقيق : B.Radtke، بيروت وشتوتكارت، 1992 .
ترجمة : B.Radtke, *Drei Schriften des Theosophen von Tirmid*, Beirut-Stuttgart, 1996.

10- جواب المسائل التي سأله أهل سرخس عنها: تحقيق وترجمة : B.Radtke, *Drei Schriften des Theosophen Von Tirmid*, Beirut-Stuttgart, 1996.

11- الحج وأسراره: تحقيق حسني نصر زيدان، القاهرة 1970 .

12- ختم الأولياء: تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، بيروت 1965 .

13- الرد على الرافضة: تحقيق A.S.Turat, in Savkiyat Mecunuasi 6 (1966) 37-46.

14-أ- رياضة النفس: تحقيق A.J.Arberry وعلي حسن عبد القادر، القاهرة، 1947 .

ب- رياضة النفس: تحقيق عبد المحسن الحسيني، الاسكندرية، 1946 .

15- سيرة الأولياء: تحقيق وترجمة B.Radtke, *Drei Schriften des Theosophen Vom Tirmid*, Beirut -Stuttgart, 1996.

16- الصلاة ومقاصدها: تحقيق حسني نصر زيدان، القاهرة، 1965 .

17- العقل والهوى: تحقيق A.S.Turat, in savkiyat Mecunuasi 5 (1965) 119- -133.

18- علم الأولياء: تحقيق سامي نصر لطف، 1983 .

19- الكلام على معنى لا إله إلا الله: تحقيق محمد ابراهيم الجيوشي، القاهرة.

20- مسائل التعبير: تحقيق وترجمة : A.J.Arberry; in: *RSO* 18 (1940) 320-327.

21- المسائل المكنونة: تحقيق محمد ابراهيم الجيوشي، القاهرة، 1980 .

22- معرفة الأسرار: تحقيق محمد ابراهيم الجيوشي، القاهرة، 1977 .

23- *منازل العباد من العبادة*: تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، القاهرة، 1988.

24- *المنهيات*: تحقيق محمد زغلول، بيروت، 1985.

25- *نوادر الأصول*: نشر إستنبول، 1294هـ.

وهذه بعض الدراسات باللغات الأجنبية، و المتعلقة بفكر الحكيم الترمذي وتصوفه:

1. Radtke, Bernd, *Al-Hakīm at-Tirmiḏī. Ein islamischer Theosoph des 3./9. Jahrhunderts*, Freiburg 1980.
2. Radtke, Bernd, *Drei Schriften des Theosophen von Tirmiḏ*. Erster Teil: Die arabischen Texte, Bibliotheca Islamica 35 a, Beirut-Stuttgart 1992.
3. Radtke, Bernd, *Drei Schriften des Theosophen von Tirmiḏ*. Zweiter Teil: Übersetzung und Kommentar, Bibliotheca Islamica 35 b, Beirut- Stuttgart 1996.
4. Radtke, Bernd, «Al-Hakīm at-Tirmiḏī, ^{c}arif min al-qarn at-ṯāliṯ al-ḥigrī», in *RAAD* 53 (1979) 1-11.
5. Radtke, Bernd, «A Forerunner of Ibn al-^{c}Arabi: Hakīm Tirmiḏī on Sainthood», in *Journal of the Ibn ^{c}Arabi Society* 8 (1989) 42-49.
6. Radtke, Bernd, «Der Mystiker Al-Hakīm at-Tirmiḏī», in *Der Islam* 57 (1980), 237-245.
7. Radtke, Bernd, «Tirmiḏiana Minora», in *Oriens* 34 (1994), 242-298.
8. Radtke, Bernd, «Theologen und Mystiker in Ḫurāsān und Transoxanien», in *ZDM6* 136 (1986), 536-569
9. Radtke, Bernd, «The Concept of Wilāya in Early Sufism», in L. Lewisohn (Ed.), *Persian Sufism: From the Beginning to Rūmī*, 483-496, London 1994.
10. Radtke, Bernd & O'Kane, John, «The Concept of Sainthood», in *Early Islamic Mysticism*, London 1996.
11. Geyoushi, Muhammad Ibraheem, «Al-Hakīm at-Tirmiḏī: His Works and Thoughts», in *The Islamic Quarterly* 14, 1970, 159 ff.
12. Geyoushi, Muhammad Ibraheem, «Al-Tirmiḏi's Theory of Saints and Sainthood», in *The Islamic Quarterly* 15, 1971, 17 ff.

13. Geyoushi, Muhammad Ibraheem, «Al-Tirmidi's Theory of Gnosis», in *The Islamic Quarterly* 15, 1971, 164 ff.

14. Geyoushi, Muhammad Ibraheem, «Al-Tirmidi's Conception of the Areas of Interiority», in *The Islamic Quarterly* 16, 1972, 168 ff.

15. Geyoushi, Muhammad Ibraheem, «The Influence of al-Tirmidi on Sufi Thought», in *The Islamic Quarterly* 20, 1978, 104 ff.

16. Gobillot, Geneviève, «Un penseur de l'amour (*hubb*); le mystique Khurasanien al-Hakīm at-Tirmiḏī», in *Studia Islamica* 73 (1991).

17. Gobillot Geneviève, «Patience et gratitude selon al-Hakīm at-Tirmiḏī», in *Studia Islamica* 79 (1994).

18. Heer, Nicolas, «Some biographical and bibliographical Notes on al-Hakīm at-Tirmiḏī», in *The World of Islam*. Studies in honour of Philip K. Hitti, London 1960, 121 ff.

19. Massignon, Louis, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Paris 1954.

20. Nwyia, Pau, *Exégèse coranique et langage mystique*, Beirut 1970.

21. Yahya, Othman, «L'œuvre de Tirmiḏī. Essai bibliographique», in *Mélanges*, Massignon 3, Damas 1957, 411 ff.

المبحث الثاني

مراتب الناس في العلم والمعرفة لدى الحكيم الترمذي:

يرتبط كتاب *اثبات العلل* ارتباطا وثيقا بالتقسيم الذي يجعله المتصوفة للعلماء؛ فهم: عامة[1]، وخاصة[2]، وخاصة الخاصة[3]. يقول الحكيم الترمذي: «فإن هذه كلمات خصت بهن هذه الأمة، فالعامة أعطيت حروفها واللفظ بها، والأولياء أعطت معانيها، ورؤية المعاني أعطي خاص الأولياء»[4]. فالعامة يقفون على ظاهر الشريعة وأحكامها: «لأن علماء العامة إنما يفقهون من ذلك على قدر علمهم بربهم، ليس لهم من علم الصفات إلا حروف المعجم المؤلفة»[5]، أما الخاصة وخاصة الخاصة فيؤمنون بالشريعة ويعضون عليها بالنواجذ - شأنهم في ذلك شأن العامة - لكنهم لايقفون عندها، بل ينفذون ببصائرهم إلى ما وراءها لتقصي العلل، وإدراك المقاصد: «فالمعاني مفقودة إلا عند العلماء الحكماء الذين هم خاصة الله تعالى في أرضه»[6].

---

(1) مصطلح «العامة» يقصد به المتصوفةُ لفقهاءَ؛ يقول الكاشاني: «العامة هم الذين اقتصروا على علمهم بالشريعة، ويسمون علماء الرسوم» *الاصطلاحات الصوفية*: «باب العين»، الصفحة ص. 122).

(2) «الخاصة» هم الذين نفذوا ببصائرهم إلى ما وراء القشور والألفاظ، واطلعوا بسلوكهم في طريق العبادة على المعاني والأسرار التي عَزَبَت عن العامة، وبلسان القوم: «هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات» (معجم *مصطلحات الصوفية* للحفني: حرف الخاء، ص. 90).

(3) خاصة الخاصة ازدادوا درجة أو درجات عن الخاصة، وبلسانهم: «هم أهل التفريد وتجريد التوحيد، ومن عبر الأحوال والمقامات وسلكها وقطع مفاوزها» (نفسه: 90).

(4) *اثبات العلل*: ذكر علة التشهد.

(5) نفسه: ذكر علة الثناء.

(6) نفسه: ذكر علة الثناء.

وهو في كل الكتاب ما ذكر شيئا إلا ونسب ظاهر الألفاظ وقصور الفهم إلى العامة، وقرر أن أصحاب المعاني والقادرين على إدراك مقاصد الشريعة وعلل العبودية هم الخاصة وخاصة الخاصة.

ثم نلفيه يقسم العلم إلى ظاهر وباطن، الأول هو القشر والكتاب، والثاني هو اللباب والحكمة[7]، وهو جمال العلم[8]. والأول تعقله العامة، أما الثاني فلطيف، لذا عجزت العامة عن دركه وفهمه[9]. وعليه فالمعرفة لها طريقان: طريق الظاهر وهو للعوام، وطريق الباطن وهو للخواص. وطريق الباطن هو المفضي إلى المعرفة، أما طريق الظاهر فليس لصاحبها إلا قشور المعرفة.

وهذا ما نلمسه في سائر كتبه؛ يقول مثلا في *شفاء العلل*: «والحكمة حكمتان، كما أن العلم علمان: علم الله، وعلم بأمر الله، ولكل علم حكمة، والعلم ما ظهر، والحكمة ما بطن منه»[10].

إذن فالألفاظ للعامة، والمعاني للصفوة، وبعبارته: «خاصة العباد»[11]، و«خاصة الأولياء» الذين أعطوا رؤية المعاني[12]، وقد سماهم في *شفاء العلل*: «خاص الخاص»[13].

وهؤلاء الأولياء لهم صفات طُهرانيّة، فهم أهل القلوب الذين يقومون لله بدناً وقلباً، وهم المطمئنون بربوبيته، وهم المقصودون من قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[14]، وهم أهل التقوى والورع، وهم المتبهون عن الآخرة[15]، وهم رجال الله[16]، وهم العرفاء[17]، وهم أهل

---

(7) انظر نفسه: الديباجة.

(8) انظر نفسه: آخر الديباجة.

(9) انظر نفسه: الديباجة، وذكر علة الثناء، وذكر علة قول رسول الله ﷺ: «إذا دخل العشر، وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره ولا بشره شيئا».

(10) *شفاء العلل* (مخطوط ولي الدين): ورقة رقم 11.

(11) انظر: *اثبات العلل*: الديباجة.

(12) انظر نفسه: ذكر علة التشهد.

(13) انظر: *شفاء العلل*: ورقة رقم 7.

(14) انظر: *اثبات العلل*: ذكر علة الصف.

(15) انظر نفسه: ذكر علة المشي أمام الجنازة وخلفها.

(16) انظر نفسه: ذكر علة المشي أمام الجنازة وخلفها.

(17) انظر نفسه: ذكر علة مقادير الزكاة.

ولاية الله[18]، وهم والأنبياء أهل العبودة[19]، وهم أهل اليقين[20]. وهؤلاء هم الأقدر على معرفة أسرار العبادات ومقاصد المعاملات، ولذا سماهم في كتابه *علل العبادات*: «أهل العلل»[21]. علاوة على صفات أخرى كثيرة يستوعبها كتاب *اثبات العلل*[22]، ويمكن توضيح أهم الصفات المذكورة في الكتاب المذكور مع ما يقابلها من صفات العامة في الجدول التالي:

الفقهاء	الأولياء
أهل الثواب والعقاب	أهل التقوى والورع والفهم
أهل الظاهر	أهل الباطن
أهل القشر واللفظ	أهل اللباب والحكمة
أهل الغفلة	أهل الانتباه والمعرفة
أهل العبادة	أهل العبودة واليقين
أهل الشريعة	أهل الولاية ورجالُ الله
عبيد الغلة (الجزاء)	الخُزَّان وعبيد الخدمة

(18) انظر نفسه: ذكر علة الميراث، وأيضا: ذكر علة القاتل أنه لا يرث.

(19) انظر نفسه: ذكر علة الأنبياء أنهم لا يرثون. هذا وإن المتصوفة يفرقون بين العبودية والعبودة، فالعبودية «للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك الطريقة»، والعبودة «لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبوديته» انظر: *اصطلاحات الصوفية* للكاشاني: 122-123، ويقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: «العبودة: من شاهد نفسه في مقام العبودية لربه» *اصطلاحات الصوفية* (في ذيل كتاب *التعريفات* للجرجاني): 143.

(20) انظر: *اثبات العلل*: ذكر علة الأنبياء أنهم لا يرثون.

(21) انظر: *علل العبادات* (مخطوط ولي الدين): ورقة رقم 47.

(22) هذه الصفات المذكورة في *اثبات العلل* لها نظائر وأشباه في سائر كتبه، مما يؤكد نسبته إليه كما سنرى، ونقتصر هنا في التمثيل لذلك بصفة «أهل اليقين»، فهو يكثر من استعمالها خاصة في كتابه *ختم الأولياء*؛ ننقل مثلا هذه القبيسة: «فإن أهل اليقين يصفون من قلوبهم أمورا أنا في خلو منها، فقصد لتطهير الباطن بعدما استقام له تطهير الظاهر» مخطوط ولي الدين: ورقة رقم 2، ومن ذلك قوله: «فأهل اليقين وحّدوا الله قلبا وقولا وفعلا» نفسه: ورقة رقم 25.

وهذا ما تلخصه هذه القبيسة من كتاب *ختم الأولياء*: «فهل الظاهر إلا ما ظهر على القلوب، وإنما يظهر بصفاته على قلوب خاصة أوليائه، فإذا انتهت الصفات صار إلى الباطن الذي لا يدرى...»[23].

هذا وإن ما ذكره من اشتراك في الصفات بين الأولياء والأنبياء في *ختم الأولياء* يذكره أيضا في كتابه *اثبات العلل*، وسنشير إلى بعض ذلك دون خوض في التفصيل والاستقصاء.

فالأنبياء والأولياء فضلوا على الخلق بالمعرفة بالله والعلم به والانتباه لعظمته وجلاله[24]، وكلاهما تجاوز العبادة إلى العبودة دون التفريط في العبادة، وكلاهما انكشف له الغطاء عن ملك الله تعالى فصاروا أهل اليقين وصارت لهم الأمور معاينة، وكلاهما يخدم ربه دون انتظار للغلة - أي للعقاب والثواب-[25].

ولهذا الكلام العرفاني أشباه ونظائر في مواضع عدة من *ختم الأولياء* نصطفي منها هذه العبارة: «... وقد بشر سائر النبيين عليهم السلام بالمغفرة، فهذا وأشباه هذا هو علم الأنبياء صلوات الله عليهم، والأولياء بهذا العلم يطالعون تدبيره، وبهذا العلم يعاملونه، ويقومون بالعبودة له، لا من كشف له عن هذا النوع من العلم، فإنما فتح له من الغيب الأعلى حتى لاحظ ملك الملك...»[26].

وكثيرا ما يتهجم على العامة لتشنيعهم على الأولياء بسبب سوء الفهم وضمور البصيرة؛ يقول في *اثبات العلل*: «وإن كان من العامة تخليط وميل إلى الغنيمة، فحسابهم على الله تعالى»[27]، وهذا هو عينه ما قاله في *ختم الأولياء* مع تغيير طفيف في العبارة: «فأي جرم أعظم من جرم رجل يلتقط كلام الأولياء حرفا حرفا، ثم خلطه فأضمره حكايات»[28]، وأيضا قوله: «... فوقعوا في التخليط فسقم القلب»[29].

---

(23) *ختم الأولياء*: ورقة رقم 10.

(24) انظر: *اثبات العلل*: ذكر علة الأنبياء أنهم لا يرثون.

(25) انظر نفسه: ذكر علة الأنبياء أنهم لا يرثون.

(26) *ختم الأولياء*: ورقة رقم 8.

(27) *اثبات العلل*: ذكر علة الحج.

(28) *ختم الأولياء*: ورقة رقم 9.

(29) نفسه: ورقة رقم 35. لمعرفة الفكر الصوفي والعرفاني لدى الحكيم الترمذي بعمق وتفصيل يرجع إلى ما كتبه المستشرق بيرند راتكه Bernd Radtke في كتابه:

Al-Hakim at-Tirmidi, ein islamischer theosoph des 3./9.Jahrhundert: pp.39-95.

الصدر والقلب والفؤاد واللب :

ألف الحكيم الترمذي في هذه المصطلحات العرفانية كتابا وسمه بـ : *بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب*، وقد قام بتحقيقه المستشرق الدكتور نقولاهير، ونشرت أول طبعة منه سنة 1958 بالقاهرة. ويذكر المستشرق بيرند راتكه أن هذا الكتاب هو للحكيم الترمذي من حيث أفكاره، أما أسلوبه فليس له، بل لأحد تلاميذه[30].

وفي هذا الكتاب يجعل الحكيم الصدر والقلب والفؤاد واللب مقامات إحداها تفضي إلى الأخرى وتتصل بها، وإن كان لكل واحد منها حكم على حدته ومعنى غير معنى الآخر. فالصدر هو مقر علم الظاهر والعبارة، وموضع النفس، ومكان الوسوسة[31]. والقلب هو موضع علم الباطن والحكمة والإشارة، ومعدن نور الإيمان والتقوى والسكينة، وبه مدار تأكد وجوب الثواب والعقاب[32]. والفؤاد هو موضع الرؤية، حيث يصير الغيب عيانا[33]. واللب هو معدن نور التوحيد، وهو غاية ما يصل إليه عباد الرحمن[34]. وصفوة القول: إن الصدر هو موضع نور الإسلام، والقلب هو موضع نور الإيمان، والفؤاد هو موضع نور المعرفة، واللب هو موضع نور التوحيد[35]، وبعبارته: «فحياة الصدر بروح

---

(30) انظر :
Bernd Radtke, *Drei Schriften des theosophen Von Tirmid*: p.4.

(31) انظر : *بيان الفرق*: 40-47، وهذا عينه ما قرره في كتابه *شفاء العلل* إذ يقول: «فالنفس في هذه الأشياء التي وصفنا ومجتمعة في الصدر، وسلطانها فيه» مخطوط ولي الدين: ورقة رقم 4.

(32) انظر : *بيان الفرق*: 40-62.

(33) انظر نفسه : 62-70، وهذا عينه هو ما ذكره في كتابه *علل العبادات* إذ يقول: «والمعرفة في القلب، والشهوة في النفس، والصدر ساحة القلب، وللنفس في الصدر باب إليه تقضى شهواتها، وتدس الأمور كلها في الصدر بين عين الفؤاد» مخطوط ولي الدين: ورقة رقم 24، وهو عينه ما قرره في رسالته *مسألة في الإيمان والإحسان والإسلام* إذ يقول: «فالقلب ما بطن منها [أي البضعة من اللحم التي في جوف الإنسان وهي القلب والفؤاد]، والفؤاد ما ظهر، والعينان على الفؤاد، والرؤية له، وذلك قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾، وجعل لهذه البضعة ساحة وهي الصدر» مخطوط ولي الدين: ورقة رقم 1.

(34) انظر : *بيان الفرق*: 70-79.

(35) انظر نفسه : 70.

الإسلام، وحياة القلب بروح الإيمان، وحياة الفؤاد بروح المعرفة والمشاهدة، وحياة اللب بروح التوحيد والانفصال عن القوة والحول والاتصال بالحق»[36].

وهذه المعاني نفسها مبثوثة في مواطن عدة من *اثبات العلل*، فنسطر مثلا هذه القبيسة: «فهذا القوي ينتصب بين يدي الله تعالى بقلبه، كما ينتصب في الظاهر بجوارحه، فقلبه يناجي، وبدنه يواجه، وليس لقلبه التفات، لأنه قد سلم صدره من الآفات، وتفرغ قلبه منها»[37]. فالصدر هو موضع الآفات وسبيل تخلصه منها بتعلقه بالقلب.

وإذا كان في *بيان الفرق* قد بيّن أن قوام الصدر بقوام القلب، وأنه داخل الصدر، «وهو كسواد العين الذي هو داخل العين»، «وكبلد مكة الذي هو داخل الحرم، وكموضع الفتيلة من القنديل، وكالبيت داخل الدار، وكاللوز داخل القشر الأعلى»[38]، فإنه أيضا في *اثبات العلل* يقرر ذلك: «فإذا أراد القلب أمراً أشرق العقل بشعاعه في الصدر، فزين ذلك الشيء على عين القلب، وبين المحاسن من المساوئ، وميَّز بينهما»[39]، ويقول: «وقلبه في صدره»[40]، ويقول: «وذلك أن القرآن في الصدر، والصدر ساحة القلب، والنفس خالية عن ذلك كله»[41]. ويقول في الفؤاد: «وللقلب عينان، فإذا أشرق النور في القلب، فتح العينين، وذهب الكمه، فأبصر العيب»[42]، ويقول: «فلما أشرق النور في صدورهم، طالعوا الحكمة بعيون القلوب»[43]، ويقول: «فجاءت شهوات النفس، فأظلمت الصدور، فحالت بين عيني الفؤاد، وبين عين السير إليه والنظر إلى جلاله»[44]. فقد قلنا إن الفؤاد في المقام الثالث وهو يتوسط القلب، والتوسط هنا عبر عنه بالعين،

---

(36) نفسه: 96.

(37) *اثبات العلل*: ذكر علة صلاة الجماعة والإمامة.

(38) انظر: *بيان الفرق*: 36.

(39) *اثبات العلل*: ذكر علة تحريم الخمر.

(40) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.

(41) نفسه: ذكر علة القراءة، وهذه العبارة هي عينها ذكرها في كتابه *علل العبادات*؛ يقول: «والشهوة في النفس، والصدر ساحة القلب»: ورقة رقم 48، وهو ما يثبته في *ختم الأولياء*: «إن الصدر ساحة القلب، وللقلب في هذه الساحة باب، وللنفس باب، فإذا دخل العطاء من الله في الصدر، فإنما قعد حارسا للقلب لئلا تأخذ النفس نصيبا، فإن أخذت بغلبتها نصيبها، لم يقدر الحارس على منعها... » ورقم رقم 5.

(42) *اثبات العلل*: ذكر علة الركوع.

(43) نفسه: الديباجة.

(44) نفسه: ذكر علة الحج.

وعين الشيء هو وسطه، أما النظر إلى جلاله فهو اللب، وقد ذكرنا أنه في المقام الرابع، فإن أهله هم الذين يدركون الحكمة وباطن الأمر والنهي؛ أي عللها كما صرح بذلك في عدة مواطن من *إثبات العلل*.

وعلاقة العقل[45] بالمصطلحات الأربعة المذكورة تظهر في تعريفه للب بأنه «هو العقل مغروس في أرض التوحيد»[46]، ويسمى هذا المقام بمقام التوحيد كما رأينا، وهو أيضا ما يقرره في *إثبات العلل* إذ يقول: «وبالعقول وحَّده العباد وعرفوه»[47]. ومعنى هذا أن العقل هو الذي ينير للقلب طريقه، فإذا «استد طريق العقل، فلا يصل إلى القلب، ووجد الشيطان سبيلا إلى القلب فأفسده»[48]، وهذا من علل تحريم الخمر حيث إنه يقيم «سدا بين العقل والقلب»[49]. وفي مقابل ذلك، فإن الذهن هو محرك النفس ومهيجها، وبعبارته: «فالذهن مدبر النفس، والعقل مدبر القلب، والقلب يطلب ربه، والنفس تطلب لذتها وشهوتها، فأيهما غلب، فالجوارح تبع له»[50]. وهذه المقابلة تقتضي المقابلة بين «علم النفس» وهو العلم القائم على ظاهر الحياة الدنيا وعلى الحواس وهو «علم الظاهر»، وبين «علم القلب» وهو الصادر من القلب والعقل وهو «علم الباطن».

وبيان الفروق السابقة سيجرنا إلى بيان الفرق بين الروح والنفس، فنقول: إنهما عند الحكيم الترمذي ضدان: «فالروح تأمر بالحسن، والنفس تأمر بالسوء»[51].

وهذا عينه هو ما يقرره في سائر كتبه، يقول في النفس وما تأمر به من سوء عند تحديده لمعنى الصدر في *بيان الفرق*: «وهو موضع ولاية النفس الأمارة بالسوء،

---

(45) العقل لدى علماء المسلمين قديما له ثلاثة معان: الغريزة، والعلم، والعمل بالعلم (انظر: *علم الحديث* لابن تيمية: 246، و*شرف العقل وماهيته* للمحاسبي: 17)، وأضاف الغزالي إلى هذه المعاني معنى رابعا وهو العلم المستفاد من التجارب بمجاري الأحوال (انظر: *شرف العقل وماهيته* للغزالي: 60)، لكن هذا المعنى عند النظر يَتَبيَّنُ أنه من صميم المعنى الثاني وتفصيل له. ولكن العقل عند المتصوفة هو المحمول على المعنى الأخير وهو العمل بالعلم (انظر تفصيل ذلك في: *شرف العقل وماهيته* للمحاسبي: 43 فما بعدها، وللغزالي: 60 فما بعدها).

(46) *بيان الفرق*: 71.

(47) *إثبات العلل*: ذكر علة تحريم الخمر.

(48) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.

(49) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.

(50) نفسه: ذكر علة القراءة.

(51) نفسه: ذكر علة الركعتين.

ولها فيه مدخل، وتتكلف أشياء وتتكبر، وتظهر القدرة من نفسها»[52]، ويقول في الروح: «والروح عبارة عن النور الذي به أحيى الله الخلق، وهو كما ذكر الله تعالى أن الروح من أمره، وقوام الروح بالله، والنفس قائمة بالروح»[53]. ويقول في *الأكياس والمغترون*: «فالنفس وعاء الهوى، المشتملة عليه بأهل الغرور»[54]، ويقول في *منازل العباد من العبادة*: «واستوى القلب ملكا على سريره، والروح ترجمانه، والعقل وزيره، والأمر والنهي الملك، والراعي الروح، والمدبر العقل، وقد كانت النفس من قبل ذلك في معدنها ملكا على القلب مطاعة، فصارت بتوفيق الله للعبد مسلوبة المملكة ساقطة المنزلة، مخيبة مقصاة»[55]. ولذلك يجعل الروح سماويا، والنفس أرضية[56].

لكن يعتبر النفس والروح أصيلين في الإنسان بالرغم من الصراع الأبدي بينهما، بدليل قوله: «عند خروج الروح والنفس منه[57]»[58]؛ فهما يتجاذبان الإنسان إلى أن يدركه ريْب المنون، وذلك «من أجل أن الرئيس في الجسد اثنان: روح ونفس»[59].

وكما أن النفس ملازمة للقلب تتربص به الدوائر، فإن الروح ملازمة للبدن؛ يقول: «لأن العلم حياة القلب والنفس، كما أن الماء حياة البدن والروح»[60].

الفكر المقاصدي عند الحكيم الترمذي:

إن كتاب *إثبات العلل* يكشف عن كون الحكيم الترمذي من أبرز المقاصديين، وأنه كان من السباقين للتصنيف في علم «مقاصد الشريعة»، فهو من القائلين بتعليل الشريعة وأنها معقولة المعنى كما صرح بذلك في ديباجة كتابه: «فإنك

---

(52) *بيان الفرق*: 35.

(53) نفسه: 96.

(54) *الأكياس والمغترون*: 21.

(55) *منازل العباد من العبادة*: 73-74.

(56) انظر: *رسالة في الإيمان والإحسان والإسلام*: ورقة رقم 1.

(57) أي من الإنسان، وهو يشير في ذلك إلى الموت.

(58) *إثبات العلل*: ذكر علة الغسل من الجنابة.

(59) نفسه: ذكر علة الركعتين.

(60) نفسه: ذكر علة الصلاة.

سألتني عما اختلف الناس فيه من إثبات العلل في الأمر والنهي»، إلى أن يقول: «ولكن عللها قائمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها»، ويقرر أن الشريعة معللة بجلب المصلحة ودرء المفسدة؛ إذ يقول: «وإنما زجر الله تعالى الخلق عما يشينهم ويفسد عليهم محاسنهم، وألاّ يقعوا في أودية الهلاك، وألا يكونوا في ذي أهل الذلة والصغار»(61). وفي مقدمة كتابه نلفيه يثبت هذا التعليل للأحكام - وبعبارته: للأمر والنهي - بشواهد من النقل والعقل.

أما شواهد النقل فهي:

- ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾.

- ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾.

- ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾.

- ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾.

- ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾.

- ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾.

وأما شواهد العقل فمنها أن الله تعالى في أمره ونهيه إما أن يكون خاطبنا جزافا، وإما أن يكون لحكمة. فالأول عاطل باطل لأنه تعالى منزه عن العبث، فيتحصّل الثاني(62).

وهو يعتبر معرفة علة الأحكام هي باطن العلم، وهي العلم النافع، وهي جوهر الأمور، وهي الحجة(63). وهو إن لم يستعمل كلمة «مقاصد» للتعبير عن العلل كما هو دأب المتأخرين من علماء الأصول والمقاصد، إلا أنه استعمل مشتقات المادة (ق. ص. د) في مواطن عدة من كتابه، وكانت في هذه المواطن تحمل المعنى

(61) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.

(62) انظر نفسه: الديباجة.

(63) انظر نفسه: الديباجة.

المعهود من عبارة «مقاصد الشريعة»، من ذلك قوله: «وطالعوا الحكمة، فقصدوا الأمور على حسب جواهرها»(64)، وقوله: «ومثل من يقصد بعمل الأركان، ويهمل شأن القلب مثل قائد دعاه الملك . . . »(65)، وقوله: « . . . وإنصابه كفيض الماء قاصدا لمعلمه»(66). ففي هذه القبائس نلفيه يجعل القصد بمعنى الهدف والغاية، وهذا هو مفهوم «المقاصد»، فهي جمع للمقصود أو المقصد وهو: «ما تتعلق به نيتنا وتتوجه إليه إرادتنا عند القول أو الفعل»(67). ولا جرم أن هذا المعنى واضح في العبارات التي نقلناها من *اثبات العلل* بما لا يحتاج إلى مزيد بيان.

وإذ بينا سلفا أنه يجعل معرفة العلل مخصوصة بالعلماء العارفين وهم الأولياء، فإننا نستفيد من كتابه *شفاء العلل* أنه يجعل الولاية شرطا أساسا في الاجتهاد والاستنباط كما هو مؤدى قوله: «والبينة في الرواية والنقل، ويحتاج أهل الاستنباط والاجتهاد إلى [قلب](68) ذكي مشحون بنور الله، ونفس صافية من كدرة الأخلاق، عفيفة من شهوات الدنيا حتى تدرك الحق وتسلم من الدّخول بين الله وبين عباده»(69). وبالجمع بين أعضاء كلامه في *اثبات العلل* و*شفاء العلل* ندرك أن الاجتهاد عنده متوقف على قدرة العارف الفقيه على التعليل والكشف عن معاني الأحكام. وهذا يتفق مع ما يقرره علماء مقاصد الشريعة من أن «هذا العلم(70) مضنون به على غير أهله»(71).

ونلفيه يميز بين مقاصد الخطاب، ومقاصد الأحكام. فيبين أن للخطاب علتين: علة ظاهرة، وعلة خفيّة. العلة الظاهرة هي التي يدركها العامة والوقّافون عند ظواهر النصوص، والعلة الخفيّة هي التي يدركها الأولياء لأنهم ينفذون ببصائرهم إلى بواطن الأمور(72)، ولأن لهم «عن الله تعالى في هذا نظر لطيف»(73). وهذه العلة اللطيفة - وهي المقصودة عند أهل العرفان - تكون ذوقية لا

(64) *نفسه*: الديباجة.

(65) *نفسه*: ذكر علة صلاة الجماعة والإمامة.

(66) *نفسه*: ذكر علة الحج.

(67) *مدخل الى مقاصد الشريعة* لأحمد الريسوني: 7.

(68) في الأصل: القلب.

(69) *شفاء العلل*: ورقة رقم 33.

(70) أي علم مقاصد الشريعة.

(71) *حجة الله البالغة* لولي الله الدهلوي: 33/1.

(72) انظر: *اثبات العلل*: علة مقادير الزكاة.

(73) نفسه: ذكر علة قول الرسول إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي . .

يحيط بها علماً إلا من جاهد بالرياضة وتجرد من الشهوات؛ يقول: «وإذا راض نفسه وتخلى عن الشهوات خلا صدره، فإذا كان كذلك شرحه الله بنوره، وامتلأ صدره من النور، فبنوره تلاحظ الحكمة في محلها، فينال منها بملاحظته على أعمال العُمَّال، كيف لطف ربنا جل وعز في قسمتها بين خلقه، وكيف حسن تدبيره فيها، ويلاحظ أم الكتاب في محله، فينال منها بملاحظته على ما يمحو أو يكتب فيها بمشيئته، ويلاحظ مجرى القضاء في ملك الجبروت، فتحكم له هذه اللحظات كلها»[74]. أما مقاصد الأحكام فتتجلى في أنه يذكر غايات وأسرار الأحكام في العبادات والمعاملات عبر الكتاب برمته، مع تصدير كل ذلك بالكشف عن بعض معاني التوحيد وأسراره في «ذكر علة الإقراربالتوحيد».

وإذا كان المتأخرون قد قسموا المقاصد إلى عامة وخاصة وجزئية[75]، فإن الحكيم الترمذي مع أقدميته عنهم قد قرر هذه القاعدة بشكل تطبيقي. ففيما يتعلق بالمقاصد العامة، نلفيه يؤكد أن الشريعة معللة بجلب المصلحة ودرء المفسدة كما رأينا، ولا يفتأ يشير خلال الكتاب برمته أن الشريعة جاءت لحفظ الضروريات الخمس؛ يقول مثلا: «لأن الله تعالى دعا الخلق إلى أن يعرفوه فيوحدوه قلبا، فلو اكتفى منهم بذلك لم يقتضهم الإقرار به، فكان إذا عرفوه ووحدوه حرمت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم»، إلى أن يقول: «فمتى كانت تقوم حجة الله سبحانه على من تناول منَّا دماً أو مالا، فيقتص لهم في الدنيا، وينتقم لهم في الآخرة»[76]. ففي وجوب الإقرار بالتوحيد حفظ الدين، وفي حرمة الدماء حفظ النفس والعقل[77]،

(74) *نفسه*: الديباجة.

(75) المقاصد العامة هي التي تمت مراعاتها على صعيد الشريعة كلها أوغالبها، والمقاصد الخاصة هي المتعلقة بمجال خاص من مجالات التشريع كمجال المعاملات أو مجال العبادات، أما المقاصد الجزئية فهي المتعلقة بكل حكم على حدته من الأحكام الجزئية في الشريعة (انظر: *مدخل الى مقاصد الشريعة*: 11-12).

(76) *إثبات العلل*: ذكر علة الإقرار بالتوحيد. وقد عرف العلماء الضروريات بـ: «أنها لا بد منها من قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين» *الموافقات* للشاطبي: 4/2.

(77) حفظ العقل مضمَّن في حفظ النفس؛ يقول أحمد الريسوني: «فالعقل ليس له كيان مستقل منفصل، بل هو جزء من كيان الإنسان المعبر عنه بالنفس، وإنما خصه الشرع ببعض الأحكام، وخصه العلماء بالذكر، نظراً لمكانته وتوقف التكليف عليه، ولكونه شرطا لا بد منه لحفظ باقي الضروريات» *مدخل الى مقاصد الشريعة*: 59.

وفي حرمة الأموال حفظ المال، وفي حرمة الأعراض والاقتصاص ممن هتكها حفظ النسل والعرض. ويقول: «. . . فأما في الدنيا فحرمة الدم والعرض والمال. . .»[78]، ويقول: «فإن الله حرم أكل مال المؤمن، وسفك دمه، وتناول عرضه»[79]، ويقول: «ووجدنا أربعة أشياء سميت في التنزيل رجسا، فقال تعالى: ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا﴾، وقال: ﴿اجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾، وقال: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾، فأمرنا باجتنابها كما أمرنا باجتناب الأوثان، وسماها رجسا كما سمى الأوثان»[80]. ففي تحريم عبارة الأوثان والأنصاب والأزلام حفظ للدين، وفي تحريم الخمر حفظ للعقل، وفي تحريم الميسر حفظ للمال. وقبل ذلك قال تعليقا على آية تحريم الخمر: «فأيّ داء أدوأ من العداوة والبغضاء؟!»[81]، ولا يخفى أن العداوة والبغضاء سبيلان لسفك الدماء مما فيه ضرر على النفوس والأبدان، ومما فيه خَرْمٌ لضرورية حفظ النفس.

هذا وقد يقتصر الترمذي على تسليط الضوء على ضرورية دون أخرى وتفصيل القول فيها بحسب ما يقتضيه المقام، فمثلا يقول في حفظ المال: «وأما علة الميراث، فإن الله تعالى جعل هذا المال قوام المعاش للخلق»[82]، ويقول في حفظ العقل في موطن آخر: «والخمر وكل شيء مسكر، فهو مفسد للعقل، وبالعقول وحَّده العباد وعرفوه، فإذا سكر استد طريق العقل»[83].

وفيما يتعلق بالحفظ التحسيني يقول في سنن الصلاة التي وسمها بالمعالم: «. . . لأن حفظ الحدود في الصلاة فرض، وإقامة المعالم فضل، وإنما هي زينة الصلاة وجمالها، وهي صلاة الأنبياء والأولياء والمقربين»[84]، وهذا يوافق ما أطلقه العلماء في تعريفهم للتحسينيات بأنها: «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات، التي تأنفها العقول الراجحات»[85]، ومثلوا لذلك بأمثلة منها: «التقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات وأشباه ذلك»[86].

(78) *إثبات العلل*: ذكر علة الإقرار بالتوحيد.
(79) نفسه: ذكر علة الربا.
(80) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.
(81) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.
(82) نفسه: ذكر علة الميراث.
(83) نفسه: ذكر علة تحريم الخمر.
(84) نفسه: ذكر علة السنن.
(85) *الموافقات* للشاطبي: 5/2.
(86) نفسه: 5/2.

أما الحاجيات[87] فلها تنبيهات وإشارات كثير في *اثبات العلل* منها قوله: «. . . لأن حفظ الحدود في الصلاة فرض»، إذ كثيرا ما يمثل علماء المقاصد للحفظ الحاجي بـ: «ضبط تفاصيل العبادات وتحديد مقاديرها وكيفياتها، باعتبار أن هذه الضوابط والتفصيلات لا يتوقف عليها - في الأمد القريب - إقامة أصل العبادة ولكن من شأن غياب هذه التفاصيل والتحديدات إحداث بلبلة وغموض لدى المكلفين»[88].

ومن نماذج المقاصد العامة التي يذكرها الحكيم الترمذي إقامة العدل ومجانبة الظلم؛ إذ يقول: «فمن لم يفهم علته[89]، زاغ عن القصد، وانتظم في الجور»[90]، ويقرر أن حرمة الدماء والأموال والأعراض إنما «ليبرز عدله على الجميع»[91]، بل إنه أيضا يجعل العدل مقصودا في تفاصيل العبادات وجزئياتها، ونمثل لذلك بما قاله في «باب أدب الصلاة في [الطهارة][92] وما يصلح من إكمالها»من كتابه *علل العبادات*: «وتعتمد على رجليك جميعا، تعطيهما حقهما، لا تظلم واحدة دون أخرى»[93]. ويشير في مواضع عدة إلى أن الشريعة قائمة على رفع الحرج والضرر، يقول مثلا في صلاة الجمعة: «ثم أقرت تلك الصلاة على الأصل الذي كان في البدء، وهما ركعتان، لئلا تثقل على العباد، وقد أراد بهم اليسر في دينهم ورفع عنهم الحرج»[94].

أما المقاصد الخاصة والمقاصد الجزئية فذكرُهما وتطبيقهما واضحان من خلال تقسيمه للكتاب إلى ذكر علة كل باب من أبوَاب الفقه المعهودة في كتب الفروع، وإدراج علل الأحكام الجزئية تحت ما يناسبها من أبواب، مثال ذلك أنه يخصص بابا بعنوان: «ذكر علة الصلاة» يسطر فيه ما بدا له من علل كامنة في فريضة الصلاة،

(87) يعرفون الحاجيات بـ: «أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة»(*الموافقات*: 2/4-5). فهي تحتل موقعا وسطا بين الضروريات والتحسينيات.

(88) *مدخل الى مقاصد الشريعة*: 63.

(89) أي علة الإقرار بالتوحيد.

(90) *اثبات العلل*: ذكر علة الإقرار بالتوحيد.

(91) نفسه: ذكر علة الإقرار بالتوحيد.

(92) في الأصل: الطاهرة.

(93) *علل العبادات*: ورقة رقم 7.

(94) *اثبات العلل*: ذكر علة الجمعة.

فهذا من قبيل المقاصد الخاصة. ثم يدرج تحته علل الأحكام الجزئية المتعلقة بهذا الباب، فيتكلم على: «ذكر علة استقبال القبلة وقت الصلاة»، و«ذكر علة التكبير»، و«ذكر علة الثناء»، و«ذكر علة الاستعادة»، و«ذكر علة القراءة»، و«ذكر علة الركوع»، و«ذكر علة السجود»، و«ذكر علة التسبيح»، و«ذكر علة القعود»، و«ذكر علة التشهد»، و«ذكر علة التحيات والتسليم»، و«ذكر علة رفع الأيدي ورمي البصر حيث يسجد» إلخ... وهكذا في سائر أبواب الكتاب، وهذا من قبيل المقاصد الجزئية.

والحكيم الترمذي يستند في تعليلاته إما إلى أسس لغوية، أو أسس نقلية، أو أسس ذوقية عرفانية.

فمن أمثلة التعليلات القائمة على اللغة وفلسفتها أنه في «ذكر علة القعود» يذكر أن من علل السجود أنه غطاء للساجد على ما سلف من ذنوب تاب منها، فهو كفارة له منها، وهذا أخذه من المعنى اللغوي للكفارة وهو الغطاء. وفي «ذكر علة التحيات والتسليم» يجعل معنى كلمة «التحيات» في التشهد: الأمر بجعل كل التحيات للحي الذي لا يموت؛ وذلك استنادا إلى المعنى اللغوي للتحية، حيث إنها مأخوذة من الحياة. وفي «ذكر علة الصف» يذكر أن من علل القيام في صفوف الصلاة اتفاق الظاهر والباطن، وإلا كان ذلك نفاقا، لأن هذا معناه مخالفة الظاهر للباطن، وذلك اعتمادا على المعنى اللغوي للنفاق: «لأن النفاق كل شيء له وجهان. ومنه نافق اليربوع[95]، فإن لها بابين». وفي «ذكر علة صلاة الفطر وصدقته وصلاة الضحى والأضحى» يذكر أن من علل صوم رمضان مغفرة الذنوب، وهذا بناء على أن المعنى اللغوي لرمضان هو الإرماض؛ يقول: «سماه رمضان، فيرمض به ذنوبهم إرماضاً لوقارة الرحمة التي أودع الله تعالى ذلك الشهر». وفي «ذكر علة الزكاة» يذكر من عللها نمو المال وزيادته، وهذا بناء على المعنى اللغوي للزكاة: «فقيل: زكا، أي نما وزاد، فسميت: زكاة». وأمثلة ذلك كثير.

---

(95) نوع من الفئران، وهو قصير اليدين وطويل الرجلين، وجمعه يرابيع.

ويكثر من الاستعارات والمجازات، فللقلب شمس، وللشهوات دخان[96]، وللليل سلطان[97]، والرحمة تجري كالسيل، ولأخلاق السوء بنيان يقلعه سيل الرحمة[98]، وأول حلول الليل يستعير له إقبالَ أوائل جيوش ملك[99]، وهو يجعل ذلك يصب في الكشف عن المعنى والعلة. فمثلا حين يجعل الليل صاحب سلطان، ومبتدأ ظهور هذا السلطان هو المغرب، فهذا إيذان من الله للعباد بحلول وقت السكينة، فيطبق الأفق، وتعشى الأبصار، ثم يقرر أن هذا هو علة المغرب والعشاء[100].

ومن أمثلة التعليلات القائمة على النقل، أن الخمر حرام لما فيه من مفاسد على العقل، وذلك بناء على قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾. ويجعل العلة في إمامة السلطان هي أن السلطان ظل الله في الأرض، وذلك بناء على ما روي عنه ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم، فإن عدل فله الأجر وعليكم الشكر، وإن جار فعليه الأمر وعليكم الصبر»، وما روي عنه: «السلطان ظل الله في أرضه، من نصحه اهتدى ومن غشه ضل»[101]، ويجعل علة صوم عرفة هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كفارة سنتين: سنة قبلها وسنة بعدها»[102].

ومن أمثلة التعليلات القائمة على الذوق الصوفي والنظر العرفاني أنه يجعل من علل شعائر الحج شعور «قلبك بربك في تلك الحال، وأنك تعلمه كأنك تراه وتريه فعلك»[103]، ومن علل سنن الصلاة ما قاله: «فكذلك المعلّم؛ كل حال تتحول منها إلى حال في صلاتك، يريك تلك الحالة ماذا يريد بها»[104]، وهذا يذكرنا بالمقامات والأحوال المعهودة لدى أهل التصوف والعرفان.

---

(96) انظر ديباجة *إثبات العلل*.

(97) انظر نفسه: ذكر علة المغرب.

(98) انظر نفسه: ذكر علة أول الوقت على آخره.

(99) انظر نفسه: ذكر علة المغرب.

(100) انظر نفسه: ذكر علة المغرب.

(101) انظر نفسه: ذكر علة إمامة السلطان.

(102) انظر نفسه: ذكر علة صوم يوم عرفة وعاشوراء والاكتحال فيه.

(103) نفسه: ذكر علة السنن.

(104) نفسه: ذكر علة السنن.

لكن التعليلات الذوقية كثيرا ما تجنح بالحكيم الترمذي في شطط الخيال أو أشبه ما يكون بالخرافة، إذ كثيرا ما يورد أموراً لا دليل لها من العقل ولا من النقل، كتقريره أن الوحوش تصوم يوم عاشوراء[105].

ومهما يكن من أمر؛ فإن الحكيم الترمذي - وإن كان صوفيا في اتجاهه العام - فهو أيضا يعد فقيها وأصوليا ومقاصديا، لأنه نحا في كتابه *إثبات العلل* منحى مقاصديا وعرفانيا في نفس الآن، ولكن المنحى المقاصدي الأصولي كان أوضح وأبرز - وبذلك ندحض ما ادعاه أستاذي الدكتور أحمد الريسوني من أن الحكيم لايعد فقيها ولا أصوليا بالمعنى التخصصي، وما زعمه من أنه ينحو في تعليلاته منحى ذوقيا إشاريا أكثر منه منحى علميا منضبطا[106].

والكلام على الفكر المقاصدي لدى الحكيم يجرنا إلى الكلام على الاجتهاد لديه. فلا جرم أن من الشروط الأساسية في الاجتهاد هو العلم بمقاصد الشريعة والقدرة على إثبات العلل للأحكام[107]، وقد أشرنا آنفا أنه يَشترط في المجتهد أن يكون عارفا بمعاني الأمر والنهي. وتصنيفه لكتاب *إثبات العلل* يكشف عن قدرته على تعليل الأحكام وعن علمه الواسع بمقاصد الشريعة، وبذلك فهو قد بلغ مرتبة سَنيَّة في سلم الاجتهاد.

وعلاوة على اجتهاده بالكشف عن العلل، فإنه يجتهد بترجيح قول على آخر، مثال ذلك أنه في «ذكر علة الوضوء» يذكر خلاف العلماء في الوضوء من موضع الحدث، فأهل المدينة اعتبروا موضع النجاسة، وفقهاء أهل الكوفة اعتبروا نفس الشيء أين جرى، ثم يرجح رأي أهل الكوفة. وفي «ذكر علة التكبير» يورد مسألة افتتاح الصلاة بـ: «الله أعظم والله أجل والله أعز» هل يجزئ الافتتاح بها عن التكبير أم لا يجزئ، ثم يقوّي قول أبي يوسف - وهو أنه لا يجزئ - ويرجحه على

(105) انظر نفسه: ذكر علة صوم يوم عرفة.

(106) انظر كتابه *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*: 26.

(107) يذكر الشاطبي أن الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط من النصوص، فلا بد من اشتراط العلم بالعربية، وإن تعلق بالمعاني من المصالح والمفاسد فيلزم العلم بمقاصد الشرع، كما يقرر أن العلماء المجتهدين لولا أنهم لم يفهموا مقاصد الشرع في وضع الأحكام لما حلّ لهم الإقدام على الاجتهاد والفتوى (انظر تفصيل ذلك في المسألة الخامسة من كتاب الاجتهاد من *الموافقات*: 4/90-91).

قول أبي حنيفة. وفي «ذكر علة القراءة» يختار القراءة في الصلاة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه، وعلة ذلك أن تعطى النفسُ حظَّها من الوعظ.

نسبة الكتاب إلى صاحبه:

زعم الدكتور أحمد الريسوني أن كتاب *اثبات العلل* مفقود، ونصٌّ مدعاه هو: «والمؤسف أن كتاب *علل العبودية* الذي سماه السبكي *علل الشريعة* لا يذكر له وجود فيما رأيت. وكل ما يذكر أنه كان - هو و*ختم الولاية* -[108] - سبب محنته وإخراجه من ترمذ. ولعله لهذا السبب قد وقع إتلافه في زمن مبكر»[109]..

والحق خلاف ذلك، فالكتاب لم يقع إتلافه، بل توجد منه مخطوطة في برلين، ومخطوطتان في تركيا[110]، وكل المستشرقين والباحثين المتخصصين في الحكيم الترمذي أشاروا إليها وإلى أرقامها في مواضعها؛ كالمستشرق نقولاهير في مقدمة تحقيقه لرسالة *بيان الفرق*[111]، والدكتور عثمان يحيى في كتاب *Mélanges* للمستشرق لويس ماسينيون[112] الذي طبع بدمشق سنة 1957م، وغيرهما كثير.

وقد ورد الكتاب على الأقل بخمسة عناوين؛ وهي:

1- *اثبات العلل*.

2- *علل العبودية في الأحكام*: وهو العنوان الذي أثبته الناسخ في الورقة الأولى من نسخة برلين.

3- *كتاب العلل*: وهو العنوان الذي أثبته الناسخ في آخر نسخة ولي الدين.

4- *علل الشريعة*

5- *اثبات العلل للشريعة*

---

(108) الصحيح: *ختم الأولياء*.

(109) *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*: 29.

(110) أماكن المخطوطات وأرقامها هي:

أ- برلين: رقم 3504.

ب- خراجي أوغلو: رقم 806.

ج- ولي الدين: رقم 770.

(111) انظر: *بيان الفرق*: 13.

(112) انظر: L. Massignon : *Mélanges* T.III - pp.433

لكن ديباجة المخطوطتين اللتين اعتمدتُهما في هذا التحقيق تجعلنا نرجح العنوان الأول، إذ ورد ذلك بصيغته: «فإنك سألتني عما اختلف الناس فيه من *اثبات العلل* في الأمر والنهي»، فكأنه العنوان الذي ارتضاه صاحب الكتاب لكتابه، لا سيما أن العناوين الأخرى ما هي إلا تسميات أطلقها العلماء على الكتاب للكشف عن مضمونه ومنحاه؛ كما نلاحظ في أقاويلهم التي نقلناها في صدر هذه الدراسة.

ومهما يكن من أمر؛ فإن العناوين المذكورة متفقة في معناها وإن اختلفت في مبناها، إذ مجموعها يعبر عن مدلول واحد وهو الحديث عن أسرار العبادات والمعاملات ومقاصد الشريعة.

هذا ولا ينبغي الخلط بين كتاب *اثبات العلل* وكتاب *علل العبادات*، فهذا الأخير وإن كان ينحو منحى الأول في بيان العلل والمقاصد إلا أنه اقتصر في الكلام عليها بالتفصيل على الصلاة والاغتسال والسواك[113]، بخلاف *اثبات العلل* الذي استوعب أغلب أبواب العبادات وبعض مسائل المعاملات.

وبعد الكلام على متن الكتاب؛ يلزمنا الكلام على سنده، أعني: ما مدى صحة نسبة كتاب *اثبات العلل* إلى الحكيم الترمذي؟

الجواب هو أننا لا نشك في صحة نسبته إليه للأدلة الآتية:

1- نَسَبَه إلى نفسه في كتابه *المنهيات*، وقد أشار إلى ذلك نقولاهير في مقدمة تحقيقه لرسالة *بيان الفرق*[114].

2- نَسَبَه العلماء إليه كالحافظ الذهبي في *تذكرة الحفاظ*، والشعراني في *الأجوبة المرضية*، وإسماعيل باشا البغدادي في *هداية العارفين*، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على حياته.

(113) يوجد مخطوط منه ضمن مجموعة ولي الدين رقم 770 بتركيا، وهو في خمسين ورقة.

(114) انظر؛ *بيان الفرق*: 13.

3- ذَكر فيه خمسةَ كتب من مصنفاته، وهي:

أ- كتاب *الحج*: ذكره في «ذكر علة استقبال القبلة وقت الصلاة».

ب- كتاب *علم الأولياء*: ذكره في «ذكر علة الثناء»، وفي «ذكر علة التشهد»، وفي «ذكر علة التحيات والتسليم».

ج- كتاب *عرس العارفين*: ذكره في «ذكر علة التحيات والتسليم».

د- كتاب *الصلاة*[115]: ذكره في «ذكر علة السنن».

هـ- كتاب *صفة القلوب ومنازلها*: ذكره في الديباجة، وفي «ذكر علة الحج».

4- أسلوبه وأفكاره: طريقته في التعبير هي نفسها في سائر كتبه، مثال ذلك أنه افتتح كتاب *اثبات العلل* بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم ولي الحمد وأهله، أما بعدفإنك سألتني عمّا. . .» وهي نفسها التي افتتح بها رسالته *مسالة في الإيمان والإحسان والإسلام*: «الحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله، سألتني عمّا. . .»[116]، وهي نفسها في كتابه *الأكياس والمغترون* إذ قال بعد البسملة: «الحمد لله ولي الحمد وأهله والصلاة على رسوله. . .»[117].

ويعبر عن الشيطان بكملة: «عدّو»[118]. وكذلك نرى هذا الاستعمال في سائر كتبه ككتاب *ختم الأولياء*[119]. وكتاب *الأكياس والمغترون*[120]، وكتاب *منازل العباد من العبادة*[121]. وعبارة: «قال له قائل. . .» يكثر من استعمالها في مصنفاته، وبكثرة في *ختم الأولياء*، وهي مستعملة أيضا في *اثبات العلل*، وغير ذلك كثير جدا.

---

(115) يعرف أيضا بـ: *الصلاة ومقاصدها*، كما أن كتاب *الحج* يعرف أيضا بـ: *الحج واسراره*.

(116) *مسالة في الإيمان والإحسان والإسلام*: ورقة رقم 1.

(117) *الأكياس والمغترون*: 21.

(118) انظر ذلك مثلا في الديباجة، و«ذكر علة الاستعاذة»، و«ذكر علة السجود»، و«ذكر علة الإمام»، و«ذكر علة الحج»، و«ذكر علة تحريم الخمر»، و«ذكر علة تحريم الدم»، و«ذكر علة تحريم الميتة».

(119) انظر مثلا قوله: «فجمع الله أجزاء النبوة لمحمد ﷺ وتمّمَه، وختم عليه بختمه، فلم تجد نفسه ولا عدوّه سبيلا إلى ولوج النبوة من ذلك الختم» *ختم الأولياء* (مخطوط ولي الدين): ورقة رقم 13.

(120) انظر مثلا الصفحة: 108 من *الأكياس والمغترون*.

(121) انظر مثلا الصفحة: 75 من *منازل العباد من العبادة*.

كما أن الأفكار الواردة في مصنفاته هي نفسها الواردة في *اثبات العلل*، كمسألة الولاية التي يجعلها مركز أفكاره ومحور تصوراته، والتي نظَّر لها أحسن وأعمق تنظير في *ختم الأولياء*، وقد رأينا تجليات هذه المسألة في *اثبات العلل* قبل حين. ومقولاته في الصدر والقلب والفؤاد واللب لها نفس المفهوم والدلالة في *بيان الفرق* وفي *اثبات العلل* كما رأينا[122]. والتمييز بين جنود القلب وجنود النفس[123] في *اثبات العلل* هو نفسه مسطور في سائر كتبه[124]، وهلمَّ جراً. . .

وبعد تسليط الضوء على مضامين *اثبات العلل*، والاطمئنان إلى صحة نسبته إليه مبنى ومعنى، يكون لزاما علينا الكشف عن منهجي في التحقيق.

طريقتي في تحقيق الكتاب:

لم أتصل مباشرة بالمخطوط محلّ الدراسة والتحقيق، وإنما أمدني أستاذي الفاضل المستشرق برند مانويل ڤايشر بميكرو فيلم من مكتبة «برلين» بألمانيا حيث رقم المخطوط 3504، وبآخر من مكتبة «ولي الدين» بتركيا حيث رقم المخطوط 770.

يتكون مخطوط برلين من 58 ورقة، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنة 600هـ، ويتكون مخطوط ولي الدين من 50 ورقة، ويرجع تاريخ نسخه إلى ما يزيد عن مائة سنة تقريبا بعد التاريخ المذكور.

وبما أن المخطوط الألماني هو الأقدم، فقد جعلته هو الأصل، فنسخته، ورمزت إليه بالحرف: «أ»، ثم طفقت في مقارنته مع المخطوط التركي الذي رمزت إليه بالحرف: «ت». لكن المخطوط «أ» مشحون بالمطموسات ومملوء بالأخطاء الإملائية والنحوية، مما يدل على جهل ناسخه بقوانين الكتابة العربية. فمن أمثلة

---

(122) وأيضا في سائر كتبه، انظر مثلا *الأكياس والمغترين*: 24-25، *ومنازل العباد من العبادة*: 66-67.

(123) جنود القلب هم: الإيمان والعلم والحكمة والعقل والفهم والسكينة والوقار، وجنود النفس هم: الرغبة والرهبة والشهوة والغضب والمكر والحرص والجبن والبخل (انظر: *اثبات العلل*: ذكر علة الصوم).

(124) انظر مثلا: *الأكياس والمغترين*: 21-23.

الأخطاء الإملائية أنه يكتب عبارة «أيْ هي» هكذا: «أيهي»، ويكتب الألف الممدودة ألفا مقصورة؛ فمثلا: «كذا» أو «هكذا»، يكتبهما بهذا الشكل: «كذى - هكذى». كما أنه لا يفرق البتة بين الحروف المعجمة وغير المعجمة، ونجده لا يضع الهمزة في أماكنها المناسبة والصحيحة، ويكثر من كتابة واو العطف في آخر السطر، والصحيح أن تكون دائما تابعة للكلمة التي بعدها ولا تبرحها، بل الأدهى والأمر أنه كثيرا ما يكتب نصف الكلمة في آخر السطر والنصف الآخر في أول السطر الموالي، وهلمّ جرّا. . .

ومن أمثلة الأخطاء النحوية أن عبارة: «إلى المرفقين» يكتبها هكذا: «إلى المرفقان»، وعبارة: «إلى صلاة العشاء» يثبتها هكذا: «إلى الصلاة العشاء». أما نصبه لما يستلزم الرفع، ورفعه لما يستلزم النصب فحدث ولا حرج.

ومن هنا كان الاعتماد على مخطوط آخر أمرا ضروريا وإلا استحال التحقيق، فكانت النسخة «ت» حلاّ مباركا، إذ خطُّها واضح وجيِّد، والمطموسات فيها نادرة جدا، ولكنها لمّا كانت مشكولة، فإن الأخطاء النحوية فيها كانت مفزعة وتبعث على القرف، إلا أن هذا الإشكال تيسَّر تفاديه.

ومع ذلك فلا يسعني إلا أن أقرر أن الناسخين يكفيهما فضلا أنهما حفظا لنا كتابا من أنفس كتب التراث الإسلامي وأشرف مواضيع الفكر الإسلامي وهو مقاصد الشريعة وأسرارها.

وعليه فقد كنت أُثبتُ ما ثبت في أحدهما ولم يوجد أوطُمس في الآخر. وقد تكون العبارة أو الكلمة في أحدهما غير ما في الآخر، وفي هذه الحالة أثبت الأصح أو المنسجم مع السياق، فإذا استويا في المعنى أو كان الكلام صحيحا فيهما مع اختلاف المعنى بينهما أثبت ما في المخطوط «أ» لكونه هو الأصل. وقد أجتهد بتحديد الصحيح إذا وُجد الخطأ في المخطوطين معا، إلا أن تدخلي هذا في حكم النادر، وتصحيحي يكون وفق قواعد اللغة العربية؛ مثال ذلك أن في كلا المخطوطين في «ذكر علة مقادير الزكاة» جاءت هذه العبارة: «وفي كل أربعين درهم درهم»، وهذا خطأ، والصحيح: «وفي كل أربعين درهماً درهم»، لأن المعدود ينصب إذا جاء بعد العدد الذي يتراوح بين 11و99 كما هو معهود في النحو العربي.

وكثيرا ما كانت تعترضني المكررات، سواء على مستوى الكلمات، أو على مستوى الجمل. وهذا كنت أضرب عنه الصفح فلا أثبته في المتن ولا أشير إليه في الهامش وعندما تكون الكلمة أو العبارة من فضول الكلام الذي لا يمكن إثباته، فإني لا أترك مكانه فارغا بعد أن أحذفه، بل ألحق ما قبلهُ مباشرة بما بعده مع الإشارة في الهامش إلى المخطوط الذي احتواه، مثال ذلك: في «ذكر علة الخمس» ورد قوله تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا...﴾، فمن فضول القول في المخطوط «ت» أنه ورد الضمير: «هم» بعد عبارة: «فمنهم»، فكان لزاما أن أحذفها من المتن وأشير إليها في الهامش.

وأنا عندما أقول في الهامش: «غير موجود في: أ»، أو «غير موجود في: ت» فإني أقصد أنها موجودة في الآخر. وعندما أقول: «غير واضحة في: أ»، أو «غير واضحة في: ت» فإنني أقصد أنها شبه مطموسة.

أما فيما يتعلق بتخريج الأحاديث؛ فقد اعتمدت كثيرا على تخريجات العلماء المتخصصين في علم الحديث كزين الدين العراقي والنووي والشوكاني وابن علان الصديقي وناصر الدين الألباني، إذ مهما قمت من اجتهاد في التخريج، فلن أكون في مستوى اجتهادهم وتحصيلهم. ولاَ غَرْوَ أن هذا كان دَيْدَنَ الكثير من علماء السلف والخلف، إذ كثيرا ما كان يعتمد بعضهم على نتيجة غيره في التخريج، ونمثل لذلك بمحمد بن علان الصديقي، حيث إنه عند تخريجه لحديث أنس المتفق عليه: «تسحروا فإن السحور بركة» قال في ختام التعليق: «كذلك في الجامع الصغير»[125]، ومعنى هذا أنه لم يباشر الأصول الحديثية في التخريج، بل اعتمد على كتاب *الجامع الصغير*. ونجد العراقي في كتابه *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار* يعتمد على الحكيم الترمذي في تخريج أحاديث *الإحياء* للغزالي[126]. كما

(125) انظر: *دليل الفالحين*: 41/4.

(126) مثال ذلك تخريج حديث أن النبي ﷺ «رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال له: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»؛ فقد قال العراقي: «أخرجه الترمذي الحكيم في *النوادر* من حديث أبي هريرة بسند ضعيف أنه من قول سعيد بن المسيب» *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار*: الباب الأول من «كتاب أسرار الصلاة ومهماتها»: 179/1، وقال في حديث عثمان بن مظعون حين قال لرسول الله إن نفسه تحدثه أن يطلق خولة: «أخرجه الترمذي الحكيم في *نوادر الأصول* من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه...» *المغني*: «كتاب شرح عجائب القلب»: 45/3، وفي حديث: «تبارك الذي قسم العقل بين =

اعتمدتُ كثيرا على موسوعة الحديث لبرنامج الحاسوب[127]، وما لم أجده بعد عناء بحث فإنني أشير في الهامش إلى ذلك بقولي: «لم أقف عليه».

هذا وإنني لست ملزما إلا بتخريج الأحاديث النبوية، أمَّا الآثار من أقوال الصحابة والتابعين وبعض المجتهدين والعارفين من السلف والخلف؛ فلست ملزما بتخريج أقوالهم.

وعند فهرسة الآثار وضعت اسم قائل كل أثر بيْن قوسين قبالته، إلا إذا لم يكن الأثر منسوبا إلى صاحبه فأتركه مرسلا. والملاحَظ أن خبر: «من تشبه بقوم فهو منهم» وضعته في قائمة الأحاديث والآثار معاً، وذلك بسبب أنه ورد مرتين في *اثبات العلل*: مرة مرفوعا إلى الرسول ﷺ، ومرة موقوفا على عبد الله بن عمر[128].

واعتمدت في الفهارس على الترتيب الأبجدي، إلا الآيات القرآنية فقد رتبتها وفق السور القرآنية. واقتصرت في فهرسة الأحاديث والآثار على الأطراف إلا ما كان وجيزاً فأنقله برمته؛ مع التركيز في الآثار على القوليّ دون الفعليّ. وفي فهرسة الأعلام لم أثبت اسم النبي ﷺ لكونه مذكورا في كل صفحات الكتاب تقريبا.

بقي أن أشير أن الفهرسة التي قمت بها لا علاقة لها إلا بكتاب *اثبات العلل*، أما ما ورد في الدراسة أو الهوامش من نصوص أو أعلام أو أماكن، فلست ملزما بفهرستها.

= عباده...» قال: «أخرجه الترمذي الحكيم في *نوادر الاصول* من رواية طاوس مرسلا، وفي أوله قصة، وإسناده ضعيف...» نفسه: «كتاب ذم الغرور»: 432/3. وفي حديث أبي الدرداء: «كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله...» قال: «أخرجه الترمذي في *النوادر*» نفسه: «كتاب ذم الغرور»: 433/3. هذا وإن الحكيم الترمذي كثيرا ما يورد أخباراً هي أقرب إلى الخرافة والأسطورة، بل هي من صميمها. وهذا لا جرم بسبب إغراقه في التصوف الذي لا يرى شيئا محالا ما دامت القدرة الإلهية قادرة على صنع أي شيء ولو عجزت الأفهام والعقول عن تصديقه لمصادمته قانون الأسباب والمسببات، وسيصادف القارئ لنص *اثبات العلل* هذه الأخبار. وهذا يجعلنا نحكم عليه - في استشهاده بالأخبار - أنه حاطب ليل؛ إذ يورد الخبر دون النظر في سنده ومتنه: هل هو صحيح أو حسن ليثبه، أو ضعيف أو موضوع ليعرض عنه، ولم نجد له تعليقا على مسوقاته الحديثية في *اثبات العلل* إلا في موضع واحد في «ذكر علة تحريم الذهب والحرير على الرجال» حيث علق على حديث تحريم لبس الحرير والديباج على الرجال والجلوس عليهما بقوله: «وهذا من جيد الحديث».

(127) ويشمل الكتب التسعة وهي: صحيح البخاري، و صحيح مسلم، و*سنن* أبي داود، و*سنن* الترمذي، و*سنن* النسائي، و*سنن* ابن ماجة، و مسند أحمد، و*موطأ* مالك، و*سنن* الدارمي.

(128) انظر: ذكر علة تحريم الذهب والحرير على الرجال.

الورقة الأولى من مخطوط كتاب *اثبات العلل*، نسخة برلين، رقم 3504

الورقة الثانية من مخطوط كتاب *اثبات العلل*، نسخة برلين، رقم 3504

الورقة الأخيرة من مخطوط كتاب *إثبات العلل*، نسخة برلين، رقم 3504

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وولي الحمد وأهله اما بعد فانك سألتني عن ما
اختلف الناس فيه من اثبات العلل في الامر والنهي فقال قايلون هذا تعبد
من ربنا خلقهم فتعبدهم للامر والنهي وليس لامره علة وانما هو امتحان وابتلا
وقال اخرون هو ابتلا وامتحان تعبدهم به وليس يدفع هذا احد منا
ولكن عللها قايمة علمها من علمها وجهلها من جهلها وسألتني شرحها بمبلغ علمي
فاعلم ان الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه فيثيبهم على العبودة ويعاقبهم
على تركها فان عبدوه فهم اليوم عبيد احرار كرام وغدا احرار وملوك في
دار السلام وان رفضوا العبودة فهم اليوم عبيد اباق سفلة لئام وغدا
اعداء في السجون بين اطباق النيران فاول ما اقتضى العبد معرفته ثم
توحيده اعترافا به وقبولا للعبودة وهي الامر والنهي ثم اقتضاهم الوفا
بذلك الى يوم الممات فمن وفا له بذلك سقط عنه الوزن والحساب ودخل
دار السلام ومن عرف واعترف بما عرف وقبل العبودة ثم وفى ببعض
العبودة وضيع بعضا وقع في الوزن والحساب واحتبس عن دار السلام
في موضع الوزن والحساب على قدر الوفا والتضييع فيقال لهذا الذي
نفى العلة وقال هو ابتلا وامتحان فهذا الابتلا لاستخراج ساير العباد
فانهم نطقوا بالتوحيد والذي نعم عليه العباد ولا يعلمه الا عالم الغيوب
فامتحنهم بالامر والنهي ليظهر ما في القلوب فاذا اثاب وعاقب وقد [illegible] في

الورقة الأولى من مخطوط كتاب *اثبات العلل*، نسخة ولي الدين، رقم 770

الثواب والاخر كان عذره ظاهرا في عرصة القيمة الخلق في قضايه وعدله يوم يجمع الملايكة والرسل وساير الجنود الذي لا يحصون ولا احد احب اليه المدح من الله تعالى ولا احد احب اليه العذر من الله تعالى وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بذلك الجارود بن معاذ حدثني ابن معاوية عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن احب المدح احب ان يكون امره ظاهرا يعرفه الجميع ليلا يحجر للحق في مدحه فان قال هذا علة للابتلا والامتحان فقد اثبت العلة في الامر والنهي وان قال ان هذا الابتلا والامتحان فان عاقبة الامتحان ما ذكرنا الا ان يكون الابتلا ايضا عنده غير معلول فقد توهك وان قال ابتلاهم ليستخرج ضمايرهم وسرهم فيكون عذره غدا في الثواب والعقاب ظاهرا فقد اثبت العلة فان قال ابتلاهم لا لعلة فقد اكذبه التنزيل حيث يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قال عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وقال عز وجل الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال عز وجل ولقد فتنا الذين من قبلهم وقال عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويقال للذي نفى العلة يوخر في مخاطبتك مسلة فان خرجت منها والا فقد كفيناك امرك حدثنا عن الله تبارك وتعالى امر العباد بما امرهم ونهاهم عما نهى جزافا ام من الحكمة فان قال جزافا فقد اهمل وعطل الامر ونسبه الى اللعب وان قال في الحكمة خرج الامر والنهي الى العبادة فهات تلك الحكمة ما هي فصل انت الا عاجز عن الحكمة وعن دركها لانك مسلوب نور الحكمة وصدرك مشحون بدخان الشهوات فانحرفتهما دحر الصدر فان احب من هذا قال له قايل اشرح لنا هذا الباب قال نعم ان الله تعالى فضل العلما بهذا العلم من رعاه حق رعايته اتاه ظاهر العلم وباطنه فظاهره على اللسان وهو حجة وباطنه في القلوب فذلك العلم النافع وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم في القلب وذلك العلم النافع وعلم في اللسان وذلك حجة على ابن ادم والحكمة ما بطن من العلم والباطن هو لباب الشي والظاهر هو قشر الشي والانتفاع باللباب لا بالقشر والعلم وديعة الله تعالى في الصدور والوديعة امانة فمن خان الامانة حرم لبابه وانما بقي معه قشره فمثله كمثل جوزة عفنة او بيضة مذرة باطنها ميت وكمثل الفتيلة تحرق نفسها وتضي غيرها فلم تركوا رعايتها خانوا الامانة قال له قايل وما رعايتها قال ان العلم نور يهدي الى الله تعالى في منازل القربة في دار السلام حتى يبلغ درجات الوسايل فهو في القلب وتدبيره في الصدر وانصداد عمله في الصدر الى الجوارح والنفس ذات الشهوات وهي جاهلة لاشتغالها بلذاتها وعماها بظلمة دخانها فذهب هذا الذي جيء وامر هذا النور فتعزز به وافتخر وتكبر على عباد الله تعالى وطلب به الجاه على خلقه حتى خرج الى ان اكتسب به احوال النفس من العز والثنا والمدحة والاستقصا في طلب الربا حتى حسد وبغى وحقد وعادى وبغوا وبارى وتكاثر وباهى وتفاخر وحرص على الجمع من غير وجهه حتى يوديه الى منع الحق والتبذير والانفاق من غير وجهه

الو الثانية من مخطوط كتاب اثبات العلل، نسخة ولي الدين، رقم 770

لانه إذا لم يفعل ذلك وضحى يوم النحر لم يدخل ما زايله من شعره وبشره شيئاً
من الفدى وقد كان شريك البدن في الذنوب والخطيئات فبقي الزايل من شعره
وبشره مع دنس الذنوب ولم يحظ من الفدية حظها فلا مل الفهم عن الله تعالى
في هذا نظر لطيف يفتقد وان مثل هذه الاشيا فاليسير من امر الذنب
عظيم قدره عند الله الا ترى أن الميت اذا كان طويل الاظفار وافر الشعر لم يجزل
منه شيء ولم يوخذ منه شيء واذا زايله شيء ضم اليه لان البشري مما يسره الموسون
عند الموت قد عمت جميع الجسد فوقع لكل شعرة ولكل ظفر منه حظ فاحظى
كل شي عماله من لد الله تعالى وبسراه ورحمته فكذلك اذا ادخل مفتتح ايام
الذبح ومن معلومات مشهورات عند الله ونوى ان يذبح توقا ان يزيل شيئا
من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفدا والكرامة من الله تعالى والرحمة بركات الله

الورقة الأخيرة من مخطوط كتاب *اثبات العلل*، نسخة ولي الدين، رقم 770

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله؛ أما بعد: فإنك سألتني عما اختلف الناس فيه من إثبات العلل في الأمر والنهي، [فقال قائلون: هذا تعبد من ربنا خلقهم فتعبدهم للأمر والنهي][1]، وليس لأمره علة، [و][2] إنما هو امتحان وابتلاء. وقال آخرون: هو ابتلاء وامتحان تعبدهم به، وليس يدفع هذا أحدٌ منا، ولكنَّ عللَها قائمةٌ عَلمَها من عَلمها، وجهلها من جهلها. وسألتني [أن أشرحها][3] بمبلغ علمي؛ فاعلَم أن الله تَعالى خلق الخَلق عبيدا ليعبدوه فيثيبهم على العبودة، ويعاقبهم على تركها. فإن عبدوه فهم اليوم عبيدٌ أحرار [أخيار][4] كرام، وغدا أحرار وملوك في دار السلام. وإن رفضوا العبودةَ فهم اليوم عبيدٌ أبَّاق سفْلة لئام، وغدا [عبيد][5] أعداء في السجون بين أطباق النيران. فأولُ ما اقتضى العَبيدَ معرفتُه ثم توحيدُه اعترافا به وقبولا للعبودة وهي الأمرُ والنهيُ، ثم اقتضاهم الوفاءَ بذلك إلى يوم الممات، فَمَنْ وَفَى له بذلك سقط عنه الوزنُ والحسابُ، ودخل دارَ السلام. ومن عرف واعترف بما عرف؛ [وهو القول به][6]؛ وقَبلَ العبودةَ، ثم وفَّى ببعض العبودة وضَيَّعَ بعضا، وقع في الوزن والحساب، واحتبس عن دار السلام في موضع الوزن والحساب على قدر الوفاء والتضييع. فيقال لهذا الذي نفى العلة وقال هو ابتلاء وامتحان: فهذا [الابتلاء][7] لاستخراج [سرايِر][8] العباد، فإنهم [قد][9] نطقوا بالتوحيد، والذي [انضمر][10] عليه العبادُ لا يعلمه إلا [علاَّم][11] الغيوب. فامتحنهم بالأمر والنهي ليظهر ما في القلوب، فإذا أثاب وعاقب وقدَّم في الثواب وأخَّر، [و][12] كان عذره ظاهرا في عَرَصَة القيامة [فلم يتحيَّر][13] الخَلقُ في قضائه وعدله يوم يجمع الله الملائكة والرسل وسائر الجنود الذين لا يُحصَون، [ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى][14]، ولا أحد أحب إليه [العذر][15] من الله. وكذلك رَوَى [في الخبر][16] عن رسول الله ﷺ

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: شرحها.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) مطموسة في: أ.
(8) في ت: ساير.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) في أ: نظم، وفي ت: نضم.
(11) في ت: عالم.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) غير موجودة في: أ.
(15) في أ: للعدر.
(16) غير موجودة في: ت.

حديثا بذلك الجارودُ بن معاذ، حدثني [أبو][17] معاوية عن الأعمش عن [شقيق][18] عن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «ومن أحب المدح أحب أن يكون أمره ظاهرا يعرفه الجميع لئلا يتحيَّر الخلق في مدحه»[19]. فإن قال قائل: هذا علة [ابتلاء وامتحان][20]، فقد أثبت العلة في الأمر والنهي؛ وإن قال: إن هذا [ابتلاء وامتحان][21]، [قلنا][22]: فإن عاقبة الامتحان ما [ذكرناه][23] [فقد ناقض قوله][24]، إلا أن يكون الابتلاء أيضا عنده غير معلول فقد [تهول][25]. وإن قال: ابتلاهم ليستخرج ضمائرهم [وسرَّهم][26] فيكون عذره غدا في الثواب والعقاب ظاهرا، فقد أثبت العلة. [وإن][27] قال: ابتلاهم لا لعلة، فقد أكذبه التنزيل حيث يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾[28] [الآية][29]، [وقال][30] عز وجل: ﴿ولنبلونكم [حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم][31]﴾[32] [الآية][33] وقال عز وجل: ﴿ألم أحسب الناس أن [يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين][34]﴾[35]، وقال عز وجل: ﴿و[نبلوكم][36] بالشر والخير فتنة [وإلينا ترجعون][37]﴾[38]، وقال عز وجل: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾، وقال [عز وجل][39]: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾[40]. ويقال [للذي نفى العلة: يؤخِّر

---

(17) في ت: ابن.
(18) في أ: سقيق.
(19) لم أقف عليه.
(20) في ت: للابتلاء والامتحان.
(21) في ت: الابتلاء والامتحان.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: ذكرنا.
(24) غير موجودة في: ت.
(25) في ت: تَوَهك.
(26) غير موجودة في: أ.
(27) في ت: فإن.
(28) البقرة: 143.
(29) غير موجودة في: ت.
(30) في ت: فقال.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) محمد: 31.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) في أ: ﴿أن يتركوا﴾ إلى قوله: ﴿الكاذبين﴾.
(35) العنكبوت: 1-3.
(36) في ت: ولنبلوكم.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) الأنبياء: 35.
(39) غير موجودة في: ت.
(40) المدثر: 31.

في](41) مخاطبتك [بمسألة](42)؛ فإن [خرجت منها](43) وإلا فقد [كُفينا](44) أمرك؛ [حدِّثنا](45) عن الله [تبارك وتعالى](46): أمَرَ العباد بما [أمر](47) ونهاهم عن ما نهى جزافاً أم من الحكمة؟ فإن قال: جزافا، فقد أهمل وعطّل الأمر ونسبه إلى اللعب، وإن قال: [من](48) الحكمة خرَجَ الأمرُ والنهيُ إلى [العباد](49)، [قيل له](50): فهات تلك الحكمة ما هي؟ فهل أنت إلا عاجز عن الحكمة وعن دركها؟ [إلا أنك](51) مسلوبٌ نورَ الحكمة، وصدرك مشحون بدخان الشهوات، فإن حريقها [يدخن](52) الصدر [ويظلمه](53)، [فإنما](54) [أتيت](55) [من هاهنا](56). قال له قائل: اشرح [لي](57) هذا الباب! قال: نعم إن الله تعالى فضل العلماء بهذا العلم، فمن رعاه حق رعايته أتاه ظاهر العلم وباطنه، [وظاهره](58) على اللسان وهو حجة [الله على خلقه](59)، وباطنه في القلوب فذلك العلم النافع، وهو قول رسول الله ﷺ: «العلم علمان: فعلم في القلب [فذلك](60) العلم النافع، وعلم [على](61) اللسان [فذلك](62) حجة الله على [ابن](63) آدم»(64). والحكمة ما بطن من العلم، والباطن هو لباب الشيء، والظاهر هو قشر الشيء، والانتفاع باللباب لا بالقشر. والعلم وديعة الله [تعالى](65) في الصدور، والوديعة أمانة، فمن خان الأمانة حرم لبابه، وإنما يبقى معه قشره. فمثله كمثل جوزة عفنة، أو بيضة مذرة؛

---

(41) مطموسة في: أ.
(42) غير واضحة في: أ.
(43) مطموسة في: أ.
(44) في ت: كفيناك.
(45) في ت: حديثا.
(46) غير موجودة في: أ.
(47) في ت: أمرهم.
(48) في ت: في.
(49) في ت: العبادة.
(50) غير موجودة في: ت.
(51) في ت: لأنك.
(52) في ت: يدحر.
(53) غير موجودة في: ت.
(54) في ت: فإن.
(55) غير واضحة في: ت.
(56) في ت: من هذا.
(57) في ت: لنا.
(58) في ت: فظاهره.
(59) غير موجودة في: ت.
(60) في ت: وذلك.
(61) في ت: في.
(62) في ت: وذلك.
(63) في أ: بني.
(64) رواه الدارمي في «المقدمة» من سننه تحت رقم 367.
(65) غير موجودة في: أ.

[باطنها ميتة، وظاهرها طيبة][66]، وكمثل الفتيلة تحرق نفسها وتضيء [لغيرها][67]، فلما تركوا رعايتها خانوا الأمانة. قال له قائل: وما رعايتها؟ قال: [إن][68] العلم نور [به يهتدى][69] إلى الله تعالى في منازل القربة في دار السلام حتى يبلغ درجات الوسائل، فهو في القلب، وتدبيره في الصدر، وانصدار عمله [من][70] الصدر إلى الجوارح. والنفس [ذات شهوة][71]، وهي جاهلة لاشتغالها بلذاتها وعماها بظلمة دخانها. فذهب هذا الذي [حُبي][72] وأكرم بهذا النور؛ [فتعزز][73] به وافتخر، وتكبر على عباد الله تعالى [وَرَايا][74]، وطلب به الجاه [عند][75] خلقه حتى خرج إلى [أن][76] اكتسب به أحوال النفس من العز والثناء والمدْحة والاستقصاء في طلب الرئاسة حتى يحسدَ، ويبغي، ويحقد، ويعادي، و[يَلهو][77]، ويماري، ويكاثر، ويباهي، ويفاخر، ويحرص على الجمع من غير وجهه [حتى يؤديه إلى منع الحقوق، والتبذير، والإنفاق من غير وجهه][78]، ويلهيه عن [مواعظ الله][79] سبحانه، والوعد، والوعيد، والموت الذي يعاينه في [نظرائه][80]، و[شأن البلى][81] في البرزخ والحشر والحساب وأهوال يوم القيامة والعرض على الله تعالى، وتضييع العبودة، وحل [الوثاق ونقض][82] الميثاق [بموت][83] قلبه، و[تهمل][84] جوارحه عن جميع الورع و[نحلتَهُ][85] مع هذا كله [وأكثر من ذلك][86] العلم. فإن حياته بقيت [حتى لم يأتها][87]، وكيف يطمع هذا في لباب العلم وقد علم الله تعالى أنه لما نال [قشر][88] الجوز اكتفى به عن اللباب؛ [فهل القشر إلا للنار][89]؟! وإن [له][90] عبادا لما نالوا اللباب بعد تقويمهم أنفسهم

(66) في ت: ظاهرها لطيف باطنها ميت.
(67) في ت: غيرها.
(68) غير موجودة في: أ.
(69) في ت: يهدي.
(70) في ت: في.
(71) في ت: ذات الشهوات.
(72) في ت: حبي.
(73) في ت: فتعرف.
(74) غير موجودة في: ت.
(75) في ت: على.
(76) غير موجودة في: ت، وفي أ: أنه.
(77) في ت: يلهوا.
(78) غير موجودة في: أ.
(79) في ت: مواعظ لله.
(80) في ت: نظراته.
(81) في ت: شنان البلاء.
(82) غير موجودة في: ت.
(83) في ت: فيموت.
(84) مطموسة في: أ.
(85) في ت: لحلته.
(86) غير موجودة في: ت.
(87) غير موجودة في: ت.
(88) في ت: قشرة.
(89) في ت: فهذا القشر لعله لا يليق إلا النار.
(90) في ت: لله.

ولزومهم الاستقامة، التفتوا إلى [أنفسهم][91]، فرأوها، رأوا [أنهم][92] [اكتفلت][93] به عن القيام بحقها، صرخوا إلى الله تعالى كصراخ أهل الكبائر، ورأوا أنهم في نفاق لما قد فقدوا الوفاق [من إهمالهم بعلومهم][94]. فإن العلم [صاف][95] والنفس كدرة، و[العَمَل][96] مخرجه من النفس وممره من الصدر [عليها][97]. فمن هاهنا [قال علقمة حين قيل له: «أتؤمن؟» قال: «أرجو»، و][98] قال الحسن البصري: «الإيمان قول وعمل»، وقال: «ليس الإيمان [بالتحلي][99] والتمني، ولكن الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال». فالحكمة إنما ينالها من [راض][100] نفسه رياضة أقامها على جميع حقوقه وأوامره، حتى [يخلي][101] صدره من الشهوات، وصار كمفازة لا أنيس فيها، وصار قلبه [جَرداً نَهراً][102] [كما وصف رسول الله ﷺ فقال: «قلب المؤمن أجرد أزهر». فـ][103] إنما صار [أجرد][104] حين تجرد وتخلى من [شهوات][105] النفس الأمارة بالسوء، وإنما صار أزهر [لما][106] أشرق إيمانه حين خرج من سحايب الشهوات ومناها بمنزلة شمس خرجت من كسوفها. فالإيمان شمس القلب، وكسوفه إذا غشيه دخان الشهوات و[فورانها][107]. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله [تعالى][108] أوانيَ في الأرض، ألا وهي القلوب، فخيرها أصفاها وأرأفها وأصلبها: فأصفاها من كدورة الأخلاق، وأرقها [للمؤمنين][109]، وأصلبها في [ذات الله][110] تعالى»[111].

---

(91) في ت: نفوسهم.
(92) غير موجودة في: ت.
(93) في ت: اكتفت.
(94) في ت: عن أعمالهم لعلومهم.
(95) في أ: ضاق.
(96) في ت: العلم.
(97) غير موجودة في: ت.
(98) غير موجودة في: أ.
(99) في ت: التخلي.
(100) في ت: راضت.
(101) في ت: تخلى.
(102) في ت: أجرد أنهر.
(103) غير موجودة في: ت، والحديث أخرجه أحمد والطبراني في *الصغير* من حديث أبي سعيد بصيغة: «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر»: انظر: *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار* لزين الدين العراقي: «كتاب شرح عجائب القلب»: 3/ 14.
(104) في ت: أنهر.
(105) في أ: الشهوان.
(106) في أ: بما.
(107) في أ: فوارنها.
(108) غير موجودة في: ت.
(109) في ت: للمؤمن.
(110) في ت: دين الله.
(111) رواه الطبراني من حديث أبي عتبة مع اختلاف في اللفظ، قال زين الدين العراقي: لم أرَ له أصلا، انظر: *المغني*: «كتاب شرح عجائب القلب» 3/ 16.

ولهذا شرح طويل قد [ذكرناه][112] في كتاب *صفة القلوب ومنازلها*. [و][113] روي عن رسول الله ﷺ أنه سئل: [أيّ المؤمنين][114] أفضل [فـ][115]قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: ما مخموم القلب؟ قال: النقي التقي [الذي][116] لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[117]. معناه عندنا: [تقي][118] من الإثم والبغي، [نقي][119] من الغل والحسد. قال أبو عبد الله [رحمة الله عليه][120]: [عدنا][121] إلى ما ذكرناه بدياً، [قلنا][122]: [وإذا راض][123] نفسه، [وتخلى عن الشهوات][124]، خلا صدره. فإذا كان كذلك شرحه الله بنوره و[امتلأ][125] صدره من النور، فبنوره [تلاحظ][126] الحكمة في محلها، فينال بملاحظته منها علل الأمر والنهي، و[يلاحظ][127] المقادير [في محلها][128]، فينال منها بملاحظته [علل][129] أعمال العُمَّال، كيف لطف ربنا جل وعز في قسمتها بين خلقه، وكيف حسن تدبيره فيها، و[يلاحظ][130] [أمر][131] الكتاب في محله، فينال منها بملاحظته علل ما [يمحو أو يكتب][132] [فيها][133] بمشيئته. و[يلاحظ][134] مجرى القضاء في ملك الجبروت، فتحكم له هذه اللحظات كلها. فإنما ينال هذا كله بنوره الذي [يشرق][135] على قلبه في صدره، وهو قوله عز وجل: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾[136]. وفي هذا الباب كلام كثير، إنما

---

(112) في أ: ذكرنا.
(113) غير موجودة في: أ.
(114) في ت: المؤمن.
(115) غير موجودة في: ت.
(116) غير موجودة في: ت.
(117) رواه ابن ماجة في «كتاب الزهد» من سننه عن عبد الله بن عمر تحت رقم: 4206. وقال فيه زين الدين العراقي: «اسناده صحيح»، انظر: *المغني*: 3/16.
(118) في ت: نقيا.
(119) في ت: تقيا.
(120) في ت: رحمه الله.
(121) في ت: عندنا.
(122) غير موجودة في: ت.
(123) في ت: فإذا أراض.
(124) في ت: لخلاف الشهوات.
(125) في أ: امتلأه.
(126) في أ: يلاحظه.
(127) في أ: يلاحظه.
(128) غير موجودة في: ت.
(129) في ت: عدد.
(130) في ت: تلاحظ.
(131) في أ: أم.
(132) في أ: تمحوا تكتب.
(133) في ت: منها.
(134) في أ: يلاحظه.
(135) في ت: أشرق.
(136) الزمر: 22.

[يخاطب](137) به أهله، عجزت العامة عن دَرك ذلك فهماً، فطويناه عنهم لئلا [تظلم](138) الحكمة، فإن عيسى عليه السلام قام خطيبا في قومه فيما روي عن نبينا [محمد](139) ﷺ عن عيسى عليه السلام أنه قال: «يا بني إسرائيل لا تظلموا الحكمة فتضعوها في غير أهلها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»(140). فلو قلنا للعامة: قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ أي نور هذا؟ لعجزت عن جوابه، ولو هديتُها [لم تهتد](141)، ولا قدرتْ [على](142) احتماله. فمن طلب علل هذه الأشياء من [الحكمة](143) فإنه لم يطلبها على [وجه](144) المخاصمة والمنازعة [والمجادلة والمماراة](145)، بل قبلها من ربه أحسن قبول، ثم طلب عللها من الوجه الذي ذكرنا. وبذلك [النور](146) لاحظ واستبان له حمد الله، وكان [علم](147) ذلك له على القيام به أعون، لأن الصدر منشرح [له](148)، والقلب مشرق، وإنما يحرُم طَلَب هذا [من جاهل يجادل في قانون الحق](149)، وهذا قول ملحد نازع الله تعالى في [العبودية](150) لزيغ قلبه، فأما من قبل وتدبَّر؛ [سلم نفسه لله](151) تسليما فيما عقل العلة وفيما لم يعقل، ثم أوتي حكمتها، فنطق بها ليشرح الله [تعالى](152) [صدرهُ](153) به [وعلى لسانه](154) صدورا مظلمة، [فتستبين](155) وتستنير على قلوبهم، فهذا محمود مغبوط، ومثل ذلك كمثل رجل في يده جوهرة، وهو ممن [يعرف الجوهر](156) إلا ما ظهر على [عينه](157) منه، فوشيكا أن يخدع عنه، والذي يبصر الجوهر لا يخدع عنه ولا

---

(137) في ت: نخاطب.
(138) في ت: نظلم.
(139) غير موجودة في: ت.
(140) رواه الدارمي في «المقدمة»، من سننه تحت رقم 380، وهو موقوف عن كثير بن مرة بلفظ: «لا تحدث الباطل للحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتُجهَل، إن عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا».
(141) في ت: لم يهتدوا.
(142) غير موجودة في: ت.
(143) في ت: الحكماء.
(144) في ت: جهة.
(145) غير موجودة في: ت.
(146) غير موجودة في: ت.
(147) في ت: له علم.
(148) في ت: به.
(149) في ت: من جاجَك وجادل في قبول الحق.
(150) في ت: العبودة.
(151) في ت: ثم سلَّم اللهَ نفسَه.
(152) غير موجودة في: أ.
(153) غير موجودة في: ت.
(154) غير موجودة في: ت.
(155) في ت: فيستبين.
(156) مطموسة في: أ.
(157) في ت: عيبه.

[يُغْبَنُ][158]. [فكم][159] من رجل من العـمّال [يوثر][160] مداني الأعمال على معاليها لجهله [أو لقلة معرفته][161] [لجواهرها][162]، فهل [أوتي ذلك][163] إلا من حرمان الحكمة؟! [قال الله تعالى][164]: ﴿[يؤتي][165] الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾، [ثم قال][166]: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾[167]. فأهل اللب فهموا هذه الأشياء. وقال: ﴿و[يعلمه][168] الكتاب والحكمة﴾[169]، [فـ][170] الكتاب [علم الظاهر][171]، والحكمة [باطنه][172]. ومن هاهنا قول رسول الله ﷺ: «ما من آية إلا ولها ظهر وبطن». [و][173] قيل له: «يا رسول الله إننا نجد لقراءتك لذة [ما][174] نجدها لقراءة غيرك»، قال: «لأنكم تقرؤونه [لظهر][175] وأنا أقرؤه لبطن»[176]. معناه عندنا أنه كان يقرأ ويطالع الحكمة، فيلذ المستمع لقراءته، لأن تلك قراءةٌ كسْوَتُها نور الحكمة. فمن عجز عن هذا فإنما قراءته [دُرٌّ، و][177] الكلام عابر بلا كَسوة. وكذلك من عمل أعمال [البر][178] [بلا][179] نور [ينشرح][180] به صدره، فإنما هي قوالب خالية، [فمن][181] له زق من الشراب، أهديته إلى ملك، وفي أسفله من الشراب شيء قليل، وقد نفخت فيه نغامته ريح، وهو في رأي العين ممتلئ. فلما [حُل][182] الوِكاء بين يدي الملك، [خرجت الريح وبقيت الجلدة ساقطة وفي أسفلها شيء

(158) في ت: بغير.
(159) في ت: وكم.
(160) غير واضحة في: ت.
(161) غير موجودة في: ت.
(162) في ت: بجواهرها.
(163) في ت: أتى في ذلك.
(164) في ت: فإن الله.
(165) في أ: يؤت.
(166) غير موجودة في: ت.
(167) البقرة: 269.
(168) في ت: تعلمه.
(169) آل عمران: 48.
(170) في ت: و.
(171) في ت: من العلم الظاهر.
(172) في ت: الباطنة.
(173) في ت: ف.
(174) في ت: لا.
(175) في أ: كظهر.
(176) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحو هذا اللفظ: «إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا» (انظر: *المغني*: الفصل الثاني من «كتاب قواعد العقائد»: 1/119).
(177) في أ: دور.
(178) في ت: الدين.
(179) غير موجودة في: أ.
(180) في ت: يشرح.
(181) غير واضحة في: أ.
(182) في ت: خل.

يسير. فهكذا صفة من عمل من أعمال البر على غفلة[183]، وإنما عملها على العادة، [والسائد][184] [يؤذي][185]، قال الله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾[186]. فالحكمة لخاصة الله تعالى وإنما صاروا خاصته لأنهم جاهدوا نفوسهم في الله حق جهاده، فأخلوا صدورهم [من][187] حب النفس وشهواتها، فاستوجبوا الرحمة، وأُمدُّوا بالنور، فلما أشرق النور في صُدورهم، [طالعوا][188] الحكمة بعيون القلوب، وهو قول رسول الله ﷺ: «إذا قذف النور في قلب عبد انفسح وانشرح، قيل: يا رسول الله [هل لذلك من علامة][189] يعرف بها؟ قال: نعم! الإنابة [إلى][190] دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[191]، ثم قرأ: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾[192]. قال له قائل: [قد][193] ذكرت أنه يؤثر مداني الأعمال على معاليها؛ فما هذه الأثرة؟ ومثل ماذا؟ قال: مثل قوله جل و[عز][194]: ﴿[يا][195] أيها الناس اتقوا ربكم﴾، [ثم قال: ﴿اتقوا الله﴾[196]][197]. [وقال][198] في موضع آخر: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾[199]، وقال: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾[200]. فلو وقف أحد من العُمَّال على هذه الأربع، [هل يقدر أن يُخرج منها علما أو يميز بين هذه الأربع؟][201] [ثم][202] يتقي الرب وبم يتقي اللهَ؟ و[بم][203] يتقي اليوم؟ وبم يتقي النار؟ فإذا لم يجد عنده علم هذا؛ علمتَ أنه [يجهل][204] [أن][205] يعبد ربه، والجاهل لا يحسن أن يعبد ربه. ومثل

(183) غير موجودة في: ت.
(184) غير واضحة في: أ.
(185) في أ: يد يود.
(186) لقمان: 12.
(187) في أ: في.
(188) في ت: طالعاً.
(189) في ت: هذا نور هل لذلك علامة.
(190) في ت: في.
(191) لم أقف عليه.
(192) الزمر: 22.
(193) غير موجودة في: ت.
(194) في ت: علا.
(195) غير موجودة في: «أ» و«ت».
(196) النساء: 1.
(197) غير موجودة في: ت.
(198) في ت: ثم قال.
(199) البقرة: 281.
(200) آل عمران: 131.
(201) غير موجودة في: أ.
(202) في ت: بمَ.
(203) في ت: لَمَ.
(204) في ت: بجهل.
(205) غير موجودة في: أ.

[قوله][206] ﷺ [حين قيل له: «أي الأعمال أفضل؟» قال: «إدخال السرور على قلب المؤمن»[207]. فهل يقصد العمال لهذا الأفضل؟! ومنه][208] [قوله][209] ﷺ: «أنا وكافل اليتيم يوم القيامة كهاتين وأشار بأصبعيه»[210]. فأي بقعة أشرف وأنور وأروح وآمن وأسلم [من][211] تلك [العَرَصة][212] من البقعة التي يقف عليها [رسول الله ﷺ][213]؟ فهل يقصد لهذا أحد؟ ومثل قوله عز وجل: ﴿فمن [عفا][214] وأصلح فأجره على الله﴾[215]. فصير أجره ضمانا ووعدا، وقال ﷺ: «أكمل المومنين [إيمانا][216] أحسنهم خلقا مع أهله»[217]. [فهل نجد أحدا مع أهله][218] يميل إلى مثل هذه الأشياء؟! إنما عامتهم تميل إلى عمل أهل الخداع صلاة وصوما وحجا وجهادا مع تخليط ورياء [وصَلَف][219] وتيه وتكبر و[تصنّع][220] وإعجاب. فلو [برأت صدورهم][221] من هذه الأسقام، إذاً لذهب سقم إيمانهم وطالعوا الحكمة، فقصدوا الأمور على حسب جواهرها، وهم في العبادة إذاً أخلصوا لا في [العبودية][222]، وإن لم يخلصوا فهم في بطالة، وسنكشف لكم عن بعض هذه العلل إن شاء الله تعالى. ومع هذا يستيقن أنه لم يكن في المقادير شيء [يجري على العباد إلا بحكمة، ولم][223] يخرج إلى العباد من وجه من الأمر والنهي إلا [الحجة][224]. [وعن الحسن قال: «إن الله تعالى لم يوصل إليه دون حجبه غيرُ ثلاثة: الرحمة عن يمينه، وأم الكتاب عن يده الأخرى، والحكمة بين يديه يدبر فيها

---

(206) في ت: قول رسول الله.

(207) لم أقف عليه.

(208) غير موجودة في: ت.

(209) في ت: قول رسول الله.

(210) أخرجه البخاري بلفظ «بالجنة» بدل «يوم القيامة» من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبي هريرة. (انظر: *المغني*: الباب الثالث من «كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق»: 2/ 227).

(211) في أ: في.

(212) في أ: العرضه.

(213) غير موجودة في: ت.

(214) في «أ» و«ت»: عفى.

(215) الشورى: 40.

(216) غير موجودة في: ت.

(217) رواه الترمذي بلفظ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله»، والنسائي، والحاكم وقال: «رواته ثقات على شرط الشيخين». انظر: *المغني*: الباب الثالث من «كتاب آداب النكاح»: 2/ 50.

(218) غير موجودة في: ت.

(219) غير موجودة في: ت.

(220) في ت: تضييع.

(221) في ت: فلو برأ من صدورهم.

(222) في ت: العبودة.

(223) في ت: يخرج عن العباد إلا الحكمة ولا.

(224) في ت: حجة.

أمور عباده»، ثم قرأ: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[225]، و﴿إنّ ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾[226]][227]. وعن الحسن [رحمه الله][228] قال: «ما أدركنا من هذه العلل من طريق الحكمة [تكلمنا][229] فيه و[بيناه][230] تأويلا للحكمة لا حكما على الله في غيبه، وما خفي علينا سلمنا له، والعبودة لله منّا فيه قائمة»، وعن [عيينة][231] قال: «جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عَنه فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان؟ قال: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، و[الصبر][232] منها على أربع شعب: على الشوق و[التشفق][233] والزهادة والترقب، [ف][234]من اشتاق إلى الجنة سَلاَ عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه [المصيبات][235]، ومن ارتقب الموت [سارع إلى][236] الخيرات، واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، و[تأويل][237] الحكمة، وموعظة [العبرة][238]، وسنة الأولين، فمن [تبصر][239] الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل على أربع شعب، [على][240] غامض الفهم، وزهرة العلم، وشرايع الحُكم، [وروضة الحكم، فمن فهم فَسَّر جميل العلم، ومن علم عرف شرايع الحُكم، ومن حلم لم][241] [يفرط][242] في أمره وعاش في الناس [محمودا][243]، والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ [ظهر المؤمن][244]، ومن نهى عن المنكر رغِمَ أنفَ [المنافق][245]،

---

(225) القصص: 68.
(226) الاسراء: 30 وهي بدون حرف «إن» في: أ.
(227) غير موجودة في: ت.
(228) غير موجودة في: أ.
(229) في ت: فكلامنا.
(230) في ت: بيَّنا فيه.
(231) في أ: غيره.
(232) مطموسة في: أ.
(233) في أ: الشفق.
(234) غير موجودة في: ت.
(235) في ت: المصايب.
(236) في ت: ما سارع.
(237) في ت: تأوّل.
(238) في ت: العبيرة.
(239) في ت: تبصره.
(240) غير موجودة في: أ.
(241) غير موجودة في: ت.
(242) في ت: نعرصا.
(243) غير موجودة في: ت.
(244) مطموسة في: أ.
(245) في ت: المنافقين.

ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسق [ومن][246] غضب لله [تعالى][247] غضب الله سبحانه له، فقام رجل فقبّل رأسه». [فقوله][248]: «من تبصر الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة»؛ فهو تحقيق ما وصفنا [بدءاً][249]. وكذلك قوله: «من فهم فسّر [جميل][250] العلم، ومن علم عرف شرايع [الحكمة][251]» تحقيق ما قلنا، [فإن][252] الله سبحانه شرع لكل رسول شريعة الأمر والنهي من الحكمة البالغة، فمن علم ذلك فقد عرف الشرايع، فهذا صنف. والصنف الآخر هم أهل الفهم لهذا العلم، فإنما يفسرون جميل العلم، فإن [للعلم][253] جمالا، وجماله في باطنه.

---

(246) غير موجودة في: أ.

(247) غير موجودة في: ت.

(248) في ت: فقول.

(249) في أ: بدايا.

(250) في ت: جميع.

(251) في ت: الحكم.

(252) في أ: وإن.

(253) في أ: العلم.

ذكر علة الإقرار بالتوحيد

فأول ما نبدأ بذكر علة [الإقرار][1]: التوحيد، فنقول: إن الله تعالى اقتضانا [المعرفة، والمعرفة بالقلب][2]، واقتضانا [الإقرار][3] به نطقا، فمن لم يفهم علته زاغ عن القصد و[انتظم][4] في الجور، وزعم أن المعرفة تجزي عن الإقرار. وإنما [حمله على ذلك القياس][5] فقال: إن القلب مجمع الأركان ومَلكها، فإذا عَرَفَهُ بقلبه وعقد الولاية له والتسليم إليه، فالأركان تبع له، وقد [اكتفَى][6] به. وإنما الإقرار عمل اللسان، وهي جارحة من الجوارح، وسائر الأعمال كذلك. فأنزل تارك الإقرار منزلة تارك الأعمال، فلو عَرَفَ علَّة الإقرار الذي [اقتضى ابدالَهُ][7] عوَار. [قوله][8]: ومن خفيت عليه العلة من أهل الحق والصواب لم يكن عند [أكثر][9] من أن يفزع [إلى الآية][10] محتجاً بها [من][11] قوله سبحانه: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾[12]، فاحتج بها على مخالفه ولم يكن عنده وراء هذا شيء. فالمخالف يتأوَّل عليه في هذه الآية ما [يحيره ويشبه][13] عليه [فيقول][14]: هذه [ندبة][15] وقد ندب إليها. ألا ترى أنه يقول في [إثرها][16]: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾[17]، ولم يقل: فإن قالوا بمثل ما قلتم به فقد اهتدوا. [فإذا][18] كانت الآية [وحكمة الآية إلاّ كأخذ بالنفس][19] [كافية باليقين][20]، لأن الله تعالى دعا الخلق

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: المعرفة في القلب.
(3) في ت: للإقرار.
(4) في ت: ارتضم.
(5) في ت: جملة ذلك على القياس.
(6) في ت: اكتفي.
(7) في ت: اقتضانا لبدالة.
(8) في ت: قلبه.
(9) في ت: الشرف.
(10) في ت: لي.
(11) في ت: في.
(12) البقرة: 136.
(13) غير واضحة في: ت.
(14) في ت: فنقول.
(15) في ت: نبدة.
(16) في ت: آخرها.
(17) البقرة: 137.
(18) في ت: مما.
(19) غير موجودة في: أ.
(20) غير موجودة في: ت.

إلى أن [يعرفوه فيوحدوه][21] [قلباً][22]، فلو [اكتفى][23] منهم بذلك [ولم يقتضهم الإقرار به، فكان][24] إذا عرفوه [ووحدوه][25] حرمت دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، وصاروا أحباء في ذمته كان ذلك سراً فيما بينهم وبينه. فمتى كانت تقوم حجة الله سبحانه على من تناول منّا دما أو عرضا أو مالا، فيقتصُّ لهم في الدنيا، وينتقم لهم في الآخرة؟! فمن تناولَهم فالله تعالى [يقاصهم][26] في تلك العرصة يوم القيامة، ويمد ذلك اليوم طولا [ليبرز][27] عدله على الجميع فيهلك في عدله من هلك، ثم يُهْطل فضلَه على أهل رحمته حتى لا ينجو أحد [ممن][28] نجا إلا بفضله وبرحمته. فَإذا لم تقم الحجة في دار الامتحان، كيف [يُقَدَّر][29] عدله هناك [عنده][30]؟! [فإن سأله][31]: ما حملك على سفك [دم][32] عبدي وعلى تناول عرضه [أو مَاله][33] وهو في ذمتي وذمة الإسلام [الذي قَبلَهُ مني][34]؟ قال: لم أعلم أنه في ذمَتك، ولا علمت ما في قلبه [لك][35] من المعَرفة والجهل والتوحيد والشرك. فاقتضى اللهُ [العبادَ][36] الإقرارَ بالإيمان؛ [لتكون][37] حجة الله [تعالى][38] قائمة، كما بعث الله الرسل ليبين لهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير. فهذه علة الإقرار، صيّر اللهُ تبارك [وتعالى][39] اسمُه هذه الكلمةَ عصمةً [للمؤمنين][40] في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا: فحرمة الدم والعرض والمال، وأما في الآخرة: فإن كان مسيئا فَمَرَّ على حد النقمة، [فنالته ألسنة النار وشرورها][41] ولهبها، [و][42] نوديت النار [أن][43] لا سبيل لك على لسانه الذي كان مدرَجَهُ [توحيدي][44]، و[لذلك][45] قال رسول

(21) في ت: وحّدوه فيعرفوه.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: اكتفي.
(24) في ت: ولم يقتصر للإقرار به وكان.
(25) غير موجودة في: أ.
(26) في ت: يقصه.
(27) في ت: يقرر.
(28) في ت: م.
(29) في ت: يقرر.
(30) في ت: غيره.
(31) في ت: فإنه يسأله.
(32) غير موجودة في: أ.
(33) مطموسة في: أ.
(34) في ت: من الذي قبلَهُ.
(35) غير موجودة في: أ.
(36) في ت: للعباد.
(37) في أ: ليكون.
(38) غير موجودة في: ت.
(39) غير موجودة في: ت.
(40) في ت: للمؤمن.
(41) في ت: تناوله شرر النار.
(42) غير موجودة في: أ.
(43) غير موجودة في: ت.
(44) في ت: لتوحيدي.
(45) في ت: كذلك.

الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله [فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله](46)»(47). فقد بان في الحديث علة الإقرار لماذا ينبغي من الخلق. وما روي عن أسامة [بن](48) زيد حيث حمَل على رجل في القتال، فقال الرجل: لا إله إلا الله، فقتله فبلغ [الخبر](49) رسول الله ﷺ فقال لأسامة: «أقتلته وهو يقول لا إله إلا الله»؟! فقال: «يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل»، فقال: «فهلاَّ شققت عن قلبه [قال: «وما ثنى بضعة من لحم»»](50)، فقال رسول الله ﷺ: «فلا ما في قلبه علَمْتَ ولا لسانَه صدَّقتَ! أقتلته وهو يقول لا إله إلا الله؟!»، فما زال يرددها حتىَ تمنيتُ أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ(51).

(46) غير موجودة في: ت، حيث عوضت بكلمة: «الحديث».

(47) متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر وابن عمر، انظر: المغني: الباب الثاني من «كتاب العلم»: 1/ 29.

(48) غير موجودة في: ت.

(49) غير موجودة في: أ.

(50) غير موجودة في: ت.

(51) أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد. انظر: المغني: 1/ 29.

ذكر علة الأعمال

وأما علة الأعمال، فإنهم لما عرفوه قلبا، واعترفوا به نطقا، وأظهروا هذه الكلمة، اقتضاهم الوفاء بها، وهي الأعمال. فلو لم يدعهم إلى عمل الأركان، وقدموا عليه يوم القيامة ما [كان][1] لهم محل. ومنهم من اعترف [باللسان][2]، وهو منافق، ومنهم من اعترف وعرف بقلبه، ثم زاغ ببعض الأهواء. ومنهم من عرفه بقلبه، واعترف به، ثم قصر في أمره ونهيه. فهل كان ذلك التقصير [إلا][3] من سُقْم في [إيمانه و][4] معرفته. فمتى كان يظهر عند [الجمع][5] من الملائكة والرسَل وجنود ربك يومئذ في تلك العرصة، [شأن][6] أهل الثواب والعقاب. وكانوا لا يرون من ربهم شيئا إلا [أن يأمر][7] بواحد إلى الجنة، وبواحد إلى النار، وبواحد [إلى][8] [أعالي][9] درجات الجنان، وبواحد إلى [أدانيها][10]. وكان أهل [الجمع][11] يومئذ في حيرة عظيمة في [شأن][12] الرب عز وجل مع العباد. [و][13] متى كان يظهر عدله عندهم في قسمة [دار][14] الثواب؟! ومتى كان يظهر فضله عندهم وكرمه على أهل منته؟! ومتى كان يظهر قوله: ﴿إني أعلم ما لا يعلمون﴾ حين قال [للملائكة][15]: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، فقالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[16]؟!. ومتى كان يظهر عذره في منعه

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) مطموسة في: أ.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: الجميع.
(6) في ت: سار.
(7) في ت: يومر.
(8) غير موجودة في: ت.
(9) في ت: عالى.
(10) في أ: داينها.
(11) في ت: الجميع.
(12) مطموسة في: ت.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) في ت: دواد.
(15) غير موجودة في: ت.
(16) البقرة: 30.

الملائكة الجنة حين سألته فقالت: «نحن الملائكة المقربون ونحن الصافون ونحن المسبحون ومنا الكرام الكاتبون، [أعْطَيْتَ][17] بني آدم [الدنيـا][18]، فاجعل لنا الآخرة»، فقال: «لن أفعل»، [فسألوه][19] ثانية فأبى عليهم، فسألوه ثالثة فقال عز وجل: «[لن أفعل، لن][20] أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان؟ هم عبادي المقربون»، ويقول رسول الله ﷺ: «لا [أحد][21] أحبُّ إليه المدح [من الله][22]، ولا [أحـد][23] أحب إليـه العـذر من الله، فمن أحب أن يكون ممدوحا، أحب أن يكون معذروا لئلا ينكس مدحه عند خلقه»[24]. فاقتضى الله العباد [إظهار][25] مـا في قلوبهم [له][26] بأعمال الجوارح [الكي][27] يكون [شنآنه][28] في الثواب والعقاب والتقديم والتأخير [مكشوفا][29]. فكلٌّ إنما يقدم بنور عمله وسيمَا جوارحه من الخير والشر. ألا ترى أن هذه [الأمة][30] عرفت من [بين][31] الأمَم بأنهم: غـرٌّ من آثار السجود [و][32] محجلون من آثار الوضوء. [وكذلك قوله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾][33]. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعرف أمتي يوم القيامة، فإنهم يأتون غُرّاً من آثار السجود، ومحجلين من آثار الوضوء][34]، فإذا أمرَ بأحدهم إلى الدرجات العُلى علم الجميع [بم][35] نال هذا، وقالت الملائكة [بأجمعها][36] من سماء طي رب العالمين بعَلِيِّ الأصوات: بمَنِّ الله وفضله لا [بعَمَلكَ][37]، وإذا أمر [بأحدهم][38] إلى النار قالت الملائكة [بأجمعها][39]: بذنبكَ [بذَنبك][40] وما الله بظلام للعبيد»[41]. فبفعل

---

(17) مطموسة في: ت.
(18) في ت: الدين.
(19) في ت: وسألوه.
(20) في ت: لا.
(21) في ت: أجد.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: أجد.
(24) روى نحوه مسلم في «كتاب التوبة» من صحيحه برقم: 4958.
(25) في ت: أطهار.
(26) غير موجودة في: ت.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) غير موجودة في: أ.
(29) في ت: مكسوفا.
(30) في ت: الأفة.
(31) في ت: سر.
(32) غير موجودة في: أ.
(33) الفتح: 29.
(34) غير موجودة في: ت.
(35) في ت: بما.
(36) غير موجودة في: ت.
(37) في أ: بعلمك.
(38) في ت: بأخذهم.
(39) غير موجودة في: ت.
(40) غير مكررة في: ت.
(41) رواه البخاري في «كتاب الوضوء» من صحيحه برقم 133، ومسلم في «كتاب الطهارة» من صحيحه برقم 363، لكن بدون زيادة «فإذا أمر أحدهم إلى الدرجات العلى... إلخ».

الأعمال إبرازُ ما في الضمائر لله تعالى، [والله غني عن خلقه وعن أعمالهم][42]، [ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ][43]: «من أحب أن يعلم ما منزلته عند الله [سبحانه][44] فلينظر ما لله عنده من المنزلة، فإن الله [تعالى][45] ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من نفسه»[46]. فهل يعرف العباد بعضهم من بعض ما في ضمائرهم لله تعالى، وما في قلوبهم من العلم بالله [سبحانه][47]، والمعرفة لله [سبحانه وتعالى][48] [إلا بما][49] يظهر على ألسنتهم من نشر [آلائه وكرمه ومننه][50] [وأفضاله على عباده، وبما يظهر][51] [على أخلاقهم][52] من الإخلاص والتخليط والصفاء و[الكدورة][53]. وعلى أعمالهم من الوفاء والتضييع والأمانة والخيانة والإقبال والإدبار والتوجه والإعراض والقرب والبعد و[الانكماش][54] في الجد والتراخي والكسل. وقد قال عز وجل: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم [والصابرين﴾][55] الآية][56]، أي نستخرج ضمائركم من يجاهد نفسه في ذاتي، ومن يصبر على تجرع [مرارات][57] ردِّ الشهوات [من أجلي][58]، وقال الله [تعالى][59]: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة [وإلينا ترجعون][60]﴾[61]. [فالعين حريق، و][62] الشهوات حريق، [و][63] إنما هي كجمرة [موضوعة][64] [في جوف][65] الآدمي، فإذا جاءه [من][66] تدبير الله وقضائه ما [يجب][67] [ثار][68] حريق [الشهوة][69] [قبل تَرَحٍ، وإنما هي جمرة واحدة تثور بوجود محبوبها، وتثور

---

(42) غير موجودة في: ت.
(43) في ت: وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال.
(44) في ت: تعالى.
(45) غير موجودة في: ت.
(46) أخرجه الحاكم من حديث جابر وصححه (انظر: *المغني*: «كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا»: 4/ 364).
(47) في ت: تعالى.
(48) غير موجودة في: أ.
(49) في ت: إنما.
(50) في ت: الآية وكريم منه.
(51) غير موجودة في: ت.
(52) في ت: وعلى اختلافهم.
(53) في ت: الكدرة.
(54) في ت: الانكماس.
(55) محمد: 31.
(56) غير موجودة في: ت.
(57) في ت: مراراتي في.
(58) غير موجودة في: ت.
(59) في ت: عز وجل.
(60) غير موجودة في: ت.
(61) الأنبياء: 35.
(62) مطموسة في: أ.
(63) غير موجودة في: ت.
(64) غير موجودة في: ت.
(65) مطموسة في: أ.
(66) غير موجودة في: أ.
(67) غير منقطة في: «أ» و«ت».
(68) في ت: نار.
(69) في ت: الشهوات.

بفقد محبوبها. فالعبد[70] [بين فرح وترح][71]، [والمؤمن][72] جعل فرحه شكراً وترحه صبراً، إن جاءه ما يفرح به علم أنه من ربه فقال: الحمد لله، وانكمَشَ في الطاعة، وإن جاءه ما يكره علم أنه من [تقدير][73] ربه [وحكمه عليه][74]، فانقاد له وتذلّل. والكافر جعل فرحه [أشراً][75] وبطراً، و[توثّبَ][76] في محارمه، وجعل ترحه جزعا وسخطا على ربه، بجهله بالله سبحانه [وتعالى][77]. فإذا قدموا على ربهم جاء المؤمن بنور شكره، و[نور][78] صبره، وجاء الكافر بظلمة بَطَره وظلمة جزعه. ثم [يبين][79] [للمؤمن][80] [تفاوتٌ][81] [وتفاضلٌ في النورين][82]. فكلٌّ إنما يجيء من النور بقدر شكره وصبره، [فإنما][83] يشكر العبد [ويصبر][84] على قدر يقينه [وعلمه][85] بالله، [وثقته به، وتوكله عليه، ورضاه عنه، وتفويضه إليه][86]، وقربه منه. فلو لم يظهر هذا بالأعمال؛ [متى][87] كان يظهر تفاوتهم [وتفاضلهم][88]؟! فأول [ما ابتلانا به من الأعمال][89] الوضوء.

---

(70) غير موجودة في: ت.
(71) في ت: قيل فرح بين فرح وترح.
(72) في ت: فالمومن.
(73) غير موجودة في: ت.
(74) غير موجودة في: ت.
(75) في أ: شرا.
(76) في ت: يُوثر.
(77) غير موجودة في: أ.
(78) في ت: بنور.
(79) غير موجودة في «أ»، وفي «ت»: يبز.
(80) في ت: للمومنين.
(81) في ت: تفاوة.
(82) غير موجودة في: ت.
(83) في ت: وإنما.
(84) غير موجودة في: ت.
(85) غير موجودة في: ت.
(86) غير موجودة في: ت.
(87) في ت: من.
(88) غير موجودة في: ت.
(89) في أ: ما نبتدي.

ذكر علة الوضوء

[وأما][1] علة الوضوء، فإن الوضوء من موضع الحدث من بلة أو ريح [يخرج من الجسد][2]. وذلك أن [آدم][3] [صلوات الله عليه][4] كان [منزها][5] معصوما من أن يجد الشيطان إلى جوفه سبيلا، إذ هو في الجنة، فلما افتتن آدم صلوات الله [وسلامه][6] عليه بالتناول من الشجرة، ولم يؤذن له، فإنما تناولها بخدع الشيطان، فوجد إلى جوفه سبيلا [مع][7] تلك الأكلة التي نهاه الله [سبحانه][8] عنها، فاستفرغت المعدة في موضع الفضول، فأنتن ذلك الموضع باستقرار هذا الرِّجْس النَّجس [هاهنا][9]، فصار ذلك [وراثة][10] في ولده. فهناك مستقره من جوف الآدَمي، فإذا خرج ريح الفضول، أو بلة، فإنما يخرج من مُسْتَقَرِّه، و[أنَّ][11] طريق إبليس من مواضع الحدث. فلذلك صار موضع الحدث لأنه طريقه وليس له سبيل من قبَل مخرج التوحيد والقرآن. فصار ذلك الطريق [موضع][12] حدث، فما خرج منها لزِمَهُ التطهير، لأنه ينجس بنجاسة الشيطان وكفره. ولذلك قال أهل المدينة في الدم: إنه لا يجب فيه الوضوء، [و][13] لا في الرعاف، ولا في القيء. من هاهنا أخذوه. وقال [أهل الفقه من][14] أهل الكوفة: هذا كله نجس من [طريق. فمن][15] طريق النجاسة [التزموه][16]. [و][17] من

(1) في ت: فأما.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) في ت: الآدمي.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: متنزها.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) في ت: و.
(8) غير موجودة في: ت.
(9) في ت: هنالك.
(10) في أ: وارثه.
(11) مطموسة في: أ.
(12) في ت: طريق.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) غير موجودة في: أ.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) في أ: ألزموه.
(17) غير موجودة في: ت.

أجل هذه العلة صار نجسا. ألا ترى [أن ما][18] خرج من النصف الأعلى، [والقيء إذا كان من الفم][19] من [النخامة][20]. [والقيء][21] والبلغم ليس بنَجس، والدم والعذرة والبول هو من مستقَرِّه ومحله، وهو نجس بنجاسته، فأينما خرَج الدم فهو حَدَث، ولا ينظر من أين خرج، إنما ينظر إلى نفس الشيء من أين جرى. هذا قول أهل الكوفة، [وهو أشبه عندنا وأليق. فهذه علة الوضوء][22].

(18) في ت: إنما.

(19) غير موجودة في: ت.

(20) في ت: النخاعة.

(21) غير موجودة في: ت.

(22) غير موجودة في: ت، وكلمة «أشبه» تكاد تكون مطموسة في: أ.

ذكر علة مواضع [الوضوء][1]

[وأما][2] علة مواضع الوضوء التي [أمر][3] بغسلها، فإنما هي [أطرافه][4]. [فـ][5]طرف منها الوجه [لما فيه من الرأس والسمع والبصر والكلام الذي يجري بالخير والشر، وطرف منها الجناحان، وطرف منه وهما قدماه. فهذه الأطراف كأنها قوالب الطاعة والمعصية، وإنما أمر أن يغسل بالماء أطرافه جانبي الطول وجانبي العرض][6]. فأما [جانبي][7] الطول [فـ][8]الرأس والقدمان، وأما جانبي العرض فاليدان إلى [المرفقين][9]. فلما لم يوصل إلى [تطهير][10] الجوف، أُمر أن يطهِّر أطرافه وجوانبه، ومنه اشتق اسمه؛ [فقيل][11]: توضأ، من [التوضية، يقال][12]: هذا وجه وضيء. وقد [نجد][13] مثل هذا في [الخفّ والنعل يصيبهما][14] قذر. وقد [نشر][15] بانداوته، فأمر بغسل [ما ظهر منه][16]، فيكون مجزيا عما بطن [منه. وكذلك المسح على الخف يجزي عن غسل القدم][17].

---

(1) مطموسة في: ت.
(2) في ت: فأما.
(3) في ت: أومر.
(4) في ت: أطراف.
(5) في ت: و.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: جانب.
(8) في ت: و.
(9) في أ: المرفقان.
(10) في ت: تطهر.
(11) غير موجودة في: أ.
(12) في ت: الوضاية فقال.
(13) في ت: يجد.
(14) في ت: الحق والنعال يصيبه.
(15) في ت: ننشر.
(16) مطموسة في: أ.
(17) غير موجودة في: «ت»، وكلمة «يجزي» مطموسة في: «أ».

[ذكر علة الغسل من الجنابة][1]

[فأمّا][2] الغسل من الجنابة [فإنه][3] يجب ذلك بخروج الماء منه، وذلك ما قد [جاور][4] [سائر][5] مياه الأعداء في ظهر آدم صلوات الله [وسلامه][6] عليه، وأصابته زُهُومَة [مائهم][7]، فقد استقر في هذا المؤمن، [وهو قوله: ﴿فمستقر ومستودع﴾][8]. فإذا جرى، فإنما يجري [من][9] جميع جسده، [ومن أجل ذلك][10] يلتذ جميع جسده. ألا ترى إلى [قول رسول الله][11] ﷺ: «تحت كل شعرة جنابة»[12]؟! فإذا [جرى][13] [هذا][14] الماء [الذي قد أصابته][15] زُهُومة مياه المشركين وأدناسها، [أُمر][16] بغسل جميع جسده حتى يصل الماء إلى أصل [كل شعرة][17] جرى منها [الماءَ][18]. وأصل هذا الماء ومستقره في الصلب، ألا ترى أنه إذا جرى فإنما يستمر من جميع الجسد؟! ومما يدل على تحقيق ما قلناه؛ [وجود][19] اللذة بجميع الجسد من قَرنه إلى قدمه، [فـ][20]كانت هذه النطفة [مع النطف التي أخذ الله سبحانه][21] ميثاقها يوم الميثاق، ثم ردها إلى صلب آدم [صلى الله

---

(1) في ت: علة الجنابة.

(2) في ت: وأما.

(3) في ت: فإنما.

(4) في ت: حاور.

(5) غير موجودة في: ت.

(6) غير موجودة في: أ.

(7) في ت: مياههم كثيرة.

(8) غير موجودة في: «ت»، والآية رقمها 98 في سورة الأنعام.

(9) في ت: في.

(10) غير موجودة في: ت.

(11) في ت: قوله.

(12) رواه الترمذي في «كتاب الطهارة» من سننه برقم 99، وأبو داود في «كتاب الطهارة» أيضا من سننه برقم 216. والحديث في سنده الحارث بن وجيه، قال فيه الترمذي: «هو شيخ ليس بذاك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة»، وقال فيه أبو داود: «الحارث بن وجيه حديثه منكر، وهو ضعيف».

(13) في «أ»: جرا، وفي «ت»: جاوز.

(14) غير موجودة في: ت.

(15) غير موجودة في: ت.

(16) في ت: أومر.

(17) في ت: شَعْره.

(18) غير موجودة في: ت.

(19) مطموسة في: أ.

(20) في ت: و.

(21) في ت: كلها مما أخذ الله سبحانه وتعالى.

عليه](22) . فكانت النُّطَف لها أطباق في ظهر آدم صلوات الله عليه، ومحمد ﷺ في الطبق الأعلى [فوق ذلك كله](23) . فكل نطفة خَلَقَ منها [خلقاً](24) فهي النطفة التي [أحسن](25) الله تبارك اسمه ميثاقها، [ثم لمَّا](26) أنشأها؛ استمدت تلك النطفة من التَّرْبية والغذاء، [وكان](27) مستقرها في الظهر، فلم تزل تنمو وتستمد، حتى إذا أدرك الإنسان مدرك الرجال، وامتلأ الصلب [فجرت](28) بوجود اللذة. فإذا مات الإنسان [جرى](29) ما كان من التربية والغذاء، فخرج من إحْليله، فلذلك غسلوه [بعد](30) الموت. [فقد](31) روي في الأخبار أنه ليس [من](32) ميت يموت إلا يجنب عند الموت(33). وذلك بجري ذلك الماء، ولذلك يجري [الماء](34) عليه. فأما أصل الماء الذي كان خرج من أبيه ومنه خُلق، فإنه تلك الزّبدة والمجّة التي يمجها على [شدقيه](35) عند خروج الروح والنفس منه.

---

(22) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.

(23) غير موجودة في: ت.

(24) غير موجودة في: أ.

(25) في ت: أخذ.

(26) في ت: فلما.

(27) في ت: ركاز.

(28) مطموسة في: أ.

(29) غير موجودة في: ت.

(30) في ت: لعلة.

(31) في ت: وقد.

(32) غير موجودة في: ت.

(33) هذا الخبر ذكره ابن عراق في الموضوعات في كتابه *تنزيه الشريعة المرفوعة*: 2/ 73.

(34) غير موجودة في: أ.

(35) في ت: شرقيه.

[ذكر][1] علة الصلاة

وأما علة الصلاة، فإن القيام [تسليم][2] النفس إلى الله [تعالى][3]، لأنه لما أغْفَلَ جوارحَهُ انتشرت في شهواتها ومُنَاها بما لم يُؤْذن لها فيه، فجاء بها ليجدّد تسليما، لأن الإسلام هو قبول العبد من ربه [تعالى][4] [فعل][5] العبودية، [وتسليم النفس إليه طواعية له فيما أمر به من حفظ العبودية][6]. وهي ميثاقه الذي واثقه به، وواثق به [جوارحَه][7] السبع؛ وهي: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل. ولذلك سمى نبذَة [بالأعجمي][8] [لأنه أوثقه عما][9] حرَّم عليه، وأمره مع ذلك بأداء [الفرائض][10]. فلما قبل العقدَ هذا من ربه، كان قد سلم نفسه إليه: فهو الإسلام، ثم اقتصاه الوفاء بذلك إلى انقضاء [أجله][11]. فلما مرَّ في شهوات[ـه][12] فيما لا يحل له، احتاج إلى أن يجدد التسليم. [كما أنه لو][13] نقَضَ الأصل فارتد إلى شهوة عبادة الأوثان، [احتاج][14] إلى أن يُجدِّد الإسلام. [فكذلك][15] لما ارتد إلى شهوة المعاصي، احتاج إلى أن يجدد [تسليم النفس طواعية][16] له. [فجاء مصليا، والتصلية تذل النفس. وانتصاب العبد بين يديه][17]، فجاء [فوقف بين يديه][18] ممسكا عن جميع الشهوات، [جامعا][19]

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في ت: بتسليم.
(3) في ت: جل اسمه.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) في ت: الجوارح.
(8) في ت: بالأعجمية.
(9) مطموسة في: أ.
(10) في ت: فرضه.
(11) في ت: أجل.
(12) مطموسة في: أ.
(13) مطموسة في: أ.
(14) غير موجودة في: أ.
(15) في ت: فلذلك.
(16) في ت: تسليما للنفس في طواعيته.
(17) غير موجودة في: أ.
(18) في ت: يوقف من بَدنه.
(19) في أ: جامعها.

لهـذه الجـوارح [بين يديه][20]، كـهـيئـة العبـد الذي يريد أن يفي بما [ضـمن][21] من التسليم، وأن يتدارك ما فرُط [منه][22]. فلما فرط منه ما فرط مضى على تسليمه [قلبا][23] وفعلا، ولكنه لما فرَّط في الوفاء، احتاج إلى أن يقف بين يديه معتذرا ممَّا فرَّط مُسْلماً نفسَه إليه. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم! قالوا: بماذا يا رسول الله؟ قال: بلا إله إلا الله»[24]. وعنه ﷺ قال: «قال ربكم الأعلى: لو أن عبادي أطاعوني لأمطرت عليهم بالليل ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أُسمعْهُم صوت الرعد»[25]. [فإنما][26] احتاجوا إلى تجديد الإيمان لأنه قد [خلق بولَهَ][27] القلوب إلى [الأسباب][28]، لأن من صدْق الإيمان أن يكون ولَهُ القلوب إلى الله تعالى الذي [أولَهَ][29] الخلقَ إليه، [فإذا وَلهَتْ][30] إلى شيء دونه، ذهبت قوة الإيمان وطراوته [فاحتيج إلى][31] تجديده. وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان حلو نزه فنزهوه»[32]، وكذلك قال رسول الله ﷺ لسلمان رضي الله عنه: «قل اللهم إني أسألك صحةً في [إيمان][33]، وإيمانا في حسن خلق، ونجاحا يتبعه [فلاح][34]، و[مغفرة][35] منك ورضواناً»[36]. فلا يسأل الصحة [في الإيمان إلا][37] من سقُم. فإذا [تعلق][38] القلب بأسباب دونه افتتن وتعلق بغير معلقه، وكان [ولهه][39] إلى غير من هو إليه صائر. [فإن][40] قوله: لا إله إلا الله؛ هذه مقالة من قلب خَلَق وإيمان سقيم، فلذلك قال: «جددوا إيمانكم»، وكذلك الإسلام. وكما أمر هاهَناً بتجديد الإيمان قلبا، كذلك أمر بتجديد الإسلام نفسا في أن يقوم إليه معتذرا،

---

(20) في ت: من بدنه.

(21) في ت: يدل.

(22) مطموسة في: أ.

(23) في ت: قولا.

(24) رواه أحمد في سنده: «كتاب باقي مسند المكثرين»، رقم الحديث: 8353.

(25) رواه أحمد بلفظ قريب من هذا في «كتاب باقي مسند المكثرين» من مسنده تحت رقم: 8353.

(26) في ت: وإنما.

(27) في ت: أخلف توله.

(28) في ت: الأشياء.

(29) في ت: له أوله.

(30) مطموسة في: أ.

(31) مطموسة في: أ.

(32) لم أقف عليه.

(33) في ت: إيماني.

(34) في أ: فلاحا

(35) في ت: معرفة.

(36) رواه أحمد في «كتاب باقي مسند المكثرين» من مسنده برقم 7923.

(37) في ت: من الإيمان.

(38) في ت: نطق.

(39) في ت: ولّه.

(40) مطموسة في: أ.

[وقد][41] جَمعتَ له جوَارحَك المنتشرة في شهواتها التي لم يؤذن [لك][42] فيها، فتجدِّد تسليما. ولم يكن انتشارك هذا [نقضا للعقدة][43]: [عقدة][44] التسليم، ولكن كان [نقضا][45] للوفاء: وفاء التسليم. فإن هذه [الجوارح السبع][46] كانت عندك بأمانة، وأُمرْتَ بحفظهنَّ، [فـ][47] وُكِّلْتَ برعايتهن، والراعي إذا أهمل غنمه حوسب وعوقبَ وغَرِم. فإذا أصبحتَ، انتشرت كلُّ جارحة منك ترعى في واديها؛ فالسمع في وادي الاستماع للأصوات، والبصر في وادي النظر إلى الألوان، واللسان في وادي المنطق، وكذلك كلُّ جارحة. وفي هذه الأودية سموم قاتلة من [المراعي][48]، وذياب ضارية، وأجراف هاوية. فعلى الراعي أن يحفظ غنمه حتى يخلِّصها من هذه الآفات، [فـ][49] احتال لها [بما][50] يحتال بمثلها حتى يخلِّصَها. [وكذلك][51] هذا المُوكَّل [بجوارحها][52]؛ [يُجنِّبها][53] الآفات، فإن أصابته آفة عمل في تخليصها بالتوبة والاستغفار، كما عمل الراعي بأغنامه [السبعة][54]، فإن أصابها كسر جَبَّر الكسر، وإن رعت في مراعي السموم سقاها [البازهر][55] والترياق، وإن وقع الذئبُ بها أرسل الكلابَ في استلابها منه، [وميِّز شربْها][56] [من مرعاها][57] كيلا تعطش فتهلك. [فالمواعظ][58] للنفوس [كالشَراب][59] للأغنام، لأن العلم حياة القلب والنفس، كما أن الماء حياة البدن والروح. [فإذا][60] عطشت النفس عن التذكرة هلكت الجوارح. [والصلوات][61] الخمس [تكفِّر][62] السيئات، [ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل﴾، إلى قوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾][63]، [وقوله][64] سبحانه

(41) في ت: قد.
(42) في أ: لها.
(43) غير موجودة في: ت.
(44) في أ: عقد.
(45) في أ: نقصا.
(46) مطموسة في: أ.
(47) في ت: ف.
(48) في ت: المرعى.
(49) غير موجودة في: ت.
(50) في ت: فيما.
(51) في ت: فذلك.
(52) في ت: بجوارحه.
(53) مطموسة في: أ.
(54) في ت: السبوعة.
(55) في ت: البَادْزَهَر.
(56) مطموسة في: «أ»، وفي «ت»: «ترب شربها».
(57) غير موجودة في: ت.
(58) في ت: فالواعظ.
(59) في ت: كالرهب.
(60) غير موجودة في: أ.
(61) في ت: فالصلوات.
(62) في أ: تكفير.
(63) غير موجودة في: «ت»، ورقم الآية 114 في سورة هود.
(64) في ت: لقوله.

[وتعالى][65] : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾، قيل : بالصلوات الخمس، [﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾، قال : الجنة][66]؟! فهذه علّتها.

(65) غير موجودة في : أ.

(66) غير موجودة في : «ت»، ورقم الآية 31 في سورة النساء.

ذكر علة استقبال القبلة وقت الصلاة

وأما علة الاستقبال، فإن البيتَ مَعْلَمُ الرب سبحانه في الأرض، والعرش منظره ومظهره في [العلوّ. فاستقبال](1) المنظر والمظهر [والاستلقاء على](2) القفا، كذلك قيل في الروايات: «إن نوم [الشياطين](3) على اليسار، ونوم [المؤمنين](4) على اليمين، [ونوم الكفار والمنافقين على الوجوه](5)، ونوم الأنبياء صلوات الله [وسلامه](6) عليهم على القفا». [فاستقبال](7) المنظر: [الاستلقاء، وهذا](8) غير ممكن. فإذا قمت [إليه](9) معتذراً مسلّما جوارحك إليه، أمرت باستقبال معلمه الذي منه ارتفع العرش إلى العلو، وبقيت الزُّبْدة على ظهر الماء كالفضة [البيضاء](10)، فمدت الأرض من تحتها. [وإنما](11) سميت الأرض أرضا لأنها رَضيض سلطانه، وسميت السماء سماء لأنها سَمَتْ إلى العلو. وذلك أن العرش كانَ على الماء، فقال [الجبار جل جلاله](12) للريح: اسْرِ بعرشي، فلما وقف العرش على [حدّ](13) الهواء، جاء سلطانه مع الريح، فضربَ وجه الماء، [فصار](14) من الماء كهيئة الدخان، فارتفع ووقع دون العرش في الهواء [بأمر الله حيث](15) [. . . . . . .](16)، فقيل: سماء، ثم قال لما بقي من الماء اخمدْ صاغرا، فخمد فصار ترابا [كالرضيض](17) من هول السلطان. [فلذلك](18) قال [سبحانه](19):

(1) في ت: العلّة واستقبال.
(2) في ت: للاستلقاء عند.
(3) في ت: شياطين الانس
(4) في ت: المؤمن.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) في ت: واستقبال.
(8) في ت: إلى القفا فهذا.
(9) في ت: له.
(10) غير موجودة في: أ.
(11) في ت: فإنما.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) في ت: جد.
(14) في ت: فطار.
(15) غير موجودة في: ت.
(16) مطموسة في «أ» وغير موجودة في «ت»، وهي بمقدار كلمتين تقريبا.
(17) في ت: كالرصيد.
(18) في ت: فكذلك.
(19) في ت: تعالى.

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾، إلى قوله: ﴿في يومين﴾[20]، أي أمضى تقديره فيهن، وفَتَقَهُنَّ في يومين. فإذا توجهتَ إلى مَعلمه؛ فإنما توجهت إليه بوجهك، وتوجهت بقلبك إلى منظره، وتوجهت إلى وجهه الكريم الدائم الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه [الكريم][21]. ألا ترى [إلى][22] قول داود وقول [نبينا محمد صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين][23]: «سجد وجهي لوجهك الكريم»[24]، وقال في حديث آخر: «سجد وجهي البالي الفاني لوجهك الكريم الباقي الدائم»[25]، وقول رسول الله ﷺ: «إذا توجه العبد في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه وقال: إن المصلي تجاه ربه»[26]، وقول الله [تعالى][27]: ﴿[فأينما][28] تولوا فثم وجه الله﴾[29]، لأنك توجهت بقلبك إلى وجهه، ولوجهه نصبت شخصك. فأما قولنا: البيت معلمه، ففيه كلام كثير قد شرحناه في *كتاب الحج*. وهو أمر جليل، وله شأن عظيم. ومما يدلُّك على تحقيق [ذلك][30] ما قلناه، إنه روي عن الله تبارك [اسمه][31] أنه قال: «أنا الله ذو بكَّة»[32]. وقال: ذو العرش، ولم يقل: ذو الكرسي وذو السماوات. ف: «ذو» كلمة دقيقة، مَن فهمها علم ما [قلنا][33] في شأن المعلم.

---

(20) فصلت: 11-12.
(21) غير موجودة في: ت.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: المصطفى صلوات الله وسلامه عليهما.
(24) لم أقف عليه.
(25) لم أقف عليه.
(26) نحوه قوله ﷺ: «المصلي يناجي ربه» متفق عليه من حديث أنس (انظر: *المغني*: الباب الثالث من «كتاب أسرار الصلاة ومهماتها»: 1/189)، ولعل كلمة «تجاه» تحريف لكلمة «يناجي» من الناسخين.
(27) في ت: عز وجل.
(28) في ت: أينما.
(29) البقرة: 115.
(30) غير موجودة في: أ.
(31) في ت: وتعالى.
(32) لم أقف عليه.
(33) في ت: قلناه.

ذكر علة التكبير

[فأما][1] علة التكبير، [فإن][2] الآدمي إنما عصاه للكبر الذي فيه، [فلما][3] وقف معتذرا مما كان منه، سلَّم الكبر إليه قولاً، فقال: الله أكبر. [تبرأ إليه][4] نفسا [بـ][5]ـوقوفه بين يديه على التسليم إليه، [تبرأ إليه][6] بلسانه قولا فكبَّره تكبيرا. وقد [أمر][7] الله تعالى في تنزيله فقال: ﴿وكبره تكبيرا﴾[8]، أي: سلم الكبر إليه، [فإن][9] الكبرَ تاجُه [في العُلَى][10]، والكبرياء رداؤه [مبسوط في السماوات والأرض][11]. ولذلك [صار][12] قول أبي يوسف عندنا أقوى من قول أبي حنيفة رحمة الله عليهما في قوله عند الافتتاح إذا قال: «الله أعظم والله أجل والله أعز»، فقال أبو يوسف: «لا يجزئ عنه حتى يأتي بالتكبير»، وقال أبو حنيفة: «يجزيء ذلك كله عنه مكان التكبير». فلو [وقع لأبي حنيفة هذا][13] الذي ذكرنا من علته، لرأيت أنه كان يمتنع من هذه المقالة، لأن [قوله][14]: أعظم من العظمة، [وأجل][15] من الجلال، وأكبر من الكبر. [وإنما نازع العبد في الكبر، فيحتاج إلى تسليم ما نازع فيه][16].

---

(1) في ت: وأما.
(2) في ت: فإنما.
(3) في ت: قلنا.
(4) مطموسة في: أ.
(5) مطموسة في: أ.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: أمره.
(8) الاسراء: 111.
(9) في أ: وإنه.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) في ت: فهم بهذا.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في ت: واحد.
(16) غير موجودة في: ت.

ذكر علة الثناء

وعلة الثناء، [فهو][1] ترضٍ وتملّق، وذلك من شأن الكبير أن [تتوسل][2] إليه بالمدائح والثناء، ثم [تُعَقِّب][3] بسؤال الحاجة. [و][4] أما شرح الثناء فقد فسرناه في كتاب *علم الأولياء*. [وذلك علم][5] لا يحتمله عقول العامة، من قول «سبحانك اللهم ويحمدك، [و][6] تبارك اسمك، وتعالى جدُّك» إلى آخره[7]، لأن علماء العامة إنما يفقهون من ذلك على قدر علمهم بربهم، ليس [لهم][8] من علم الصفات إلا حروف المعجم المؤلفة. وإنما سميت كلاما لأنها [تَكْلُمُ][9] القلوب، [تؤثّر بتلك][10] المعاني على القلوب في [الصدر، فتصورَ][11] الأمور في [الصدر][12]، ثم [يتصدَّر][13] من الصدر إلى الجوارح [أعمالا][14] [بحركات الجوارح والسعي][15]. فالم[عاني][16] مفقودة، إلا عند [العلماء][17] الحكماء الذين هم خاصة الله [تعالى][18] في أرضه. و[كل كلمة من هذا الثناء أعظم][19] من السماوات السبع والأرضين السبع، وإنما [خَفَّت][20] على القلوب لقلة علمهم بها.

---

(1) في ت: فهي.
(2) في ت: يتسول.
(3) في ت: يعقب.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) دعاء الاستفتاح في الصلاة، وتتمته: «وجل ثناؤك ولا إله غيرك». أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث عائشة، وضعفه الترمذي والدارقطني، ورواه مسلم موقوفا على عمر. انظر: *المغني*: الباب الثاني من «كتاب أسرار الصلاة ومهماتها»: 1/182.
(8) غير موجودة في: ت.
(9) مطموسة في: أ.
(10) في ت: تؤثر تلك.
(11) في ت: الصدور فتتصور.
(12) في ت: الصدور.
(13) في ت: نتصدر.
(14) غير موجودة في: أ.
(15) غير موجودة في: ت.
(16) مطموسة في: «أ»، وفي «ت»: لمعان.
(17) في ت: النجباء.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) في ت: حل لكم من الثناء أعظمه.
(20) في ت: خفيت.

ذكر علة الاستعاذة

وأما الاستعاذة فمن أجل القراءة، لأن العَدُوَّ [بمرْصد][1]، فإذا قرأت من غير تعوّذ بالله، ألْقَى الشيطان في تلاوتك ما ليس فيها، فإذا تعوذت فقد صرت في معاذ [من الله، حَفَظَ][2] لسانَك فأنطقهُ بالصواب. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله عند لَسان كل قائل، فلينظر قائل ما يقول»، وروي عن [لقمان][3] [عليه السلام][4] أنه قال: «[ألا][5] إن يد الله على أفواه الحكماء، فلا ينطقون إلا [بما هيأ لهم][6]».

---

(1) في ت: لمن صلى.
(2) في ت: من يكلؤك وهيء.
(3) في أ: عن الله عن لقمان.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في ت: بها.

ذكر علة القراءة

[فأما][1] القراءة فمن أجل الاتعاظ بها، ومن أجل [قيام][2] حجة الله [تعالى][3] عليك بها. وأول قبول [الموعظة][4] تلاوتها، فإذا تلوتها ثم خالفت إلى غيرها، ثم تلوتها، فإنها [تجد قبولها][5] كما ذكرنا بدياً من تجديد الإيمان والإسلام. لأنك لما خالفت إلى غير ما نَدَبَك إليه القرآن، فقد صيرته مهجورا، فأمرت بتلاوته كالعائد إلى [هجرته][6] مهما [تزداد][7] بالتلاوة علما واتعاظا. وللقرآن حقان: حق التلاوة، وحق العمل به. [و][8] في كل [تلاوته تدبير، ولكل تدبير][9] فائدة، لقوله [سبحانه][10]: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[11]. وأيضا علة أخرى وهي قيام الحجة على العبد، وذلك أن القرآن في الصدر، [والصدر][12] ساحة [القلب][13]، والنفس خالية عن ذلك كله. فأمَر بأن يخرجه من القلب والصَّدر إلى لسانه تلاوة، لتسمع أذنه، فتؤدي إلى النفس الأمارة بالسوء تلك المواعظ. [فتلك][14]، [و][15] الأخبار من طريق الأذن، [فتسمع][16] فتقوم حجة الله [تعالى][17] عليه. ولولا ذلك لكانت النفس خالية عما في القلب والصَّدر من علم الآخرة، لئلا تقول النفس [غداً: إني][18] كنت غافلة عن هذا، وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع

---

(1) في ت: وأما.

(2) غير موجودة في: ت.

(3) غير موجودة في: ت.

(4) في أ: المواعظة.

(5) في ت: تجديد قبول بها.

(6) غير واضحة في: تَ.

(7) في ت: تزداده.

(8) غير موجودة في: ت.

(9) في ت: تلاوة تدبّر ولكل تدبر.

(10) في ت: تعالى.

(11) ص: 29.

(12) غير موجودة في: أ.

(13) في ت: للقلب.

(14) في ت: وتلك.

(15) غير موجودة في: ت.

(16) غير موجودة في: ت.

(17) غير موجودة في: ت.

(18) في ت: أي.

وهو شهيد﴾[19]. [والنفسُ][20] لها علمُ ظاهر الحياة الدنيا، وهي عن علم الآخرة غافلة. والسمع والبصر والشم والذوق واللمس: هذه حواس النفس، والذهن مُدَبِّرُه، فهذا علم النفس. [فكلُّ حاسة][21] تؤدي إلى النفس [خبرها][22] على حيالها. وأما علم القلب فمن الله [تعالى][23] [لأنه خزانته][24]، وفيه النور واليقين والحكمة، وعليه يدبر العقل تدبيره. فالذهن مدبر النفس، والعقل مدبر القلب، والقلب يَطْلُبُ ربَّه، والنفس تطلب لذتها وشهوتها. فأيهما غَلَبَ، فالجوارح تبَعٌ له. وقال [الله][25] تبارك وتعالى [اسمه][26] في تنزيله: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾، ثم استثنى فقال: ﴿إلا ما رحم ربي [إن ربي غفور رحيم][27]﴾[28]. فبالرحمة [نال][29] النبي [ﷺ][30] النبوة حتى [تخلص][31] من شر النفس، وبالرحمة [نال][32] الأولياءُ الولاية حتى [تخلصوا][33] من سوء النفس، وبالرحمة [نال][34] المتقون تقواهم حتى تخلصوا من بلاء أنفسهم، وبالرحمة [نال][35] الموحدون توحيده حتى [تخلصوا][36] من الشرك [والشك. وهذا كله من فضل الله، قال الله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يوتيه من يشاء﴾، ثم عظَّم هذا الفضل وهذه][37] [الرحمة][38] [فقال: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾[39]][40]. وقال تبارك [اسمه في تنزيله][41]: ﴿وما كنت ترجو أن [يُلقى إليك الكتاب إلا رحمة من][42] ربك﴾[43]. ولهذا زجر العلماء عن القراءة خلف الإمام فيما جهر الإمام فيه، لأن [أصلَ][44] الصلاة إنما هو القيامُ والقعودُ [والركوعُ][45] والسجودُ والجلوسُ.

---

(19) ق: 37.
(20) في ت: فالنفس.
(21) في ت: وكل ساحة.
(22) في ت: حرها.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) في ت: لا حزانته.
(25) غير موجودة في: ت.
(26) غير موجودة في: أ.
(27) غير موجودة في: أ.
(28) يوسف: 53.
(29) في ت: قال.
(30) غير موجودة في: أ.
(31) في ت: تخلصوا.
(32) في ت: قالت، وفي أ: نالت.
(33) في ت: يتخلصوا.
(34) في ت: قال.
(35) في ت: قال.
(36) في ت: يخلصو.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) في ت: وبالرحمة.
(39) الحديد: 21.
(40) غير موجودة في: «ت»، وكلمة العظيم مطموسة في: «أ».
(41) في ت: وتعالى.
(42) مطموسة في: أ.
(43) القصص: 86.
(44) غير موجودة في: ت.
(45) غير موجودة في: ت.

والقراءة زيادة في الفرض، لأنه قد كانت صلاة ولم ينزل بَعْدُ شيءٌ من القرآن، وهو أول يوم أتاه جبريل [عليه السلام][46] بالرسالة، وصلى به. [فإنما][47] جعلت القراءة في الصلاة من أجل النفس المحتاجة إلى الموعظة، والقرآن في الصدر، [وأُمر][48] أن يُخرجه بلسانه حتى [يُسمع][49] أُذُنَه [فَهْمَ][50] الكلام. فإن الأذن قمعَ النفس، فيصلَ إلى النفس [وعظ][51] الله تعالى من طريق قمعه، فتقوم الحجة عليها. [من][52] هاهنا أُمر أن [يستمع][53] وينصت إذا [قرئ][54]، فقال عز وجل: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾[55]. فيكون [أدعى][56] لنفسك، وذلك أنك إذا [اشتغلت][57] بقراءتك [لَهتْ][58] نفسك، [وينافي][59] [فهمك][60] إدراك ما يقرأ الإمام. فإذا اشتغلت النفس بالقراءة، عجزت عن فهم ما فيه، فإذا أنصت [تفرغت][61] النفس للوعي [لما][62] يقرأ الإمام. فلذلك اخترنا الإنصات خلفه في ما يجهر [فيه][63]، [فإذا][64] كان الإمام لا يجهر، فأحب إلينا أن يقرأ [لتُعطى][65] النفسُ حظَّها من الوعظ. [فإن][66] كان مفكراً مع القراءة، فهو أجود له من أن [يجرِّد][67] الفكر [له][68] ويترك القراءة. [وقال بعض العلماء: «كان ﷺ يجهر في الابتداء في جميع الصلوات، فأمَرَ أصحابَه بالاستماع والإنصات، ثم ترك الجهر في صلاتَي النهار، فبقي سُنَّة الإنصات][69]».

(46) في ت: صلوات الله عليه.
(47) في ت: قائما.
(48) في ت: فأمر.
(49) في ت: تسمع.
(50) غير موجودة في: ت.
(51) غير واضحة في: ت.
(52) في ت: فمن.
(53) في ت: يسمع.
(54) في ت: قرأ.
(55) الأعراف: 204.
(56) في ت: أوعي.
(57) في ت: اشتغلت النفس.
(58) في ت: لهيت.
(59) في أ: وبنا.
(60) في ت: فهمها.
(61) في «أ»: تفرعت وفي «ت» تفزعت.
(62) في ت: بما.
(63) غير موجودة في: أ.
(64) في ت: فإن.
(65) في ت: ليعطى.
(66) في ت: وإن.
(67) في أ: يجوِّد.
(68) غير موجودة في: ت.
(69) غير موجودة في: ت.

ذكر علة الركوع

وأما علة الركوع، فإن العبد بين عَيْب وذَنْب. فأما العيب: فغفلته عن الله سبحانه [وتعالى][1]، فمن الغفلة [جفا][2] النعمة و[استخف][3] بها ولم يعظم منته. فمن تناول نعمة من نعمه [بيد][4] الغفلة عنه، فقد [جفا][5] نعمته، و[استخف][6] بها، وهو [عبث][7]، وإنما [أوتي][8] ذلك من [الأشر][9] والبطر، فإن النفس إذا غفلت أشرت، والغفلة من ظلمة الشهوة، فصارت كغلاف، وإنما هي [غُلفة و][10] غفلة. [فالغلفة][11] للكافر صارت ظلمة [للكافر][12] غلافاً لقلبه، والغفلة للمؤمن [صارت][13] ظلمة شهوات النفس [غفلة][14] لقلبه. وكَلاهما يؤديان إلى [غلاف][15]، إلا أن تلك ظلمة الكفر، وهذه ظلمة [الشهوة][16]، فقيل [لتلك][17] غلفة لأنها قد أحاطت بالقلب، وقيل لهذه غفلة لأنها قد انتصبت بين يدي القلب حجابا، فإذا رفضها كانت بمنزلة سحابة تقشعت وتبددت. ومن [هاهنا قول الله][18] عز وجل: «أبعث في آخر الزمان عبداً أمياً [أختن][19] به قلوبا غلفا، وأفتح به آذانا صُمّاً، وأعينا كُمْهاً»[20]. فشبه القلوب الغلف [بالأغلف][21] الذي لم [يختتن][22]، فإذا اختتن بدت الحشفة، فإذا بدا القلب عن غلافه، علم

---

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: حتى.
(3) في ت: استحق.
(4) غير واضحة في: ت.
(5) غير واضحة في: ت.
(6) غير واضحة في: ت.
(7) في ت: عيب.
(8) في ت: أو.
(9) في ت: ألايس.
(10) في ت: غلاف.
(11) في ت: فالغفلة.
(12) في ت: الكفر.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) في ت: غلافا.
(15) في ت: غفلة.
(16) في ت: الشهوات.
(17) في ت: لك.
(18) في ت: هناك قوله.
(19) في ت: أحيي.
(20) لم أقف عليه.
(21) في أ: الأغلاف.
(22) في ت: يتحتن.

الصواب. وللقلب [عينان][23]، فإذا أشرق النور في القلب، فتح العينين، وذهب الكَمَهُ، فأبصر العيب. فمن [أجل][24] هذا العيب الذي ذكرناه في العبد من كِبْر [النفس][25] و[تعظيمها][26] حتى حقرت النعمة وجفتها وتناولتها بيد الغفلة، أَمَر بأن [تخضع فتركع][27] لله، وهذا مقام الحمد والبراءة من الكبر. والدليل على ما [قلنا][28] أنه يدخل في الركوع [بالبراءة من التكبير][29]، ويخرج منه [بقوله][30]: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد»، لأن هذا الركوع منه خضوع [لله][31] [في][32] جفاء النعمة. كأنه يريد أن يتدارك بهذه الخضعة تلك الجفوة التي صار فيها كهيئة [الكَفور][33]، فيكون هذا منه كالحمد له، فلذلك يقول: «سمع الله لمن حمده». وكذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، [يسمع][34] الله لكم، فإن الله تعالى قال على لسان نبيه: سمع [الله][35] لمن حمده»[36]. وعن سعيد بن المسيب عن [أبي][37] هريرة [رضي الله عنه][38] أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع [يقول][39]: «اللهم ربنا لك الحمد»[40].

---

(23) غير موجودة في: ت.

(24) في ت: أخذ.

(25) غير موجودة في: ت.

(26) في ت: تعظمها.

(27) في ت: نخضع فيركع.

(28) في ت: قلناه.

(29) في ت: بالتكبير.

(30) في ت: قوله.

(31) غير موجودة في: ت.

(32) في ت: من.

(33) مطموسة في: ت.

(34) في ت: سمع.

(35) غير موجودة في: أ.

(36) رواه مسلم في «كتاب الصلاة» من صحيحه برقم: 612 والنسائي في «كتاب التطبيق» برقم: 1054 ورقم 1159، وفي «كتاب السهو» برقم 1263 من سننه، وأبو داود في «كتاب الصلاة» برقم 827 من سننه، وأحمد في «مسند الكوفيين» برقم 18690 و18834 من سننه، والدارمي في «كتاب الصلاة» من سننه برقم 1278 و1324.

(37) في ت: لي.

(38) غير موجودة في: أ.

(39) في ت: قال.

(40) رواه البخاري في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» من صحيحه برقم 6800.

ذكر علة التسبيح

فأما علة [التسبيح][1]، فأمر بأن يقول: «سبحان ربي العظيم»[2]، لأنه لما [جفا][3] النعمة، فتناولها على الغفلة [و][4] لم يعظمها، فأمر [بـ][5] أن [ينزه][6] ربه عن فعله، وأن ينسبه إلى العظمة [ليكون][7] كفارةً لتصغير نعمته.

(1) في ت: تسبيحه.
(2) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني والطحاوي والبزار والطبراني في *الكبير* عن سبعة من الصحابة (انظر: *صفة صلاة النبي* للألباني: 136).
(3) في أ: حفا.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: لتكون.

[ذكر] [1] علة السجود

وأما علة السجود، فللذنب، لأنه تكبر وأشر، فوثب على حق الله تعالى، فأمر بالسجود خشوعا له، لتكون هذه الخشعة [بذلّ][2] تلك الهفوة، [فيتمثل][3] له كهيئة التراب الذي منه خلقه، فهو يضع وجهه بالأرض، وتلك غاية الخشوع في الظاهر، فإن الله [سبحانه و][4] تعالى خلقه من الأرض، وهي أهون الأشياء وأضعفها [تحت][5] الأقدام. ثم وضع معرفته عنده بالأمانة [فخان][6] [حين][7] [لَبَسَهُ][8] بظلم، [فـ][9]قال [الله تعالى][10] في تنزيله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن [وهم مهتدون][11]﴾[12]. فلما لَبَسَ إيمانه بظلم [فـ][13][ـخان][14] فوقعت التهمة فصار نَفوراً من ربه تعالى، ويعدُ هارباً على وجهه، وانقطع المدد، وصار في هزيمة العدو، إلا [أن][15] ربْقَةَ الإسلام في عنقه، ورأس الحبل بيد الله تعالى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل [الفرس][16] في آخيَّته [يجول ويجول][17]، [ثم][18] يرجع إلى آخيته»[19]. فالمؤمن يسهو، [ثمّ][20] يسهو، ثم يرجع إلى ربه، فأمر بالسجود ليتمثل له كهيئة

---

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في أ: بدل.
(3) في ت: فتمثل.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) في ت: بحسب.
(6) في «أ» و«ت»: حان.
(7) في ت: حيث.
(8) في أ: ألبسه.
(9) غير موجودة في: أ.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) الأنعام: 82.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) في ت: حان.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) في أ: الفر.
(17) غير واضحة في: ت.
(18) غير موجودة في: ت.
(19) رواه أحمد في سننه: «كتاب باقي مسند المكثرين»، حديث رقم 10907.
(20) في ت: و.

الأرض استكانة وتواضعاً وإلقاءاً باليدين. ولذلك قال مسروق لسعيد بن جبير: «يا سعـيد مـا بقي شيء [نَرغب][21] [فيه][22] إلا أن نُعَفِّر وجـوهنا [في هذا][23] التراب له».

(21) في ت: رعب.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: بهذا.

[ذكر علة التسبيح] [1]

[فأما][2] علة [التسبيح][3]، [فأمر][4] [بأن][5] يقول: «سبحان ربي الأعلى»[6]. إلا أن كل مطاع في اللغة يسمى رباً، وإنما أطاع هواه من قبلُ، [فَيُنَزِّهُ][7] ربه الأعلى، والرب: [المالك][8]. وكان هواه قد مَلَكَهُ، فإذا سجد سبح ربه الأعلى، ونزهه [عما][9] كان يدعو إليه هواه الذي [يدَّعي][10] به الربوبية لنفسه و[يسأله][11] أن يطيعه في كل ما يدعو إليه، ومَلَكَهُ [وأوْلَهَ][12] قلبَه، وهو [في][13] قوله [تعالى][14]: ﴿أفرايت من اتخذ إلهه هواه﴾. [فكأنه][15] يقول: «سبحان [ربي][16] [الملك][17] الأعلى»، أي له [التَّنزُّه][18] عن طاعتي لهذه النفس التي ملكتني واستزلَّتني عن [طاعة][19] مالكي الأعلى. [ف][20]الركوع للجَفْوة، والسجود [للهَفْوة][21]. [وإنما أمر بسجدتين، لأن الذنب يلزمه من وجهين: إضاعة أمر فُرِضَ عليه ففرَّطه، وتهاوناً وارتكاب نهي زُجِرَ عنه فَحَمَلَتْهُ شهوته حتى ركبه تهاونا للعَقوبة. فلما رأى الذنب من وجهين، أمر بسَجدتين][22].

---

(1) مطموسة في: أ.
(2) في ت: وأما.
(3) في ت: تسبيحه.
(4) مطموسة في: أ.
(5) في أ: فإن.
(6) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني والطحاوي والبزار والطبراني في *الكبير* عن سبعة من الصحابة. انظر: *صفة صلاة النبيّ* لمحمد ناصر الدين الألباني: 153.
(7) في ت: فنزَّه.
(8) في أ: والمالك.
(9) في ت: كما.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في أ: نسله.
(12) في ت: أولا.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في ت: فكان.
(16) غير موجودة في: أ.
(17) في ت: المالك.
(18) في ت: التنزيه.
(19) في ت: طاعتي.
(20) غير موجودة في: ت.
(21) في ت: للعفو.
(22) غير موجودة في: ت.

ذكر علة القعود

[وأما علة القعود][1]، [فللارتعاب][2] وطلب العفو و[النوال][3]. وذلك أنك قضيت صلاتك بما مضى منك من القيام، وبذل النفس تسليما، والخضوع والخشوع. فإنما بقي سؤال الحاجة والاعتذار، فقيل [له][4]: «تمثَّلْ [جاثيا][5] كهيئة الملقي نفسَه بين يدي سيده ومولاه على الارتعاب و[الاعتذار][6] والاستعداء على النفس الأمارة بالسوء، بمنزلة غريم لك ضمنت له عن آخَر ديْناً وأنت به [كفيل][7]. فأنت مطلوب بتلك الكفالة، وهذا المكفول عنه [مطلوب][8]، فأنت تستعدي عليه حتى [تستخرج][9] حق الغريم من هذا الغارم الذي ضمنت عنه. والقلب شريك النفس [في الخير والشر والثواب والعقاب والمحمدة واللائمة][10]. [ثم النفس][11] من شأنها الإباقُ وتضييع العبودية وحقوق الله تبارك وتعالى في رَقَبَتها، والقلب مطلوب بذلك، [إذ][12] كان شريكها، والعقل [مقتض][13]، فإذا لم يَجد شكا إلى الله سبحانه، فأمر بأن يقعد عند انقضاء الصلاة، مستَعديا على النفس معتذراً إلى الله تعالى مما كان منهما، [مرتعبا][14] في النوال. فقال [الله][15] عز وجل: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾[16] أي [تعرض][17] لي منتصبا تعرض المتعبدين [المستعدِّين][18] [المفتقرين][19]، فارفعْ إليَّ رغبتك. والرغبة هي لبُّ الطلب، وهو

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في ت: وللارتعاب.
(3) في ت: التوالي.
(4) في ت: لك.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في أ: الاعتدال
(7) في أ: كفيله.
(8) في ت: مطول.
(9) في ت: يستخرج.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في ت: والنفوس.
(12) في ت: إذا.
(13) في ت: مقبض.
(14) في ت: مترقيا.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) الشرح: 7-8.
(17) في ت: نعترض.
(18) غير موجودة في: ت.
(19) في ت: المتقربين.

الذي يطلب من جوف قلبه ومجامع صدره من العقل والذهن بجدٍّ وعزم، لأنك قد فرغت، أي صرت فارغا من البطالة [و][20] العيوب والذنوب، لأن هذه الجوارح تبطلت [في][21] مرعاها. فالقيام بين يديه بإزاء البطالة و[جفوة][22] النعمة وحقريّتها. والركوع خضوع بإزاء الجفاء، وتكبرتَ على الحق واستبددت. فهذا السجود خَشوع بإزاء [التكبر][23] والاستبداد والتمادي في الذنوب بهواك، فجمعت هذا كله في هذه الصلاة الواحدة، [ووقفت][24] بجوارحك البطالة في أوديتها على مليكها متذللا على الخلقة التي خلقت [رَمْياً][25] ببصرك حيث وقع، فتنزّهْتَ و[أثنيت][26] وتعوذت من العدو، و[تَلَوْتَ][27] [كلامه][28] متعظا، واعتذرت، ثم خضعت، ثم خشعت، ثم [جثوت فـ][29] تملّقتَ، و[ارتعبتَ][30]، وافتقرت، واستعديت على من رام الفساد بينك وبينه. فكان ذلك كله كفارة، أي غطاء، والكفر غطاء، ومنه سمي الكفر. فكانت صورة صلاتك هذه على [صورة][31] أفعالك، وكان ذلك غطاء لما سلف منك. وقال: ﴿[و][32] أقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾[33]، أي هذه الأفعال منك [حسنات تذهب ما كان منك][34] [قبل ذلك. ثم قال: ﴿ذكرى للذاكرين﴾، أي توبة للتائبين وعظة للمتعظين][35].

---

(20) غير موجودة في: أ.
(21) في أ: و.
(22) في ت: حقر.
(23) في ت: التكبير.
(24) في ت: فوقفت.
(25) في ت: راميا.
(26) في ت: أثبت.
(27) في ت: تكون.
(28) غير موجودة في: ت.
(29) في ت: حبوت ثم.
(30) في ت: ارتقيت.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) غير موجودة في: «أ» و«ت».
(33) هود: 114.
(34) مطموسة في: أ.
(35) غير موجودة في: ت.

ذكر علة التشهد

وأما علة التشهد، فإن تلك كلمات أتى بهن جبريل [عليه السلام][1] وحياً فيما روي في الخبر، وهي خطبة الصلاة، وهي سنة الكلام، [أي هي][2] بين يدي [كل][3] كلام ومسألة، خُطبة على [المقدمة لتكون][4] تلك الخطبة وسيلة بينه وبين المسؤول، وشافعاً له إليه. وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه][5] قال: «علمنا رسول الله ﷺ خطبة الصلاة وخطبة الحاجة، فذكر التشهد. فأما خُطبة الحاجة: فالحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، من [يهدي][6] الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا [ومن][7] سيئات أعمالنا. ثم يتكلم بحاجته»[8]. وأما خطبة التشهد، فهي [الكلمات][9]: كلمات جوامع تنتظم الكلام [الكثيرَ][10]، ولها [غَوْر بعيد][11]، ولنا في ذلك شرح طويل في كتاب *علم الأولياء*، وعلم ذلك لا يحتمله [إلا][12] الأولياء. وكذلك قوله في أول الصلاة: «سبحانك اللهم وبحمدك» إلى آخره[13]، وقوله: «آمين»، فإن هذه كلمات خُصَّت بهن هذه الأمة. فالعامةُ أعطيت حروفَها و[اللفظَ][14] بها،

(1) في ت: صلوات الله عليه.
(2) في ت: أن نهى.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: المتقدمة ليكون.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) في ت: يهده
(7) غير موجودة في: ت.
(8) رواه الترمذي بلفظ: «التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة» في «كتاب النكاح» من سننه برقم 1023.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في ت: عون بعد.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) الحديث بكامله هو: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» رواه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وقال العقيلي: «وقد روي من غير وجه بأسانيد جياد» انظر: *صفة صلاة النبي* للألباني: 86. كما أخرجه الترمذي وضعفه، والدارقطني، ورواه مسلم موقوفا على عمر (انظر: *المغني*: الباب الأول من كتاب أسرار الصلاة: 1/ 182):
(14) في ت: اللغة.

والأولياءُ أعطيت معانيها، [وروَيةُ المعاني][15] أعطي خاصّ الأولياء. وهي كلمات تُطهِّرُ العبادَ، وتقطع العلائق، وتصفي الأرواح في سيرها إلى الله تعالى. [و][16] روي في الخبر أن جبريل [عليه السلام][17] جاء بهن إلى النبي ﷺ فعلمهن إياه. ومن هاهنا قول رسول الله ﷺ لأبي موسى [رضي الله عنه][18] حين نظر إلى [جبل أحد][19] فقال: «إن [في أمتي رجالاً الحرفُ][20] الواحدُ من تسبيحهم [يعدل][21] هذا الجبل»[22]، ومن ذلك قول ابن مسعود: «إن في هذه الأمة من يكون [عمل يومه][23] أثقل من سبع سماوات»، ويوافق ذلك ما جاء عن كعب أنه قال: «فيما يُحْكَى قولُ موسى صلوات الله عليه: رب إني أجد في الألواح قوما [على][24] قلوبهم من النور أمثالَ الجبال، تكاد البهائم تخرُّ لهم سجداً إذا نظرتْ إليهم، قال: تلك طوائف من أمة [أحمد][25]، قال: اللهم اَجعلنا من أمته».

---

(15) في ت: وروويت المعاني أعطيت المعاني.
(16) غير موجودة في: ت.
(17) في ت: صلوات الله عليه.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) مطموسة في: أ.
(20) مطموسة في: أ.
(21) مطموسة في: أ.
(22) لم أقف عليه.
(23) في ت: عمله.
(24) غير موجودة في: أ.
(25) في ت: محمد.

ذكر علة التحيات والتسليم

والعلة فيه أنه أمر بمخاطبة الملكين، [وإن كان إماما فمخاطبة الملكين][1] و[الآدمين][2]، لأنه دخل فيها بمخاطبة ربه حين [كبّر][3] في التحريم بمخاطبة الخالق، والتحليل منها بمخاطبة المخلوقين. وكذلك أمر في الحج أن يدخل فيه، فيحرم بمخاطبة ربه بالتلبية، ويحل منها بالحلق. وأما تفسير السلام، فهو مشروح مع التشهد في كتاب *علم الأولياء*، وسنذكر بعض تلك المعاني التي [تدركها][4] العامة. فأما قوله «التحيات لله»، فإن أهل الشرك بالله كانوا [يحيون][5] أصنامهم، [و][6] عن الحسن قال: «كان أهل الجاهلية لهم أصنام يحملونها معهم حيث ذهبوا، وكانوا يخرجونها ويتمسحون بها ويقولون: لكُنَّ الحياة الباقية». فلما جاء الإسلام، أمروا [أن][7] يجعلوا تلك التحيات كلها لله سبحانه، وهي تحية من العباد للحي الذي لا يموت، والتحية مأخوذة من الحياة. وأما قوله: «والصلوات»، فإنه لا يستحق أحد الصلوات إلا هو، لأنه [مَفْزَعٌ للحاجات][8]. وأما قوله: «والطيبات»، فهي الكلمات الخمس: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي [العظيم][9]». لا يستحق [أحد هذه الكلمات إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما صيرت طيبات لأنه لا يستحق][10] [أحد أن يشرك ولَهاً فيهنَّ. فهي تطيبّات تطيِّن][11] قائلهن. ففي [قوله][12]: «سبحان [الله»

---

(1) غير موجودة في: أ.

(2) في ت: الأمين.

(3) في ت: كتب.

(4) في «أ»: تدركه، وفي «ت»: تذكره.

(5) في ت: يحبون.

(6) غير موجودة في: ت.

(7) في ت: بأن.

(8) في ت: مفروع الحاجات.

(9) غير موجودة في: ت.

(10) غير موجودة في: أ.

(11) مطموسة في: «أ»، ووردت كلمة «أحد» منصوبة في: «ت» وهو خطأ.

(12) في ت: قول.

خروج][13] من [العيب][14]، وفي [قوله][15]: «الحمد لله» خروج من [الكفران][16]، وفي قوله: «لا إله إلا الله» خروج من [الشرك][17]، وفي قوله: «الله أكبر» خروج من الكبر، وفي قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» خروج من [التملك][18] والاقتدار والتجبر. فما ظنُّ العبد بحاله إذا اجتمعت فيه أدناس هذه الأشياء: دنسُ العيب، ودنس [الكفر][19]، ودنس الشرك: شرك العلائق، ودنسُ الكبر، ودنس التجبر والاقتدار، [وفَاتَهُ][20] التكلَم بهذه الكلمات؟ ماذا يحلُّ به من خراب القلب؟! [فحظر][21] على المؤمن على لسان رسول الله ﷺ قراءة القرآن في حال الجنابة والحيض، فيما روي[22]، وأبيح له هذه الكلمات على كل حال [لحاجته إليهن][23] في كل وقت، [وشرحه مذكور في كتاب *غرس العارفين*][24]. وأما قوله: «السلام عليك [ورحمة الله وبركاته][25]» فإن الله تبارك وتعالى سلم [على][26] عباده [من اسمه][27] «السلام» [لينيلهم][28] دار السلام. فإذا قلت: [«السلام عليكم» بالألف واللام، فهذه علامة المعرفة، فإذا قلت][29]: «سلام عليك»، فهي نكرة، فإذا ألحقتَ عَلم المعرفة، فإنما تريد بذلك السلام الذي [سلم][30] رب العالمين. وتقول بعد ذلك: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». ألا ترى إلى ما قال عز وجل في تنزيله حين ذكر [يحيى صلوات الله عليه، فأثنى عليه، ثم سلم عليه فقال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾[31]. فهذا سلام رب العالمين][32]. [ثم ذكر][33] عيسى

---

(13) مطموسة في: أ.

(14) في ت: العيبة.

(15) في ت: قولِ.

(16) في ت: الكفر.

(17) في ت: الشك.

(18) في ت: التمليك.

(19) في ت: الكفران.

(20) في ت: وقاية.

(21) في ت: فخطر.

(22) أحاديث كثيرة تحظر على المسلم قراءة القرآن في الجنابة والحيض منها ما رواه أصحاب *السنن* وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبزار والدارقطني (انظر: *نيل الأوطار للشوكاني*: 1/ 225-226) ومحمد بن الحسين في كتابه *أخلاق أهل القرآن* (انظر: 151 و153) وغيرهم.

(23) غير موجودة في: ت.

(24) غير موجودة في: ت.

(25) غير موجودة في: أ.

(26) في ت: من.

(27) غير موجودة في: ت.

(28) غير واضحة في: ت.

(29) غير موجودة في: أ.

(30) في ت: سلام.

(31) مريم: 15.

(32) غير موجودة في: ت.

(33) هذا من إضافتنا ليصح ارتباط الكلام ببعضه.

[عليه السلام][34] يحكي قوله في المهد صبيا: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب [وجعلني][35] نبيا [وجعلني مباركا][36]﴾[37]، ثم قال: ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾[38]. فكان هذا السلام من عيسى؛ صلوات الله [وسلامه][39] عليه؛ [على][40] نفسه، فأخرجه بالألف، وكأنه يشير إلى سلام متقدم، أي ذلك السلام عليّ، وهو سلام رب العالمين. ولذلك قال عيسى صلوات الله [وسلامه][41] عليه - فيما روي - ليحيى: «أنت خير مني؛ سلم الله عليك وسلَّمتُ على نفسي»، ولذلك كره من كره هذه اللفظة. [قوله لأخيه][42]: «سلام الله عليك»؛ لأن كل أحد لا يستحق هذه المنزلة، وفي هذا [كلام][43] كثير قد [شرحناه][44] في كتاب *علم الأولياء*. فإن قال قائل: فإن كان رب العالمين قد سلَّم: فما حاجاتنا إلى السلام؟ قيل له: حتى [تبلغ][45] مبلغا [تعقل][46] السلام، فهناك [فسَلْ][47] عن [هذا][48]. أليس قد أخبرك في تنزيله [فقال][49]: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[50]؟! أليس قد ندبنا إلى الصلاة عليه بعدما أخبرنا أنه صلى الله عليه وسلم[51]؟! وقال [تبارك وتعالى][52] [في آية أخرى][53]: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾[54]، [أفليس][55] قد أخبرك أنه يصلي على المومنين ويسلم عليهم فقال [تعالى][56]: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[57]؟! [فهل][58] عقلت ما الصلاة وما السلام؟ فإن قال: «الصلاة هي الرحمة» فما قوله: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾[59]؟! فقد ذكر

(34) في ت: صلوات الله عليه.
(35) مطموسة في: أ.
(36) غير موجودة في: أ
(37) مريم: 30.
(38) مريم: 33.
(39) غير موجودة في: أ.
(40) في أ: عن.
(41) غير موجودة في: أ.
(42) غير موجودة في: ت.
(43) في أ: الكلام.
(44) مطموسة في: أ.
(45) في ت: يبلغ.
(46) في ت: يعقل.
(47) في ت: فاسأل.
(48) في ت: هذه.
(49) غير موجودة في: ت.
(50) الأحزاب: 56.
(51) يبدو أن في الكلام بترا في: «أ» و«ت».
(52) غير موجودة في: أ.
(53) غير موجودة في: ت.
(54) الأحزاب: 41-43.
(55) في ت: أليس.
(56) في ت: عز وجل.
(57) النمل: 59.
(58) في ت: فقد.
(59) البقرة: 157.

عـز وجل الرحـمـة وذكـر الصـلاة عليـهم. وقـد ندبنا إلى أن نصلي على الرسـول [ﷺ][60] و[نسـأل له][61] الرحمة والبركة[62]. وهو [مُصَلّى][63] عليه ومرحوم ومبـارك عليـه، ليكون في ذلك إذاً حق [الأبوة][64] و[البنوة][65]، فإنه ﷺ [نبي وأب على الذين كالأولاد][66]، ربَّانا بالهدى الذي جاء به من عند الله [تعالى][67]. [فقد عرفت][68] حقوق الآباء والأمهات في [حقهم][69] علينا، وعرفت رأفة الآباء والأمهات بنا في [رأفتهم ورحمتهم][70] إيانا. ألا ترى إلى قوله عزل وجل: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾؟! فانظر من يثني عليه بهذا: [رب العالمين][71]! وأما قـولـه: «السـلام علينا وعلى عـبـاد الله الصـالحين»، فـإنما [يسأل][72] هذا الذي ذكـرنا لنبيـه ﷺ أولا، ثم لنفسـه، ثـم لعـبـاده الصـالحين، [فرُوي][73] عن رسـول الله ﷺ [أنه قال][74]: «إذا قال العبد ذلك أصاب كل عبد [صالح][75] في السـماء والأرض»[76]، [فالحمد][77] لله الذي جعل القائلين بهذا كثيراً؛ فينَالُنَا من أقوالهم سلام وتحية من [الله][78] مباركة طيبة. فمن أراد أن

---

(60) في ت: صلوات الله عليه.

(61) في أ: نسأله.

(62) هناك أحاديث كثيرة تندب إلى الصلاة على النبي ﷺ منها ما كان يدعو به هو نفسه بهذا اللفظ: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد» رواه البخاري ومسلم والحميدي وابن منده وقال: «هذا حديث مجمع على صحته» (انظر: *صفة صلاة النبي* للألباني: 179-180). وانظر التفصيل في كيفية الصلاة عليه والتسليم في الفصل الرابع من الباب الرابع من كتاب *الشفا* للقاضي عياض: 2/ 160-171.

(63) في ت: مصل.

(64) مطموسة في: أ.

(65) في ت: النبوة.

(66) في ت: نبيّنا وأبونا ونحن كأولاد له.

(67) غير موجودة في: ت.

(68) مطموسة في: أ.

(69) في أ: حقه.

(70) في أ: رأفته ورحمته.

(71) غير موجودة في: ت.

(72) غير واضحة في: أ.

(73) في ت: وروي.

(74) غير موجودة في: أ.

(75) غير موجودة في: ت.

(76) رواه البخاري في «كتاب الأذان» من صحيحه برقم 788، وفي «كتاب الاستئذان» من صحيحه أيضاً برقم 5762، ورواه مسلم في «كتاب الصلاة» من صحيحه برقم 609، ورواه النسائي في «كتاب السهو» من سننه برقم: 1281، وأبو داود في «كتاب الصلاة» من سننه برقم 825، وابن ماجة في «كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها» من سننه برقم 889، وأحمد في «كتاب مسند المكثرين من الصحابة» في سننه بأرقام 3439 و3725 و3813 و3858 و3892.

(77) في ت: والحمد.

(78) مطموسة في: أ.

يحتظي من هذا السلام الذي يُسَلِّمُ [على][79] الخلق في صلواتهم، فليكن عبداً صالحاً. وأما قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فإنهما كلمتان جامعتان [جعلهما][80] [كلمة][81] شهادة واحدة، فقد شهد [الله][82]: ﴿أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾، ثم كتب على جبهة العرش: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، و[جعلهما][83] [في][84] مبتدأ اللوح. فهذه منك شهادة تواطئ مبتدأ اللوح وما على جبهة العرش، [وتوافق شهادة رب العالمين لنفسه][85].

(79) غير موجودة في: ت.

(80) في أ: جعلها.

(81) غير موجودة في: ت.

(82) غير موجودة في: ت.

(83) في أ: جعلها.

(84) غير موجودة في: ت.

(85) غير موجودة في: ت.

ذكر علة رفع الأيدي ورمي البصر [حيث][1] [يسجد][2]

وأما علة رفع الأيدي، فهو إشارة بالحَواس الخمس، [لأنك إنما وقعت في المعصية بهذه الحواس الخمس][3]، وأظهرت الكبر من نفسك بهذه الخمس، فأشرت بالأصابع الخمس تبرِّياً من جناية الحواس الخمس، وتنزيها لله، [ومن تكبّر][4] [من هذه الحواس][5] أن يكون منسوباً إليها، [و][6] إلى أن يشبه أحداً من خلقه، تعالى [الله][7]. وأما علة رمي البصر [حيث يقع سجوده][8]، فإن ذلك ترك [التكليف][9]. والانتصاب بين يديه على الخلقة، فإذا وقف ورمى ببصره على الخلقة، وقع في موضع مسجده، وإذا ركع، [وقع ببصره على][10] الخلقة على موضع قدميه، [وإذا سجد، يقع على أنفه][11]، وإذا قعد للتشهد، وقع [بصره][12] على فخذه.

(1) في ت: حين

(2) في أ: سجد.

(3) هذه العبارة جاءت في «ت» بعد قوله: «تبريا من جناية الحواس الخمس».

(4) جاءت في «أ» مباشرة قبل عبارة: «وتنزيها لله».

(5) مطموسة في: أ.

(6) في ت: أم.

(7) غير موجودة في: ت.

(8) في ت: حين يقع بوجهه.

(9) في ت: التكلّف.

(10) في ت: رفع بصره إلى

(11) غير موجودة في: ت.

(12) في أ: ببصره.

ذكر علة عدد الركعات والسجدات

وأما علة [عدد][1] الركعات والسجدات، فإن الركعة واحدة، والسجدة ثنتان، لأن جفاء النعمة نوع واحد، والذنب نوعان: تضييع الفريضة، والوثوب في [الحرمات][2]، لأنه أمر ونهي. فهما نوعان: [فالركوع][3] للجفاء، والسجدتان لتضييع الأمر والنهي.

(1) غير موجودة في: أ

(2) في ت: الحركات.

(3) في ت: كالركوع.

ذكر علة الركعتين

وأما علة [الركعتين][1]، فإن كلَّ صلاة ركعتان، من أجل [أن][2] الرئيس في الجسد [اثنتان][3]: روح ونفس. فالروح تأمر بالحَسَن، والنفس [تأمر][4] بالسوء. فإذا تطابقتا على المعصية، فهما [ربيبان][5] قد تطابقا، والجوارح تَبَعٌ لهما [دخولاً][6] فأمرتَ بركعتين، و[لكل][7] ركعة [سجدتان][8]، لأن الرئيسين قد اجتمعا على نوعين: العيب نوع، والذنب نوع. [فالعيب][9] استصغار ما عظم الله تعالى، وذلك أن النعم إنما [أَبْرَزَهَا][10] الله تعالى من عظمته، والذنب استهانتك بأمر الله تعالى. فإنما [صارت][11] لك الصلاة على صورة أفعالك السيئة، لتكون هذه الصلاةُ أفعالَ [حسنات][12] [تَسْتُرُ][13] سيئاتك.

(1) في أ: الركتين.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) غير موجودة في: أ.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: رئيسان.
(6) في أ: دخول.
(7) في ت: كل.
(8) في أ: سجدتين
(9) في ت: فالذنب.
(10) في أ: برزها.
(11) في ت: صوَّرتُ.
(12) غير واضحة في: ت.
(13) في ت: بسير.

ذكر علة عدد المفروضات

وأما علة [عدد الركعات][1] المفروضات، فإن الصلاة كانت في البَدْء ركعتين، فلما ندبهم الله [سبحانه وتعالى][2] في الصلاة إلى أدبار السجود؛ فقال تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار [النجوم][3]﴾[4]، [و][5] صلوا في [أثر][6] كل مفروضة ركعتين [أخريين][7]، فلما [صَبَّر عليها نفوسهم][8] أوجبها الله تعالى عليهم في الظهر والعصر. فلما صاروا إلى المغرب أوجب عليهم ركعة مع الركعتين اللتين كانتا في البدء، [لتكون][9] وتراً ليرفع الله سبحانه [وتعالى][10] [إليه][11] عمل [النهار][12] وتراً، فإن الله تعالى وتر يحب الوتر. و[كذلك][13] [قال][14] ابنُ عُمَر رضي الله عنهما: «المغرب وتر النهار». فلما صاروا إلى [صلاة][15] العشاء [زيد][16] فيها [ركعتان][17] مثل الظهر والعصر، ثم أمروا بالوتر فقال: «إن الله تعالى زادكم صلاة وهي الوتر»، فأوجبها عليهم بقوله: «إن الله زادكم صلاة ليُرْفَعَ إليه عمل الليل وتراً كما رفع إليه عمل [النهار][18] [وتراً][19]». فلما صاروا إلى الفجر، [أقرت على ما][20] كانت ولم يُزَدْ فيها، [وذلك أن تلك صلاة تطول فيها

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في ت: عز وجل.
(3) في «أ» و«ت»: السجود.
(4) الطور: 49.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: أخرتين.
(8) في ت: صبرت عليها نفوسهم.
(9) في أ: ليكون.
(10) غير موجودة في: أ.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) مطموسة في: أ.
(13) مطموسة في: أ.
(14) مطموسة في: ت.
(15) في أ: الصلاة.
(16) مطموسة في: ت.
(17) في أ: ركعتين.
(18) مطموسة في: أ.
(19) غير موجودة في: ت.
(20) في ت: أُقِرَّكما.

القراءة، فأقرت على الأصل ليلاً]‏[21]، [كما أقرت صلاة السفر على الأصل من أجل السفر، لئلاً]‏[22] تثقل على أهلها، [كما أقرت الجمعة على الأصل من أجل الخطبة، لئلا تثقل على أهلها]‏[23]: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾[24]. فلم يحب أن يحرج [عباده]‏[25] فقال: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[26]. وقال [تعالى]‏[27]: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[28]، فلم يجمع عليهم [خطبة]‏[29] وزيادة ركعتين، وسفرا وزيادة ركعتين، وطول القراءة وزيادة ركعتين، وتركت على الأصل الذي كان بدياً. وهما تحقق ما قلنا أن علة طول القراءة في الفجر هي العلة المتقدمة؛ أن الله تعالى [قال]‏[30]: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾[31]، [أي أقم الصلاة لقرآن الفجر. وإنما انتصب قوله قرآناً لسقوط اللام، ثم بين منزلته فقال: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾]‏[32]. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله [تعالى]‏[33] ينزل في [ثلاث]‏[34] ساعات [بقين]‏[35] من الليل، فيفتح الذكر الذي لم يَرَه أحد في الساعة الأولى فيمحو ما يشاء ويثبت، وينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن [وهي داره]‏[36] التي لم [ترها عين]‏[37] ولم [تخطر]‏[38] على قلب بشر، وهي مسكنه ليس معه من بني آدم غير [ثلاثة]‏[39]: النبيون، والصديقون، والشهداء. ثم يقول: طوبى لمن دخلك. ثم ينزل في الساعة [الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه]‏[40] وملائكته [سبحانه فتنتفض ـ يعني السماء ـ فيقول: قومي بعزتي]‏[41]. ثم يطلع [على]‏[42] عباده [فـ]‏[43]يقول: هل من مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ هل من سائل يسألني

---

(21) غير موجودة في: ت.
(22) غير موجودة في: أ.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) الأحزاب: 43.
(25) في أ: على عباده.
(26) الحج: 78.
(27) في ت: عز وجل.
(28) البقرة: 185.
(29) غير واضحة في: ت.
(30) غير موجودة في: ت.
(31) الاسراء: 78.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) في ت: ثلث.
(35) غير موجودة في: ت.
(36) غير موجودة في: ت.
(37) في ت: يرها أحد.
(38) في ت: يخطر.
(39) في أ: ثلاث.
(40) مطموسة في: أ.
(41) غير موجودة في: ت.
(42) في ت: إلى.
(43) في ت: ثم.

فأعطيه؟ هل من داع يدعوني فأجيبه؟ حتى تكون صلاة الفجر، فيشهدها الله تعالى وملائكته. ثم تلا: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾[44]»[45]، و[كذلك][46] قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر ألا يطلبك الله بشيء من ذمته»[47]. وإنما خصت صلاة الصبح من بين الصلوات بالذمة لشهود الله تعالى تلك الصلاة، [ولوقوع العبد بتلك الصلاة في قربه وشهوده][48]، فإذا تفرغ العبد لتلك [الصلاة][49] صار في ذمته. فهذه علة صلاة الصبح، وهذه علة الذمة، [لتعلم][50] أنه ليس شيء من هذه الأشياء إلاّ وله علة. وكذلك ما [جاء][51] في الحديث أن الأرواح تُرَدُّ إلى الأموات في ساعة الفجر، وفيها [تقسم][52] أرزاق الخلق والخليقة، وفيها يسبح أهل المملكة من العرش إلى الثرى. فتلك أطيب ساعات الدنيا لإقبال الله [تعالى][53] على خلقه، فإذا أقبل عليهم وشهد صلاتهم قال: «ألا هل من داع أجيبه؟ ألا هل من سائل فأعطيه؟ ألا هل من مستغفر فأغفر له؟ ألا هل من تائب فأتوب عليه؟»، [وإذا][54] أقبل على خلقه [استحب منهم تطويل][55] القراءة فيها[56]. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «[لله][57] أشد أُذُناً إلى القارئ للقرآن من صاحب القَيْنَة إلى قينته»[58]. وأيضاً إن

(44) الاسراء: 78.
(45) نحوه حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» ثم يقول أبو هريرة: «فاقرؤوا إن شئتم: إن قرآن الفجر كان مشهودا» رواه البخاري في «كتاب الأذان» برقم 612 وفي «كتاب تفسير القرآن» برقم 4348 من صحيحه، ومسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» برقم 1035 من صحيحه، والترمذي في «كتاب تفسير القرآن» برقم 3060 من سننه، والنسائي في «كتاب الصلاة» برقم 482 من سننه، وابن ماجة في «كتاب الصلاة» برقم 662 من سننه، وأحمد في «باقي مسند المكثرين» بأرقام 6888 و7294 و9749 من مسنده.
ونحوه أيضاً قوله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» رواه البخاري في «كتاب الجمعة» برقم 1077، و«كتاب الدعوات» برقم 5836، و«كتاب التوحيد» برقم 6940 من صحيحه، ومسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» برقم 1261 و1263 من صحيحه.
(46) في أ: ذلك.
(47) رواه مسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة» برقم 1050 من صحيحه.
(48) غير موجودة في: ت.
(49) غير موجودة في: أ.
(50) في ت: ليعلم.
(51) غير موجودة في: أ.
(52) في ت: يقسم.
(53) غير موجودة في: أ.
(54) في ت: فإذا.
(55) في ت: استجيب منهم لطول.
(56) يقال فيه ما قيل في حديث النزول قبله.
(57) في ت: الله.
(58) أخرجه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه =

الأرواح تعرج إلى الله تعالى في منامها، فترجع [بأطيب][59] ما كانت [فتقرأ][60] القرآن في صلاة الفجر [عن][61] أطيب روح، لأنها سجدت تحت العرش، فرجعت بطيب وطهارة. [ورُوي][62] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «تعرج الأرواح في منامها، فما كان [منها][63] طاهراً [سجد][64] تحت العرش، وما كان [منها][65] غير طاهر سجد قاصياً»، [ولذلك][66] يستحب أن لا ينام الرجل إلا [وهو طاهر][67][68]. [و][69] عن أبي الدرداء [رضي الله عنه][70] قال: «إذا نام الإنسان عُرِجَ بنفسه حتى يؤتى بها إلى العرش، فإن كان طاهراً أُذنَ لها بالسجود، وإن كان جُنُباً لم يؤذن لها بالسجود».

= من حديث فضالة بن عبيد (انظر: *المغني*: الباب الأول من «كتاب آداب تلاوة القرآن»: 1/322)، كما أخرجه محمد بن الحسين الآجري في *أخلاق أهل القرآن*، وكلمة «أذنا» معناها: «*استماعا*» (انظر: *أخلاق أهل القرآن*: 157)، وقال الحافظ ابن كثير: «سنده جيد» (انظر: *فضائل القرآن*: 73).

(59) في ت: إلى.

(60) في ت: فيقرأ.

(61) غير موجودة في: ت.

(62) غير موجودة في: ت.

(63) غير موجودة في: أ.

(64) في أ: فسجد.

(65) في أ: فيها.

(66) في ت: فلذلك.

(67) في ت: طاهراً.

(68) في استحباب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر أخرج أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث: «الطاهر النائم كالصائم القائم» وسنده ضعيف (انظر: *المغني*: القسم الثاني من «كتاب أسرار الطهارة»: 1/160).

(69) غير موجودة في: ت.

(70) غير موجودة في: أ.

ذكر علة الجمعة

وأما علة الجمعة، فإن الأيام سبعة، والآدمي يحتاج إلى التذكرة في كل [دَوْر][1] من الأيام. وذلك أنه عرف الله [تعالى][2]، وعرف الموت، وأيقن بالبعث والحساب ودار الثواب ودار العقاب. فهذه أخبار تردع النفس عن [التذرع في الشهوات][3]، و[التخطي إلى الحرمات][4] التي زجر الله [تعالى][5] عنها. فإذا [اختولته أشغال][6] النفس [غفل][7] عمّا ذكرنا من أمر الآخرة، فاحتاج إلى أن يذكر، فأمر العباد أن يحتشدوا في كل أسبوع مرة إلى المسجد الأعظم، و[يذروا][8] مساجدهم، و[ينتصب][9] مُذَكِّرُهُمْ، فيذكرهم [بـ][10] أيام الله تعالى ومنّته [والموت][11] والبعث والحساب والصراط والممر على النار وكل ما فيه متعظ. ثم [أقرت][12] تلك الصلاة على الأصل الذي كان في البدء، وهما ركعتان لئلا [تثقل][13] على العباد وقد أراد بهم اليسر في دينهم ورَفَعَ عنهم الحرجَ. وإنما صار ذلك على أهل الأمصار دون أهل القرى [والخيام][14]، [لأن أهل الأمصار][15] يجمعهم المصر فيؤديهم إلى الخطبة، وأهل القرى [مُقَيَّدون][16] في زراعاتهم، وأهل الخيام في [رعيهم][17]، قال الله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾[18]، فحرمه من أجل الخطبة [حتى][19] يأخذوا

(1) في ت: دول

(2) غير موجودة في: ت.

(3) في ت: شهواتها.

(4) في ت: التحطي في الجهات.

(5) غير موجودة في: ت.

(6) في ت: احتوته اشتغال.

(7) في أ: عقل.

(8) غير منقطة في «أ» و«ت».

(9) غير واضحة في: ت.

(10) غير موجودة في: ت.

(11) غير موجودة في: ت.

(12) غير موجودة في: أ.

(13) في أ: بثقل.

(14) في أ: لأن أهل القرى والخيام لأنهم

(15) غير موجودة في: «أ» و«ت».

(16) في أ: مبتدون.

(17) في ت: رعيتهم.

(18) الجمعة: 9.

(19) في ت: كي.

بحظهم من الوعظ والذكر. وإنما تجب على من [يضمهم][20] النداء وهم أهل [المصر][21]، فصار هذا اليومُ عيداً لهم؛ عادوا إلى الله [معتذرين][22] تائبين، فعاد الله تعالى عليهم [باللطف][23] والرحمة و[المغفرة][24].

(20) في ت: سمع.
(21) في ت: الأمصار.
(22) في ت: مقتدرين.
(23) في ت: بالعطف.
(24) في ت: المعرفة.

ذكر علة الجهر فيها والتخافت في سائرها

[وأما][1] علة الجهر [بالقراءة][2] في الجمعة و[التخافت][3] في سائر الأيام، [فلأن][4] رسول الله ﷺ كان يقرأ في [المسجد][5] الحرام جهراً في صلاة الظهر والعصر، [والمشركون جلوس في المسجد حلقاً حلقا][6]، فكان إذا جهر بالقرآن آذوه، لأنه كان يذكر في تلاوته آلهتهم، فأمر [بأن][7] يخافت في الصلاتين كي لا يؤذوه. فلما صاروا إلى [المغرب][8] خلا لهم المسجد، فجهر في [الصلوات][9] الثلاث. فلما قدم المدينة، أُقرَّت [الصلاتان][10] على المخافتة، ليبقى لهم رَسْم ذلك، فتوارثه المسلمون إلى آخر الدهر. وعلة ذلك؛ ما كان يلقى رسول الله ﷺ من الأذى في جنب الله [تعالى][11] حتى أقام الدين، ويعلموا رفق الله [تعالى][12] بالعباد و[بركة][13] المداراة. فلما صاروا إلى المدينة، أمر حينئذ بصلاة الجمعة والخطبة [للمؤمنين][14]، ولم يكن هناك من يؤذي، فجهر بالقراءة على الأصل الذي كان بدياً. وعلة القراءة [فيها][15] بـ: «الجمعة» و«المنافقين»، فمن أجل اتعاظ [المؤمنين][16] بما [فيهما من ذكرهما][17] و[أديهما][18] وتوبيخ المنافقين خلفَهُ [بسورة المنافقين][19].

---

(1) في ت: فأما.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: المخافتة.
(4) في ت: فإن.
(5) في أ: مسجد.
(6) مطموسة في «أ»، وفي «ت»: جلوسا.
(7) في ت: أ.
(8) في ت: البيوت.
(9) في ت: الصلاة.
(10) في أ: الصلاتين.
(11) غير موجودة في: أ.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) غير موجودة في: «ت»، وفي: «أ»: للمنين.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) في ت: المؤمن.
(17) في أ: فيها من ذكرها.
(18) غير واضحة في: ت.
(19) غير موجودة في: ت.

ذكر علة القراءة بالسجدة

و[هاذان][1] وعلة القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة بهاتين، فمن أجل [أن][2] السورتين فيهما ذكرُ خَلْق آدمَ صلوات الله [وسلامه][3] عليه. وإنما خُلق يوم الجمعة وكأنه أحب أن [ينشر][4] [هذا الذكر في][5] المصلين يوم الجمعة، وأيضاً فإن [لله][6] تعالى في كل غداة يوم جمعة ثناءً يثني به على نفسه، ويَمُنُّ به على [الآدميين][7] فأحب أن ينشر عن الله [سبحانه][8] [في خلقه][9] محاسن ما [أتى][10] إليهم في [خَلْقِ][11] آدم صلوات الله عليه وذريَّته.

---

(1) في ت: وهل أتى.

(2) غير موجودة في: أ.

(3) غير موجودة في: أ.

(4) في ت: ننشر.

(5) غير موجودة في: ت.

(6) في ت: الله.

(7) في أ: الأميين.

(8) غير موجودة في: ت.

(9) غير موجودة في: أ.

(10) في ت: أما.

(11) غير موجودة في: ت.

ذكر علة [أوقات الصلاة][1]

وأما علة [أوقات الصلاة][2]، فإن صلاة الصبح آية عظيمة، و[هو][3] مبتدأ الشمس، فإذا ظهرت الآية [فغير][4] محقوق أن يستقر العباد قرارهم كأنهم لا يعبؤون بالآية. ألا ترى أنها إذا [انكسفت][5] كان من استخف [بها][6] ممقوتاً؟! فالانكساف [تخويف وزوال][7]: [زوال][8] النعمة، وظهورها حين [يبدو][9] [الطلوع][10] للعالم نعمة [من][11] المنعم، و[آية][12] من آياته. [وأيَّةُ آيَة أعظم من خلق من خَلَق اللهُ، يبدو فيطبق الآفاق][13] في ساعة من النهار؟! وإنما سمي نهاراً لأنه يَنْهَر ذلك البياض [فيجري][14]، ومنه سمي النهرُ نهراً. وإنما سمي الليل ليلا، لأنه [يلألئ][15] فينظر الناظر إلى الأشياء، فتشتبه عليه حتى يقول: «هو؛ هو»، ثم يقول: «لا؛ لا»، فقد [لالا][16] الأشياء عليه. و[لذلك][17] سمي اللؤلؤ، لأنه [يلألئ][18]، وكذلك أصحاب [الجوهر][19]، ليس منْ مَرَّة يقع بصر أحدهم على اللؤلؤ، ثم رآه مرة أخرى إلاَّ [ترى][20] أنه على [غَير هيئته][21] الأولى. فيقبح بالعبد أن [تظهر آية][22] من آيات الله وهو مستقرٌ قراره لا يرتاع [لها][23]، ولا

(1) في أ: القراءة بالسجدة إلى أوقات الصلاة.
(2) في ت: الأوقات.
(3) في ت: هي.
(4) في ت: فغيرت.
(5) في أ: انكشفت.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) غير موجودة في: ت.
(8) في ت: فرحال.
(9) غير واضحة في: ت.
(10) في ت: والطلوع
(11) غير موجودة في: ت.
(12) في ت: أنه.
(13) مطموسة في: أ.
(14) مطموسة في: أ.
(15) في ت: تلألأ.
(16) غير موجودة في: أ.
(17) في ت: كذلك.
(18) في ت: تلألأ
(19) في ت: الجواهر.
(20) في أ: ترى له.
(21) مطموسة في: أ.
(22) في ت: يظهر أنّه.
(23) غير موجودة في: أ.

يشرئب. فأمر في وقت ظهور الآية أن يقوم إليه معتذراً، جنت يداه من نكث البيعة [وغفلته عن الله وعن حقوقه عليه في ليلته، ويستقبل الخير والبركة عند إقبال نهاره وإدباره، فتكون صلاته هذه في هذا الوقت كفارة من تقصير ليلته، وأساس خير في أول نهاره، وتكتب له في صدر كتابه][24]. ثم مَدَّ له في الوقت إلى طلوع الشمس.

(24) غير موجودة في: ت.

[ذكر علة الظهر](1)

[وأما علة الظهر](2)، فإن زوالَ الشمس سجودُها لله تعالى، وهي مُسخَّر لك، قد أدَّتْ ما أُمِرَتْ به. [فإذا](3) زالت للسجود فغير جائز ألاَّ [تقوم](4) [إلى الله](5) معتذراً مما [أتيت](6)، راكعاً وساجداً. وكيف [تحسن](7) الغفلة [ممن](8) [سُخِّرتْ](9) له و[سُخْرَتها](10) دوامها في [العبادة](11). ثم أتت في وقت الزوال من متوسّط المسافة بعبادة مُحْدَثَةً خشوعاً وخضوعاً، وذلك أنها مادامت ترتفع فهي في عُلُوٍّ، وروي عن ابن مَسعود أنه قال: «لا [تأتي](12) ساعة من نهار [في وقت طلوعها](13) إلا فتح باب من أبواب النيران، فإذا [زالت](14)، غلقت الأبواب وفتحت أبواب الرحمة». فهذا من [أجل العباد](15)؛ لما طلعت عليهم [كفروا](16) [بـ](17)نعمة الله تعالى، فعبدوها من [دون](18) الله. ولا [تأتي](19) عليهم ساعة إلا فتحت عليهم سَخْطة [لكفرانهم](20)، [لأنها](21) كلما طلعت ازدادت [الأرض](22) ضياءً وتَرْبِئَةً لمعاش الآدميين. فكلما وفرت النعم على العباد فيها ازدادوا [بها](23) كفراناً. وإذا [زالت](24) مالت [للسجود](25)، فذلك منها بمنزلة

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: وإذا.
(4) في ت: يقوم.
(5) في ت: إلي.
(6) غير واضحة في: ت.
(7) غير واضحة في: «أ» و«ت».
(8) في أ: بمَن.
(9) غير واضحة في: ت.
(10) غير واضحة في: ت.
(11) في ت: العباد.
(12) في ت: يأتي.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) مطموسة في: أ.
(15) مطموسة في: أ.
(16) مطموسة في: أ.
(17) غير موجودة في: أ.
(18) مطموسة في: أ.
(19) في أ: يأتي.
(20) في ت: الكفر.
(21) مطموسة في: أ.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) في ت: أرادت.
(25) في ت: إلى السجود.

الركوع، حتى إذا بلغت من متوسِّط القُبَّة إلى موضع الانحدار، انحدرت بعجلتها منحطة إلى الأرض [بالسجود. وإنما][26] سميت [عصرا][27]، لأنها عصرت [الانحطاط][28]. وإنما سميت [ظهرا، لأن][29] تلك الصلاة في وقت استوائها على ظهر القبَّة، والعصر في وقت عصورها من [محدُور القبة][30]، والمغرب [من][31] وقت غروبها، والعشاء من عُشوّ الأبصار [لغسق][32] الليل، والفجر لانفجار الصبح من قميص الليل. [وكل][33] صلاة منسوبة إلى صفة ذلك الوقت. [فقد ذكرنا علة العصر في هذه الصفة][34].

(26) مطموسة في: أ.

(27) في أ: عصر.

(28) في ت: للانحطاط.

(29) في أ: ظهوراً لأنك.

(30) في أ: مجدود بالقبة.

(31) في ت: في.

(32) في ت: كعشوّ.

(33) في ت: فكل.

(34) غير موجودة في: ت.

[ذكر علة المغرب][1]

وأما علة المغرب، فلظهور سلطان الليل، وهي آية عظيمة قد بَدَتْ [و][2] طبقت الأفق، و[لفّ][3] كل [شيء][4] وأدّاه إلى مأواه، قال الله تعالى: ﴿والليل وما وسق﴾[5]. وذلك أن النفوس تتوحش [لمجيئه][6]، وتفزع إلى المأوى. وكذلك كل دابة وكل [روحاني][7]، فجعلها رحمة للعباد، وقال [تعالى][8] في تنزيله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾؛ أي في الليل، ﴿ولتبتغوا من فضله﴾، أي بالنهار [من معايشكم][9]، ﴿ولعلكم تشكرون﴾[10]؛ أي على هذه النعمة والتربية في هذا [المرفق][11]. فمبتدأ الآية ظهور السلطان عند [المغرب][12]، وآخرها إذا طبقت الأفق [فأعشت][13] الأبصار. فهذه علة المغرب والعشاء، وهذه أوقات ظهور الآية. [فغير][14] جميل بالعبد [ألا][15] يعظم الآية، و[أعسر][16] بملوك [الدنيا، ولله المثل الأعلى. فما ظنك][17] بملك قد [جفوته][18]، وساءت رغبتك في معاملته، فأقبل إليك. [ف][19] في أول ما [تقبل][20] أوائل جيوشه، تتأهب و[تستعد][21] للقيام إليه مبجِّلاً [لمجيئه][22]، معظماً لإقباله، و[تتعجل][23] في [أخذ][24] الزينة بكل ما تقدر عليه. حتى إذا أقبل

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) مطموسة في: أ.
(3) في ت: أن.
(4) غير واضحة في: ت.
(5) الانشقاق: 17.
(6) في ت: بمجيئه.
(7) غير واضحة في: ت.
(8) في ت: عز وجل.
(9) في ت: في معاشكم.
(10) القصص: 73.
(11) في ت: الموقف.
(12) في ت: العرب.
(13) في ت: وأعشت.
(14) مطموسة في: أ.
(15) في ت: لا.
(16) مطموسة في: أ.
(17) مطموسة في: أ.
(18) في أ: جوت.
(19) غير موجودة في: أ.
(20) في ت: يقبل.
(21) في ت: تستوي.
(22) في أ: بمجيئه.
(23) في ت: يتعجل.
(24) في ت: أحد.

عليك [فوجدك][25] قد تزينت له وبادَرت إقباله [بالتهيء][26] و[الاستعداد][27] [تعظيماً][28] له، [تكرّم][29] عليك وتفضل وأنالك نواله. وإن لم تفعل ذلك، وتغافلت عن إقباله، فأقبلت جيوشه وانفضت، وأقبل بنفسه بإزائك [ليعترض جنوده][30]، فلم ترفع بإقباله رأسَك اشتغالاً بنفسك، [وزال على تلك الحالة][31]، تهاون بك، وقصّر بك عن المراتب، و[رفع][32] نواله عنك، [وجنّبك][33] [من][34] خيره ومعروفه: [فقير][35] [مسكين][36]!! فظهور الآية هو [أوائل][37] جيوشه، حتى إذا [أقيمت][38] الصلاة، فهو [في][39] وقت إقباله على عباده، واطلاعه إليهم، ورفع الحجب فيما بينه وبينهم، وإهطال الرحمة عليهم، و[شهودَ][40] [رغباتهم][41] ورهباتهم. وروي في الخبر أن العبد إذا أقبل على صلاته، قال الله [تعالى][42]: «ارفعوا الحجب»، فإذا التفت [العبد][43] قال الله [تعالى][44]: «ارخوا الحجب»، ثم يقول: «أين تلتفت عبدي؟! أنا خير لك ممن تلتفت إليه». [وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أقبل العبد على صلاته، أقبل الله تعالى عليه بوجهه»[45]، وروي في الخبر عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله تعالى مقبلاً على العبد ما لم يلتفت، فإذا التفتَ: صرف وجهه وانصرف عنه»[46]][47]. [وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال][48] رسول الله ﷺ: «إن الله [سبحانه وتعالى قبل وجه أحدكم في][49] صلاته».

---

(25) في ت: يجلك.
(26) في ت: بالتأهب.
(27) في أ: الاستعاد.
(28) في ت: تعظما.
(29) مطموسة في: أ.
(30) غير موجودة في: ت.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) مطموسة في: أ.
(34) في ت: عن.
(35) غير واضحة في: ت.
(36) في ت: مستنكر.
(37) في ت: أول.
(38) في أ: قيمت.
(39) غير موجودة في: ت.
(40) في أ: سهود.
(41) في ت: رعايتهم.
(42) في ت: عز وجل.
(43) غير موجودة في: أ.
(44) في ت: عز وجل.
(45) في هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت» رواه الترمذي والحاكم وصححاه (انظر: *صفة صلاة النبي*: 81).
(46) أخرجه بدون زيادة: «فإذا التفت انصرف عنه» أبو داود والنسائي والحاكم وصححه (انظر: *المغني*: الباب الثالث من «كتاب أسرار الصلاة ومهماتها»: 1/ 198).
(47) غير موجودة في: ت.
(48) غير موجودة في «أ» وفي «ت»: سقط الحرف «عن».
(49) مطموسة في: أ.

ذكر علة أول الوقت [على آخره][1]

وأما علة [أول][2] الوقت على [آخره][3] فضلاً، فإنه إذا دخل الوقت توجه العباد إلى الله تعالى [بوجوههم][4]، [وفي التوجه][5] الإقبال على الله تعالى. فإذا أقبلوا عليه، أقبل عليهم بالرأفة والرحمة، [فجرَت][6] الرحمة كالسيل. فليس من يتلقى أول [السيل][7] في قليل من العدد [من][8] الأمصار و[الأرَضين][9]، كمن [يتلقى][10] أواخره في عدد لا يحصى. ولذلك قيل: «أول الوقت رضوان الله»، فالرضوان غاية الرضى، فإنما تجلبها [عليه][11] أوائل الرحمة. وللسيل من القوة ما يظهر [المزايد][12]، ويقلع البنيان. [وكذلك][13] سيل الرحمة يقلع بنيان أخلاق السوء، و[يطهِّر][14] القلب من الشهوات. وأيضاً [خَلة][15] أخرى: ليس من يتلقى أمر سيده بالتعظيم والمسارعة و[المسابقة][16] كمن يتلقاه بالتراخي والتباطؤ. فالطالب لأول الوقت معظم متسارع [سابق][17]، والتارك كالذي يعمل على ضرورة أو مُكرَهاً. ولكل صلاة ديوان يرفع إلى الله [سبحانه و][18] تعالى، [ويُريه لصاحبها. فليس من ينشر ديوانه في أوائل العرض، كمن ينشر في آخره، وتخرج براءته في أول البراءات. حدثنا بذلك عبد الكريم بن عبد الله قال][19]: حدثنا

(1) غير موجودة في: أ.
(2) مطموسة في: أ.
(3) مطموسة في: أ.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: في توخيهم.
(6) في ت: فحرت.
(7) في ت: الليل.
(8) في ت: في.
(9) في ت: الأرصين.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) غير موجودة في: أ
(12) غير واضحة في: أ.
(13) في ت: فكذلك.
(14) في ت: يظهر.
(15) في ت: حلة.
(16) في ت: المشاهدة.
(17) في ت: متسابق.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) غير موجودة في: ت.

[بذلك][20] الهيثم المكي عن الربيع بن بدر عن سوار بن [شبيب][21] عن وهب بن منبه [عن عبد الله بن عباس][22] قال: «إن لله [تعالى][23] ملكا يسمى [شمخايل][24]، وهو من ملائكة [الحجاب][25]، يأخذ [البراءة][26] للمصلين عند كل صلاة من رب العالمين، فإذا أصبح [المؤمن][27]، قاموا وتوضؤوا وصلوا صلاة الفجر، [أخذ][28] [من الله براءةً فيها مكتوب][29] بخط الله تعالى: أنا الأول الباقي، عبيدي وإمائي في حرزي؛ جعلتكم في ذمتي [وحفظي][30]؛ وتحت كنفي صيَّرتكم؛ وعزتي لا أخذلكم، [مغفورة][31] لكم [ذنوبكم][32] إلى الظهر. فإذا كان وقت الظهر، قاموا وتوضؤوا وصلوا [الظهر][33]، [أخذ][34] من الله تعالى البراءة الثانية؛ مكتوب فيها: عبيدي وإمائي؛ بدِّلتُ سيئاتكم حسنات، وغفرت لكم السيئات، وأدخلتكم [برضائي][35] دار الجلال. فإذا كان وقت العصر، قاموا وتوضؤوا وصلوا، [أخذ][36] من الله تعالى البراءة الثالثة مكتوب فيها: عبيدي وإمائي؛ حرمت أبدانكم [على النار][37]؛ وأسكنتكم مساكن الأبرار؛ و[دفعت][38] عنكم برحمتي الأشرار. فإذا كان وقت المغرب، قاموا وتوضؤوا وصلوا [أخذ][39] من الله تعالى البراءة الرابعة مكتوب فيها: عبيدي وإمائي؛ صعد إليَّ [ملكان][40] من عندكم بالرضا؛ فحق [عليَّ][41] رضاكم، وأنا معط يوم القيامة [منيَتكم][42]. [فإذا][43] كان وقت العشاء، قاموا وتوضؤوا وصلوا، أخذ من الله [سبحانه و][44] تعالى البراءة الخامسة مكتوب فيها: عبيدي وإمائي؛ في بيوتكم تطهرتم؛ وإلى بيوتي مشيتم؛ وفي ذكري خضتم؛ ودعائي أجبتم؛ وحقي عرفتم؛

(20) غير موجودة في: أ.
(21) غير واضحة في: أ.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) في أ: سمخايل.
(25) في ت: الحجب.
(26) في أ: البرات.
(27) في ت: المؤمنون.
(28) في ت: أخذوا.
(29) في ت: براءة من الله مكتوب فيها.
(30) مطموسة في: أ.
(31) في «أ» و«ت»: معفور.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) غير موجودة في: أ.
(34) في ت: أخذوا.
(35) في أ: بردائي.
(36) في ت: أخذوا.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) في ت: رفعت.
(39) في ت: وأخذوا.
(40) في أ: ملكا.
(41) في ت: عليكم.
(42) في ت: يسركم.
(43) في ت: وإذا.
(44) غير موجودة في: أ.

[وفرائضي][45] أديتم؛ أشهدك يا شمخايل وسائر ملائكتي أني قد رضيت عنهم. فينادي شمخايل ثلاثة أصوات كل ليلة بعد صلاة [العشاء الآخرة][46]: يا ملائكة الله! إن الله جل جلاله قد غفر للمصلين الموحدين. فلا يبقى ملك في السماوات السبع إلا استغفر للمصلين ودعا لهم بالمداومة عليها. فمن رزق منهم صلاة الليل، ما من عبد ولا أمة قام لله [تعالى][47] مخلصاً، فتوضأ وضوءاً سابغاً، [فصلى إلا جعل الله خلفه سبعة صفوف من الملائكة ما لا يحصي عَدَدَهُمْ][48] إلا اللهُ تعالى، أحد طرفي الصف بالمشرق [والآخر][49] بالمغرب. فإذا [فرغ][50] كتب الله [تعالى][51] [له][52] بعدد هؤلاء الملائكة حسنات، ومحى [عنه][53] بعددهم سيئات ورفع [له][54] بعددهم درجات.

(45) مطموسة في: أ.
(46) في ت: العشاء.
(47) في ت: عز وجل.
(48) مطموسة في: أ.
(49) مطموسة في: أ.
(50) في ت: قرع.
(51) غير موجودة في: ت.
(52) غير موجودة في: أ.
(53) في ت: عنهم.
(54) في ت: لهم.

ذكر علة صلاة الجماعة والإمامة

و[أما][1] علة صلاة الجماعة [والإمامة][2]، فلتفاوت الخلق في [هذا][3] الوفاء: وفاء الإسلام. فربَّ واحد أكثرُ من مائة ألف، فإذا اجتمعوا [لإقامة الصلاةَ][4] لَم [تَخلُ][5] تلك الجماعَة من قوي يغرق في جنبه مائة و[مائتان][6] وألف وأكثر من ذلك. وإنما تنزل [تلك][7] الرحمة على تلك الجماعة، [فتقسَم][8] عليهم. فالضعيف [يشارك][9] [القوي][10]، ويَسُدُّ خلله بما ينال من فضل قوة القوي. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مؤمن قوي ومؤمن ضعيف، [فالمؤمن][11] القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وكلاهما على خير»[12]، فالمؤمن القوي هو الذي امتلأ قلبه من الإيمان، وامتلأ صدره من شعب الإيمان و[صدّقه][13] التوكلُ والحياءُ والرضا والقناعةُ [والخوفُ والرجاءُ والشوقُ والمحبةُ والتعظيمُ والمهابةُ والإجلالُ ونحو ذلك من حقائق الإيمان][14]، وبذلُ النفس والرحمةُ والسلامةُ من الآفات. فإن تفاوت [صلاة][15] هذا وفضلها على غيره. فهذا القوي ينتصب بين يدي الله [تعالى][16] بقلبه، كما ينتصب في الظاهر بجوارحه. فقلبه يناجي، وفؤاده [يناغي][17]، و[بدنه][18] يواجه، وليس لقلبه

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: يخل.
(6) في أ: مائتين.
(7) غير موجودة في: أ.
(8) في ت: فتنقسم.
(9) في ت: يشركه.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في ت: والمؤمن.
(12) رواه مسلم في «كتاب القدر» من صحيحه برقم 4816، وابن ماجة في «المقدمة» برقم 76 وفي «كتاب الزهد» برقم 4158 من سننه، وأحمد في «كتاب باقي مسند المكثرين» من سننه برقم 8436 وبرقم 8473.
(13) في أ: صدقه من.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في ت: صلوات.
(16) غير موجودة في: ت.
(17) في ت: يناجي.
(18) في ت: يديه وجوارحه.

التـفـات، لأنه قـد سلم صـدره من الآفـات، وتفـرغ [قلبـه][19] منهـا. ومـثـل من [يقصد][20] بعمل الأركان، ويهمل [شأن][21] [القلب][22]، مثل [قائد][23] دعاه الملك، [فعمد][24] إلى [شـاكريَّتـه وخـدمـه، فكسـاهم الرِّياط البـيض][25]، ثـم [غشَّاهم][26] من فوق تلك الرِّيَاط الديباجَ و[الوشي][27]، و[عمد][28] إلى خُلْقَان دَنِسَة، كأنه أخذها من [المزابل][29]، و[اكتساها][30]، ثم لقي الملك [وهو][31] في هذه الحالة مع شاكريته وخَدَمه. فكذلك من طهر أركانه من المعاصي [فنقاها][32]، ثم زينها بألوان الطاعات [فأغفل][33] شأن القلب وهو الملك، وفيه الغل، والحسد، والغش، والمكر، والحـمـيـة، والحـقـد، وطلب العلو، وحب الثناء، والشـهـوة، والغـضـب، والحـرص، والشح، والبـخل، والطمع، وحب العـز، والرغـبـة، والتـجـبـر، والقـسـوة، والفظاظة، و[الغلظة][34]، و[الـطـيـش][35]، والحدَّة، والعُجْب، و[طول][36] الأمل، وأمن العـاقـبـة، والفرح [بما][37] أُعطي من الدنـيـا، وقلة الرضا عنه، و[الصَّلَف][38]، واليأس، والتعلق بالمخلوقين، و[السخط][39] [في الأحوال][40]، والنظر في عيوب الخلق، وقلة الرحـمـة، وترك النصـيـحـة، والتخلق بأخلاق الشياطين. فإذا قام بين يدي الله جل جلاله مع هذه الآفات، [وقام آخر في خُلو من هذه الآفـات][41] كلهـا، [ممتلئ][42] الصدر [بشعلة][43] الأنوار، يناجي ربه، [مُلقىً][44] [بين يديه][45] سلمـا وخـضـوعـاً وخشـوعـاً بَانَ [تفاوتُ صلاتيهما][46]. فإذا [اجتمعا][47] إلى صـلاة، [فكانت][48] صـلاةً واحدةً، فعلى

(19) غير موجودة في: ت.
(20) في ت: تفضل.
(21) غير واضحة في: ت.
(22) في ت: القلم.
(23) في ت: قائل.
(24) في ت: فعمل.
(25) مطموسة في: أ.
(26) مطموسة في: أ.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) في ت: عمل.
(29) في أ: الزابل.
(30) في ت: أكساها.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) في أ: ثم فنقها.
(33) في ت: وأعقد.
(34) في أ: الغلط.
(35) في ت: البطش.
(36) غير موجودة في: ت.
(37) في ت: لما.
(38) في ت: المصلق.
(39) في ت: السمه.
(40) غير موجودة في: ت.
(41) غير موجودة في: ت.
(42) في أ: فتمتلئ.
(43) في ت: يشتعل.
(44) في «أ» و«ت»: ملق.
(45) غيـر واضـحـة في: «ت»، وفي «أ»: بين يدي نفسه.
(46) في ت: تفاوضت صلاتهما.
(47) في أ: اجتمعتا.
(48) في ت: وكانت.

قدرها تنزل الرحمة، [فنال][49] الضعيف من ذلك. وروي عن كعب أنه قال: «أجد [في التوراة][50] أن الرجل من هذه الأمة ليَخرُّ ساجداً، فيغفر لجميع من خَلْفَه من الصفوف [فضلاً][51] عنه»، فكان كعب يتحرّى الصف المؤخر رجاء أن يكون فيما [تقدم][52] من الصفوف [واحد منهم][53]. ألا ترى إلى قوله [عليه السلام][54]: «إنْ سرَّكُمْ أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما [بينكم وبين ربكم»][55]؟! ووجه آخر؛ ليس من[56] يحمل على المأموم [بأَوْجُه][57] كمن يحمل بوَجه واحد. وكلهم يرجو الرحمة، وليس رجاءُ واحد كرجاءَ الجَمِّيع، وليس اعتذار واحدٍ كاعتذار الجميع. وإنما يعتذر [كل][58] واحد مِّن الذنب، ويسأل كل [واحد][59] المغفرة والرحمة. فإذا اجتمعوا على مسألة [واحدة][60]؛ أُجيبوا، و[كذلك][61] قال ابن عمر: «إن الله تعالى ليعجب من صلاة [الجماعة][62]». ألا ترى إلى التدبير في شأن الملوك أنه إذا اكثرت الوجوهُ [لدى][63] المسألة استحيى منهم أن يَرُدَّهم فيجيبهم وإن لم يكونوا [أهلاً][64] لذلك؟! فإنما وضع هذا في العباد، لكي يعرفوا ذلك [منه][65] فيرجوه. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: أستحيي من عبدي أن يرفع إلي يديه ثم [أردهما][66] صفرا»[67]، وقال: «قال الله [تعالى][68]: لأنا أكرم وأعظم عفواً [أن يبسط][69] العبد [يده][70]

---

(49) في أ: قال.

(50) غير موجودة في: ت.

(51) في ت: فصلا.

(52) في أ: تتقدم.

(53) غير موجودة في: أ.

(54) في ت: ﷺ.

(55) أخرجه الدارقطني والبيهقي وضعف إسناده من حديث ابن عمر، والبغوي وابن قانع والطبراني في *معاجمهم* والحاكم من حديث مرثد بن أبي مرثد وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمي وهو ضعيف (انظر: *المغني*: الباب الرابع من «كتاب أسرار الصلاة ومهماتها»: 1/ 206).

(56) مطموسة في: أ.

(57) مطموسة في: أ.

(58) غير موجودة في: أ.

(59) غير موجودة في: ت.

(60) غير موجودة في: أ.

(61) في ت: لذلك.

(62) في ت: الجميع.

(63) في ت: لذي.

(64) غير موجودة في: أ.

(65) في ت: فيه.

(66) في ت: أردها.

(67) رواه أبو داود في «كتاب الصلاة» برقم 1273 من سننه، وابن ماجة في «كتاب الدعاء» برقم 3855 من سننه.

(68) في ت: عز وجل.

(69) في أ: أيبسط.

(70) في ت: يديه.

إلى ما عندي فأردُّه خالياً، فقالت الملائكة: إلهَنا! [أ][71] ليس لذلك بأهل؟ فيقول الله تعالى: لكني أهل التقوى وأهل المغفرة، ولأنا أكرم وأعظم [عفواً][72] من أن أستر على عبدي [المسلم][73] في الدنيا، ثم أفضحه بعد [إذ][74] سترته، فلا أزال أغفر لعبدي [المسلم][75] ما استغفرني، وإني لأستحيي من عبدي وأمَتي [يشبان][76] في الإسلام، ثم أعذبهما بعد ذلك في النار»[77] [إلى آخر الحديث][78].

(71) غير موجودة في: ت.
(72) غير موجودة في: ت.
(73) غير موجودة في: ت.
(74) في ت: أن.
(75) غير موجودة في: ت.
(76) في ت: يشيبان.
(77) لم أقف عليه.
(78) في ت: الحديث إلى آخره.

ذكر علة الصف

وأما علة الصف، فإن هذه [خصلة][1] لم [تنلها][2] أُمَّة، وإنما خص الله [تعالى][3] بها هذه الأمة. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى أعطاني ثلاث خصال لم [يُعْطَها أحداً][4] قبلي: صف الصلاة، وتحية أهل الجنة السلام، وآمين. إلا ما كان من موسى [وهارون][5]»[6]، قال النبي ﷺ: «قال موسى [وهارون][7]: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾، قال الله: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾، فإنما كان الداعي موسى وأمَّن هارون، وقال رسول الله ﷺ: «إن اليهود لم يحسدوكم على شيء ما حسدوكم على آمين»[8]. فالصفوف كانت للملائكة، فَخُصَّت بها هذه الأمة والعلة في ذلك [أن][9] [الاصطفاف][10] هو الاتفاق على شيء واحد، وإنما أعطيت الملائكة [ذلك][11] الاتفاق الظاهر والباطن. وذلك أنهم قد خلوا من الشهوات، فلما [ألقيت][12] الصلاة إلى الآدميين، عجزت الأمم قبلنا [عن][13] الاتفاق، فكان باطنهم خلاف ظاهرهم للشهوات التي فيهم، لأن القيام بين [يدي الله][14] تسليم النفس إليه عبودة، [و][15] العبد لا مشيئة له، . إنما [ينظر][16] ويراقب مشيئة مولاه. فلما خلت الملائكة من الشهوات، كان قيامهم في الظاهر كقيامهم في الباطن. ولما ابتُلي [الآدميون][17] بالشهوات، لم يمكنهم

(1) في ت: خاصَّة.
(2) غير واضحة في: أ.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: لم يُعطها أحداً.
(5) غير موجودة فيَ: ت.
(6) لم أقف عليه.
(7) غير موجودة في: ت.
(8) رواه البخاري في *الأدب المفرد*، وابن ماجة وابن خزيمة وأحمد والسراج بسندين صحيحين (انظر: *صفة صلاة النبي*: 97).
(9) غير موجودة في: أ.
(10) في ت: الاصطفا.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) غير موجودة في: أ.
(13) في ت: على.
(14) في ت: يديه.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) في ت: ينتظر.
(17) في أ: الآ.

ذلك، [فـ][18] قاموا بين يديه بأبدانهم، ومالت قلوبهم ونفوسهم عن الله إلى وساوسها. فهم يجاهدون في صلاتهم نفوسَهم حتى يَرُدُّوا القلوب إلى الله تعالى، إلا أهل اليقين [منهم][19]، فإنهم لما رفضوا الشهوات [أخبتت][20] قلوبهم لله [تعالى][21] وحَيِيَتْ، و[اطمأنت][22] نفوسهم [إلى الله][23] [تعالى][24]، أمكنهم أن يقوموا [لله][25] [بَدَناً][26]، ويقوموا [لله][27] [قلباً. فإذا نظر الله][28] تعالى إليهم [وجدهم][29] بالقلوب وقوفاً بين يدي عظمته وجلاله، ونفوسُهم مطمئنة بربوبيته، وأبدانُهم منتصبة بين يديه، وهم الذين يُدْعَوْنَ بهذا الاسم: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[30]: راضية عن الله [تعالى][31]، مرضية قد رضيها الله تعالى [وقبلها][32]، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا أبكر! أما إن الملك [سيقولها][33] لك عند الموت»[34]. فالعامة عاجزة عن بلوغ هذه [الخصلة][35]. فلما كان العجز عن هذا ظاهراً في الأمم قبْلَنَا، لم [تعط][36] صفوف الصلاة، فكانوا يقومون فُرَادَى، لأنهم لو اصطفوا وباطن قلوبهم غير مصطفة بين [يدي الله][37]؛ لكان هذا [نفاقاً][38]، يعطون الله تعالى من أبدانهم خلاف ما في قلوبهم من التسليم إليه. وكيف يكون [تسليماً][39] واعتذاراً وأركانه بين يديه، ولسانه يناجيه على العادة، وقلبه في مزايد الدنيا، ومُنَاها وساوس النفس؟! ألا ترى [إلى][40] قول رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة امرئ [لا][41] يشهد فيها قلبُه ما

(18) غير موجودة في: أ.
(19) غير موجودة في: ت.
(20) غير واضحة في: ت.
(21) في ت: عز وجل.
(22) في أ: اطمأنات.
(23) مطموسة في: أ.
(24) غير موجودة في: ت.
(25) غير موجودة في: ت.
(26) في ت: ندبا.
(27) في ت: الله.
(28) غير موجودة في: ت.
(29) في ت: وحدهم.
(30) الفجر: 27-28.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) في ت: يقبلها.
(33) في ت: ستقبلها.
(34) بحثت كثيراً في الأحاديث الصحيحة والحسنة والصعيفة والموضوعة التي تذكر مناقب أبي بكر لكنني لم أقف فيها على هذا الخبر.
(35) في ت: الخطة.
(36) في ت: يعط.
(37) في ت: يديه.
(38) في «أ»: نفاق، وفي «ت»: اتفاقا.
(39) في ت: سليماً.
(40) غير موجودة في: ت.
(41) في ت: حتى.

يشهد بدنه»[42]؟! فقوله: «لا يقبل [الله][43] منه» ليس على أنه لا تُجْزيه صلاته، [فيعيد][44]، ولكن لا يقبلها منه كاملة بنورها و[براءتها][45]، وميزانه الذي وضعه بين العباد. وما ظنك برجل سمع أنه رُفع إلى الملك من [خَبَره][46] ما لا يحسن موقعه منه، فقصده معتذراً، فأنفذ إليه شاكريَّته [وخَدَمه، لِيتقوموا][47] مقام الاعتذار، وأقبل بنفسه [على][48] ما لا [يعنيه][49] [من شهواته؛ متشاغلا][50]؟! أليس [محقوقاً][51] بالرَّد والحرمان؟! أليس من قول الملك أن يقول: أبهذا [القدر ياليت من][52] الخبر الذي رفع [إلي، ومن وجدي عليك][53]، وعنايتك من الاعتذار هذه العناية؟! فلما أُيِّدت هذه الأمة بفضل [اليقين][54]، وخُصَّت أولياء هذه الأمة بأجزاء من النبوة، أعطيت صفوف [الصلاة][55]، لأنه أمكنهم أن يقوموا لله [بدناً][56] ويقفوا عليه قلباً، فاتفق الظاهر والباطن، فلم يكن قيامهم نفاقاً، لأن النفاق كل شيء له وجهان، [ومنه نافق اليربوع؛ فإن لها بابين][57]. وإنما يعطي الشيء إذا [أعطى][58] خيار الأمة، [ثم يكون سائر الأمم تَبَعاً لهم][59]، و[ينالون][60] الحظ من ذلك [لحظوظ خيارهم][61]. وقال رسول الله ﷺ: «أعطيت هذه الأمة من اليقين ما لم تعط أمة»[62]، وهو قوله تعالى: ﴿إن الهدى

(42) نحوه حديث: "ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل"، قال زين الدين العراقي: «لم أجده مرفوعاً، وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب *الصلاة* من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلا: «لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه»، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند *الفردوس* من حديث أبيّ بن كعب، ولابن المبارك في *الزهد* موقوفا على عمار: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه» (*المغني*: الباب الثالث من "كتاب أسرار الصلاة ومهماتها": 1/ 189).

(43) غير موجودة في: ت.

(44) غير واضحة في: ت.

(45) في ت: برهانها.

(46) في ت: خيره.

(47) مطموسة في: أ.

(48) مطموسة في: أ.

(49) مطموسة في: أ.

(50) في ت: متشاغلا به من شهواته.

(51) في أ: محقوق.

(52) غير موجودة في: «ت»، والعبارة غير مفهومة.

(53) في ت: من موحِّد إلي.

(54) في ت: النفس.

(55) في ت: الملائكة.

(56) في ت: ندبا.

(57) في ت: ومنهم [... غير واضحة] فإن هذه ذو بأس.

(58) في أ: اد عطى.

(59) غير موجودة في: ت.

(60) في ت: ينالوا.

(61) في ت: بخصوص أخبارهم.

(62) لم أقف عليه، ولكنّ نحوه الخبر التالي: "نجا أول هذه الأمة باليقين"، قال العراقي، "أخرجه ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" *المغني*: الباب الثاني من "كتاب ذكر الموت وما بعده": 4/ 482.

هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله [يؤتيه من يشاء][63]﴾[64] الآية. وكذلك قيل في الإنجيل: "أمة محمد ﷺ حكماءُ علماءُ كأنهم من الفقه أنبياء"، وإنما [يوصف][65] خيارهم بذلك، ويكون الآخر تبعاً [لهم][66]، وقيل في التوراة: "أمة محمد ﷺ صفوة الرحمن"، وإنما [صفت][67] نفوسهم من كدورة الأخلاق [الترابية][68] باليقين، حتى ذابت [منها][69] [الترابية][70] التي فيها، بمنزلة جوهر الفضة، يؤخذ من [المعدن][71]، فيذاب حتى يزايله التراب، ثم يذاب حتى يصفّى، ويتخذ نُقْرَةً، ثم يذاب ويصفى [حتى][72] يصلح للضرب، فيكون ثمناً للأشياء. وأمة محمد ﷺ [حظوظهم][73] من حظ رسولهم. [فكما][74] أن محمداً ﷺ سيد الأنبياء، [فكذلك أمته سيدة الأمم. وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أعطاني][75] [خمسا][76]: جعل الأرض كلها لي مسجداً، وترابها [لي][77] طهوراً، وأحل لي الغنائم، ونصرت بالرعب [من][78] مسيرة شهر»[79]، فورثت أُمتُه [صفة][80] [هذه][81] الخصال منه، و[ذلك][82] كله بفضل اليقين الذي أعطوا. وشرح هذا [الباب][83] [طويل][84]، [فاختصرناه][85].

---

(63) غير موجودة في: أ.
(64) آل عمران: 73
(65) في ت: وصَفَ.
(66) في ت: لذلك.
(67) في ت: صَفَيَت.
(68) في ت: الدنية.
(69) غير موجودة في: أ.
(70) في ت: الدنية.
(71) في ت: العذرة.
(72) مطموسة في: أ.
(73) في ت: خصوصهم.
(74) في ت: قلنا.
(75) مطموسة في: أ.
(76) في ت: خصالا.
(77) غير موجودة في: أ.
(78) غير موجودة في: ت.
(79) متفق عليه من حديث جابر (انظر: *المغني*: الباب الثامن من كتاب الإخلاص والنية والصدق: 4/ 560).
(80) غير موجودة في: ت.
(81) في أ: هذا.
(82) في ت: كذلك.
(83) غير موجودة في: أ.
(84) في ت: يطول.
(85) غير موجودة في: أ.

ذكر [علة](1) من صلى خلف الإمام وحده

وإنما قيل لمن صلى خلف الصف وحده [بأن](2) يعيد [تأدُّباً](3)، لأنه رفض هدية الله تعالى التي خصه بها من بين الأمم، وترك التمثل بأهل [الاتفاق](4). فإذا انفرد [من كان](5) بهذه الصفة، فقد [تشبه](6) [بالمخلوقين](7) المحرومين المنحوسين حظهم. و[كذلك](8) قال ابراهيم النخعي [فيمن](9) صلى خلف الصف وحده أنه [قد](10) ذهب فضله، فأما فرضه فقد قُضي. وعن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ إنما أمره أن يعيد تأديباً. وعن عمرو بن مرة أنه قال في حديث [رابضة](11): «إنما أمره النبي [عليه السلام](12) [أن يعيد](13) تأديبا»؛ كانوا يرون هكذا، وكان النبي ﷺ [يأمر](14) بتسوية الصفوف، [ولا يكبر حتى يمشي في الصفوف](15)، [فيسوي](16) مناكبهم ويقول: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" (17)، ويقول: "إن الله أعطاني من أمتي سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، قلوبهم على قلب رجل واحد" (18). [و](19) عن [زياد](20) بن أبي حبيب قال: "كانت قلوبهم على قلب

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: أن.
(3) في ت: تأديبا.
(4) في ت: التفاق.
(5) في أ: و.
(6) غير واضحة في: ت.
(7) في ت: المجازفين.
(8) في ت: لذلك.
(9) في ت: من.
(10) غير موجودة في: أ.
(11) غير واضحة في: ت.
(12) في ت: صلى الله عليه وسلم.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) في ت: بأمره.
(15) غير موجودة في: ت.
(16) في ت: فيستوي.
(17) رواه النسائي في "كتاب الإمامة" من سننه برقم 8020، وأحمد في "كتاب مسند الكوفيين" من سننده برقم 17784.
(18) رواه البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه برقم 5311، ومسلم في "كتاب الإيمان" من صحيحه برقم 323 والترمذي في "كتاب صفة القيامة والرقائق والورع" من سننه برقم 2370، وأحمد في "كتاب مسند بني هاشم" من سننده برقم 2321، كلهم بدون زيادة: "قلوبهم على قلب رجل واحد".
(19) غير موجودة في: أ.
(20) غير واضحة في: «أ»، وفي «ت»: زبّاد.

رجل واحد " يعني أصحاب رسول الله ﷺ ، فأعلمهم أن اختلاف القلوب نقص في صلاتهم. يحقق هذا القول؛ ما قلنا من اختصاصهم [بـ][21] الصفوف من بين الأمم. إنما تصير القلوب أشتاتاً باختلاف [النفوس][22] في الشهوات، [فإذا ماتت][23] تخلصت القلوب من وساوسها، فصارت كقلب [رجل][24] واحد.

(21) غير موجودة في: ت.

(22) في ت: نفوسهم.

(23) مطموسة في: ت.

(24) غير موجودة في: أ.

ذكر علة الصف الأول

وأما علة الصف الأول، فمن أجل أنهم [هم الذين][1] يتلقون الرحمة إذا نزلت، [وهم][2] حجاب الصف الثاني. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه [قال][3] لأصحابه: «أي الشَّجَرة أبعد من [الحَذَف][4]؟ قالوا: فروعها، قال: فكذلك الصف الأول»[5]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الرحمة تنزل على الإمام، ثم تأخذ من خلفه، ثم [من][6] عن يمينه، ثم [من][7] عن يساره".

---

(1) غير موجودة في: ت.

(2) في ت: فهم.

(3) غير موجودة في: ت.

(4) في «أ»: الخارف، وفي «ت»: الحاذف.

(5) روى نحوه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم والنسائي في "كتاب الصلاة" من سننه (انظر: دليل الفالحين لابن علان: 3/ 590).
قال النووي: "الحذف: بحاء مهملة وذال معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهي: غنم سود صغار تكون باليمن" رياض الصالحين: 339.
وقال ابن علان: "وهي غنم سود صغار تكون باليمن أو بالحجاز، واحده حذفة بالتحريك، سميت بذلك لأنها محذوفة عن مقدار غالب جنسها" دليل الفالحين: 3/ 590.

(6) غير موجودة في: ت.

(7) غير موجودة في: ت.

ذكر علة الإمام

وأما علة الإمام، فلما بينا [بديا][1] من الاتفاق. فإن هذا [تحقيق][2] ما قلنا إنه [ابتغى][3] من الصف الاتفاق على [العبودة][4]، والتسليم [له][5] نفساً [وقلباً][6]، لأن الإمام [يجمعهم][7] على ذلك. [و][8] لو لم يكن لهم إمام، [كان][9] بعضهم قياماً، وبعضهم ركوعاً، وبعضهم سجوداً، واختلفت أحوالهم، [ف][10]صاروا فُرَادَى. فلذلك قيل: "[الإمام][11] ضامن"، [لأن][12] صلاتَه ضمنت صلاة من خلفه و[تضمنت][13] [أفعالُه][14] أفعالَهم. [ينظرون][15] إليه، ويقتدون [به][16]، ليكون قيامُ الجميع قياماً واحداً، وركوعُ الجميع ركوعاً واحداً، وسجودُهم كذلك. فكما [حظر][17] عليهم أن يتفرقوا بأبدانهم، كذلك نصب لهم إماماً كي لا [تتفرق][18] أفعالهم. وقال [الله تعالى][19] في تنزيله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[20]، فالبنيان [مستو][21] لا يتقدم بعضه بعضاً ولا يتأخر، قال قتادة: "وهما صفان: [صف][22] الصَّلاة، وصف العدوّ"، [وابتغى][23] منهم تسوية القيام بين يديه [كالبنيان][24]

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في ت: التحقيق.
(3) في أ: لتبغي.
(4) في ت: العبودية.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: جمعهم.
(8) غير موجودة في: أ.
(9) في ت: فكان.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في أ: الأم.
(12) في ت: لأنه.
(13) في أ: تضمن.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في ت: ينظرو.
(16) في ت: بأفعاله.
(17) في ت: خطر.
(18) في أ: يتفرق.
(19) في ت: عز وجل.
(20) الصف: 4.
(21) مطموسة في: أ.
(22) مطموسة في: أ.
(23) في ت: فابتغى.
(24) مطموسة في: أ.

المرصوص. وكذلك [كان][25] رسول الله ﷺ [يمسح][26] مناكبهم ويسوي صفوفهم [ويقول: «لا تختلفوا فتخالف قلوبكم][27]»[28]. وكان [عمر رضي الله عنه][29] يبعث رجالاً في تسوية الصفوف، ولا يكبر حتى يرجعوا من مؤخّر المسجد، فيُعْلِموه [بذلك][30]، و[كانت][31] المدة تطول، فكان يعتمد على وَتَد في قِبْلة المسجد حتى يرجع إليه من يخبره بأن الصفوف قد استوت. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله وملائكته يُصلُّون على [الذين يَصلون][32] الصفوف، وعلى [مُسوِّي][33] الصفوف»[34]، و[قال][35]: «إن الشيطانَ إذا وجد [ثُلْمَةً][36] في الصف، [اعترض][37] تلك [الثلمة][38]، فيقف هناك كي يفسد على أهله [دينهم][39]»[40]. فـ[ـذلك][41] يستوجب من [يَصِل][42] الصف صلاةَ الربِّ تبارك وتعالى وملائكته.

---

(25) في أ: قال.

(26) غير واضحة في: أ.

(27) غير موجودة في: ت.

(28) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة كلهم في "كتاب الصلاة" (انظر: *دليل الفالحين*: 2/ 209).

(29) غير موجودة في: ت.

(30) في ت: ذلك.

(31) في أ: كان.

(32) غير موجودة في: ت.

(33) في ت: مستوي.

(34) رواه ابن ماجة في "كتاب إقامة الصلاة والسنة" من سننه برقم 985، وأحمد في "كتاب باقي مسند الأنصار" من سننه برقم 23245 وأيضا 32446 و24109، كلاهما بدون زيادة: "وعلى مسوي الصفوف".

(35) في ت: يقال.

(36) في ت: ثلثه.

(37) في أ: افترض.

(38) في ت: الثلثه.

(39) في ت: رتبتهم.

(40) بنحوه قوله ﷺ: «رصّوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فو الذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف» رواه أبو داود في "كتاب الصلاة" برقم 571 من سننه، وأحمد في "باقي مسند المكثرين" برقم 13506 من سننه.

(41) في ت: كذلك.

(42) في أ: يصلي.

ذكر علة صلاة الوتر و[علة][1] قراءة السور الثلاث فيها

و[أما][2] علة صلاة الوتر، فمن أجل أن العشاء أربع، فأمروا بالوتر، ليرتفع إليه عمل الليل وتراً، فإنه وتر يحب الوتر[3]، كما أمروا بالمغرب ثلاثاً ليرفع إليه عمل النهار وتراً[4]. وأما علة القراءة بالسور الثلاث من بين السور، فمن أجل أن: "سبح اسم ربك الأعلى" هي سورة أبيه [ابراهيم][5] خليل الرحمن و[سورة][6] موسى صلوات الله [وسلامه][7] [عليهما][8]. ألا ترى إلى قوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى﴾[9]؟! وفي [هذه السورة][10] كنز لأمة محمد ﷺ. وكان أبو جعفر محمد بن علي [الباقر رضي الله عنهما][11] يقول: "لو يعلم الناس ما لهم في [سورة][12] سبح اسم ربك الأعلى!". [ففي][13] سائر القرآن أُمر العبد بأن يسبح الله تعالى [ويحمده][14]، وأمر أن يسبح باسمه، وأُمرها هنا أن يسبح [اسم الرب. وهذا][15] [من][16] علم الأولياء، لا[تناله][17] العامة،

---

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) قال ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن» رواه أبو داود والترمذي عن علي رضي الله عنه وقال: حديث حسن (انظر: *رياض الصالحين*: 346، ودليل الفالحين: 3/ 621-622).
(4) رواه النسائي والحاكم وصححه (انظر: *صفة صلاة النبي*: 123).
(5) غير موجودة في: أ.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) غير موجودة في: أ.
(8) في ت: عليهم.
(9) الأعلى: 18-19.
(10) في أ: هذا السور.
(11) غير موجودة في: «ت»، وفي «أ» عنهم.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) في ت: وفي.
(14) في ت: بحمده.
(15) مطموسة في: أ.
(16) غير موجودة في: أ.
(17) غير واضحة في: أ.

[و][18] لا [تفهمه][19]. وأما [سورة : «يا أيها][20] الكافرون» ؛ فهي براءة من الشرك [محضاً][21]، وأما سورة "قل هو الله أحد" ؛ [فهي][22] الإخلاص بحتاً. فجمع هذه السور الثلاث في [الوتر][23].

---

(18) غير موجودة في : ت.
(19) مطموسة في : أ.
(20) مطموسة في : أ.
(21) غير موجودة في : ت.
(22) في ت : في.
(23) في ت : الدين.

ذكر علة القنوت

وأما علة القنوت، فإن [الصلاة][1] قد رُفعت إلى الله تعالى، وتلك آخر صلاة. فجعل القنوت في الركعة المختومة التي تُوتر[2] ما تقدم من الصلاة. فندب إلى رفع الحوائج إلى الله تعالى، و[الارتعاب][3] [إليه][4] [لتلحق][5] الرغباتُ تلك الصلوات المرفوعات إلى الله تعالى، فيجاب. وقد قال [الله][6] تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾[7].

(1) في ت: الصلوات.
(2) حديث القنوت في ركعة الوتر رواه ابن نصر والدارقطني بسند صحيح (انظر: *صفة صلاة النبي* للألباني: 195).
(3) في ت: الارتقاب.
(4) في أ: إليه فيه.
(5) في ت: ليحلق.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) الشرح: 7-8.

ذكر علة [صلاة][1] الفطر وصدقته و[صلاة][2] [الضحى والأضحى][3]

فأما [صلاة][4] الفطر، فهي صلاة شكر. ألا ترى أنه في وقت الضحى [افترض][5] [الله][6] عليهم [شهراً][7] سماه: "رمضان"، فيَرْمَض به ذنوبَهم إرماضاً لوقارة الرحمة التي أودع اللهُ [تعالى][8] ذلك الشهرَ، و[ضَمَّنَهُ][9] [هذا][10]. فلما أكملوا العدَّة، كبَّروا الله على ما هداهم، ثم برزوا إلى الله تعالى في وقت الضحى بركعتين شكراً له على ما أولاهم من الرحمة التي ضَمَّنَها الشهرَ. وأما صلاة يوم الأضحى، فهي صلاة يوم [سمح][11] للوافدين إلى بيته، بأن غفر لهم السيئات، وضمن عنهم التَّبعات، فصاروا عُطُلاً من الذنوب والتَّبعات. فأهل الأمصار يتلقون تلك الرحمة [لـ][12] بروزهم إلى الله [سبحانه][13] تعرضاً لله، ثم ينصرفون و[يتقربون][14] بنُسْكاتهم؛ يفْدون نفوسَهم [الخائنة][15] [بذلك][16] الفداء، كما [فدى][17] ابراهيمُ خليلُه ولدَه صلوات الله عليهما [بما أمره][18] الله تعالى من الكبش. وأما علة تقديم [صدقة][19] [صلاة][20] الفطر على [الصلاة،

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: الأضحى والأضحية.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: أفرض.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) في ت: صوما.
(8) غير موجودة في: أ.
(9) في ت: ضمنها.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في ت: سبح.
(12) غير موجودة في: أ.
(13) في ت: تعالى.
(14) في ت: يتفرقون.
(15) في ت: الجانية.
(16) مطموسة في: أ.
(17) في أ: فد.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) في ت: زكاة.
(20) غير موجودة في: أ.

وعلة تأخير[21] الأضحية؛ أمر [ها][22] هنا [بـ][23] الصدقة قبل البروز إلى الله تعالى، وأمر يوم الأضحى [بالبُروز][24] [إلى الله تعالى][25]، ثم القربان، لأن الصدقة [هاهنا][26] طُهْرَة للصائم من الرفث في صومه، واللغو والمراء والغضب واللَّحْظ والطرفة وأشباه [ذلك][27]؛ مما خيف عليه النقص في صومه، فأمر بأن يتطهر [بالصوم][28] [و][29] الصدقة، [ليُطهر][30] الصومُ بدنَه، و[لتطهر][31] الصدقةُ صومَه الذي قد أدخل فيه ما ليس [منه][32] من اللغو والرفث والمراء والغضب حتى [برزوا][33] إلى الله سبحانه [وتعالى][34]. [فقد][35] جمعوا بين الطهارتين: [طهارة][36] البدن بالصوم، وطهارة الصوم بالصدقة. فيكون قد خرج مع الكمال [والوفاء][37] له بفرضه. وقد قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾[38]، فروي أنها نزلت في صدقة الفطر[39]. وأما الأضحية [فأمرَ][40] أن يؤخرها حتى يصلي، ثم يتقرب إلى الله [سبحانه][41] بالنسك. لأن هذاَ يومُ فداء الله [تعالى][42] ولدَ إبراهيمَ خليله صلوات الله [وسلامه][43] عليهما من الذبح بهذه الذبيحة. فبقي هذا الفداء [ورَاثته][44] في هذه الأمة عن ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه، لأن هذه المِلَّةَ ملَّته الحنيفية. فأمر بركعتين قبل الفداء و[القربان][45]، [ليجدد إلى][46] الله سبحانه [وتعالى][47] تسليم نفسه بركعتين. فإن الصلاةَ تجديدُ تسليمٍ إلى الله تعالى نفسَه إسلاماً وعبودة كما

(21) مطموسة في: أ.
(22) في أ: بها.
(23) غير موجودة في: أ.
(24) في ت: بالنشور.
(25) غير موجودة في: أ.
(26) مطموسة في: أ.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) غير موجودة في: ت.
(29) في ت: بـ.
(30) في أ: كتطهر.
(31) في أ: كتطهر.
(32) في ت: فيه.
(33) في ت: برؤوا.
(34) غير موجودة في: أ.
(35) في ت: وقد.
(36) في أ: من طهارة.
(37) في أ: فالوفاء.
(38) الأعلى: 14-15.
(39) يذكر ابن العربي أن هذا قول ابن العالية (انظر: *احكام القرآن*: 4/ 1920).
(40) في أ: فأمر بها.
(41) في ت: تعالى.
(42) غير موجودة في: أ.
(43) غير موجودة في: أ.
(44) في أ: وارثه.
(45) في ت: القربات.
(46) في أ: إلى ليجدد.
(47) غير موجودة في: أ.

ذكرنا[هُ][48] بَدْياً. [فإذا][49] سلَّم نفسه إليه، تقرب إليه [بالقربان][50]. وكيف يتقرب [إليه ولمَّا يسلم؟! ألا ترى][51] إلى قوله عز وجل: ﴿[استغفروا][52] ربكم إنه كان غفاراً﴾[53]، ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾[54]؟! [فالتوبة][55]: الرجوع. وكيف يرجع إليه وهو عار؟! لأن العبد إذا أذنب تعرَّى من [سنن][56] الله، فيسأل الله [تعالى][57] [المغفرة][58]؛ وهو الستر، فإذا ستره رجع إليه مع الكسوة. فكذلك ها هنا؛ أُمر بأن يفدي نفسه بالذبح، لأنه قد عمل ما استوجب [به][59] النار، وقد أهلك نَفسه فأُعْطِيَ الفداءَ ليفتدي به. فينبغي أن يسلم نفسه إليه، ثم يفتدي ويتقرَّب. فإن الصلاَة بذلُ النفس تسليماً، لأنه لما أذنب ارتجع في تسليمه، و[أخلَّ][60] [بمَرْكَزه][61] عن مقام [العبودية][62]، فلما رجع إلى الصلاة، جدد تسليما، [ولذلك أُمر ها هنا بالصلاة ليجدد تسليمه][63]. [فكذلك العبد الآبق يرجع من إباقه ثم يفتدي][64] [بالفداء][65] من جنايته. وكيف يُقبَل [فداؤه][66] وهو في إباقه لم يسلم نفسه إلى مولاه؟!

---

(48) غير موجودة في: ت.

(49) مطموسة في: أ.

(50) في ت: بالقربى.

(51) مطموسة في: أ.

(52) مطموسة في: أ.

(53) نوح: 10.

(54) هود: 3.

(55) في ت: والتوبة.

(56) في ت: ستر.

(57) غير موجودة في: أ.

(58) في ت: المعرفة.

(59) غير موجودة في: أ.

(60) في ت: أدخل.

(61) في أ: مركزه

(62) في ت: العبودة.

(63) غير موجودة في: أ.

(64) غير موجودة في: ت.

(65) في ت: بالنداء.

(66) في ت: نداؤه.

ذكر [علة](1) توالي التكبيرات فيهما

وأما علة توالي التكبيرات، فمن أجل أن [الرسول](2) ﷺ كان إذا خرج إلى [المصلى](3) شخصت إليه الأبصار [لمَا ركَّب الله في خلقته من الحسن والجمال والنور والبهاء وحسن التقويم، وألبَسه من المهابة والهيبة، وألبقه من الحلاوة والملاحة، وأعطاه من العز والشرف، فتشخص إليه الأبصار، فلا تكاد أن تشتفي من النظر إليه](4)، [فثقل](5) [عليه](6) أن تشخص أبصار أهل الغفلة إليه [فتُشغَل](7) به قلوبُهم عن الخالق. فكأنه رأى نفسه سبباً لشغل أهل الغفلة، فركبته أهوال هذه الحالة، فلما صار إلى المصلى [فزع](8) إلى الصلاة، ثم والى بين التكبيرات، لأن التكبير هو [تسليم الكبر](9) إلى الله تعالى؛ [يترضَّى](10) بذلك مولاه عن [عبيده من الغفلة](11)، فلا يزال يكبر حتى يسكن [ذلك الغبار على الهول عن صدره. فهو ﷺ وإن كان عظيم القدر](12)، مستقيم القلب، منتصبا بين يدي [الله](13)؛ في محل عظيم من [ملكه](14) وقُربَته، ولا [يلتفت](15) قلبه إلى شُخوص الأبصار. فقد كان يخاف أن يصير [مشغلة للخلق](16) عن الله [تعالى](17)، فكان يُسكِّن ذلك الغبار: غبار الهول الهائج بتسليم [الكبر](18) إلى

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: رسول الله.
(3) في ت: المصلاة.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) في ت: فكان يعز.
(6) في أ: إليه.
(7) في ت: وتشتغل.
(8) في ت: فرع.
(9) في ت: التسليم للكبير.
(10) في ت: رضًى.
(11) في ت: علبة الغفلة.
(12) مطموسة في: أ.
(13) في ت: مولاه.
(14) مطموسة في: أ.
(15) مطموسة في: أ.
(16) في ت: شغله التخلف.
(17) غير موجودة في: ت.
(18) في ت: التكبير.

الله تعالى. فلذلك [عُدَّ][19] [تكبيرُه من][20] [تسع][21] تكبيرات، ومرة [إحدى عشر][22]، ومرة [ثلاث عشر][23]، وقد [أتت][24] به [الرواية][25] عن فعله، فإنما [هذا][26] على قدر [بقاء][27] الغبار وسكونه [من][28] صدره. فلا يزال يكبر حتى ينجلي، فإذا انجلى [تخلى له][29] مقامه بين يديه بقلبه، فسكن واطمأن إلى مقامه. [فهذه][30] علة توالي التكبيرات. وإنما [صاروا][31] [إلى][32] التكبير في كل ركعة، لأنه في حال القيام والانتصاب وهو في حال الآدميين في نفي [الكبر][33]، فإذا ركع وسجد، فتلك حال الخضوع والخشوع. فكان إذا قام أصابه الهول في حال القيام في الركعتين، فإذا ركع فذلك فعلُ [خضوعٍ][34] وسكون. ولذلك كان ابن عباس رضي الله عنهما [يختار][35] أن يبدأ بالتكبيرِ في الركعة الثانية قبل القراءة، [ولا][36] يوالي بين القراءتين [لما][37] وَصَفْنَاهُ، [و][38] أن حال القيام خلاف حال الركوع. وإنما أصابه الهول لرؤية الناس إياه، [وإنما][39] رواه في حال القيام، فإذا ركع وسجد فقد تحول إلى حال [لا يهتاج][40] منه ذلك الهول والخوف. والدليل على ما وصفناه [بديا][41] أنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة، لأنه لما تخلص من شخوص الأبصار إليه عند وصوله إلى المصلى؛ فزع إلى الصلاة. وكان في صلاة الجمعة يخرج من الحُجْرة، فيرتقي المنبر، فيبدأ بالخطبة قبل الصلاة ليشغلهم بالمواعظ الصافية من القلب [الصافي][42] الذي قد تَنَزَّهَ، والنفس التي قد [صَفَتْ][43].

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا خطب أو جاءه

(19) في ت: عدة.
(20) غير موجودة في: ت.
(21) في ت: سبع.
(22) في ت: إحدى عشرة.
(23) في ت: ثلاث عشرة.
(24) في ت: أبيت.
(25) مطموسة في: أ.
(26) في ت: هو.
(27) في أ: نفا.
(28) في ت: في.
(29) غير موجودة في: أ.
(30) في ت: فهذا.
(31) في ت: صار.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) في ت: التكبير.
(34) في أ: الخضوع.
(35) مطموسة في: أ.
(36) في ت: فلا.
(37) في ت: بما.
(38) غير موجودة في: ت.
(39) في ت: فإنما.
(40) في ت: الأهياج.
(41) في ت: بدوا.
(42) غير موجودة في: ت.
(43) في أ: وصفت.

الوحي، فلكأنه نذير جيش حين صبحهم العدو، فإذا سُرِّيَ عنه فأكثرهم [تبسما][44]. وربما كان يخطب فيزعزعُ أعواد المنبر][45] تحت قدمَهم حتى قال عمر: كنت أقول... هو برسول الله ﷺ"؛ يعني: المنبر][46]، [فكان][47] يأخذ بتلك المواعظ قلوبَهم، فيشغلهم بها عن نفسه. وفي العيد كانت مسافة يحتاج إلى قطعها إلى المصلى والأبصار شاخصة إليه. فهو وإن كان يقظان لا يضره ذلك، فالخلق [في الغفلة][48]، فخاف أن يكون سبباً لشغلهم. ألا ترى أنه يُكتفى في الجمعة بتكبيرة واحدة، ولا يُكتفى في العيد بواحدة حتى يُوالَى بالتكبيرات؟! ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان [في][49] مسيرة يوم فتح مكة [رمى][50] ببصره أمامه، فإذا الجيش قد ملأ ما بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله من الأرض، [فانحنى][51] على رجله [حتى مسَّ غيبوبة مُقدَّم رجله][52]، فقال: «لبيك إن العيش عيش الآخرة»[53]. وهذه كلمة فزع. [فـ][54]خاف وهاب ذلك [الجمع، لأن][55] الجمع لله، والجنود لله، والكبرياءَ لله، [والعظمةَ لله][56]، والخلقَ والأمرَ لله. وكان يقول في أدبار الصلوات: «اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أعوذ، وبك ألوذ»، فقيل له: "إنك تواظب على هذه الكلمات"، فقال: "إن إخَّالي من الأنبياء، نظر إلى قومه، فأعجبه كثرتهم، فأوحى الله [تعالى][57] [إليه][58] أن اختر لقومك [غزو][59] سنة، أو جوع ثلاث سنين، أو موتا ذريعا. فاختار الموت، فمات منهم في يوم واحد سبعون ألفاً حتى ذهبت تلك الكثرة"[60]. فالأنبياء على أمر عظيم من [ربهم][61]،

(44) أخرجه مسلم وابن أبي الدنيا في *قصر الأمل*، لكن ليس فيه عبارة: "أو جاءه الوحي" بل ورد فيه: "فذكر الساعة" عوضها وبدون زيادة ما قاله عمر. (انظر: *المغني*: الباب الثاني من "كتاب ذكر الموت وما بعده": 4/ 488).

(45) مطموسة في: أ.

(46) غير موجود في «ت»، ومكان البتر مطموس في «أ» بمقدار كلمة.

(47) في ت: وكان.

(48) غير موجودة في: أ.

(49) غير موجودة في: أ.

(50) في ت: وما.

(51) في ت: فإن نحنا.

(52) غير موجودة في: أ.

(53) نحوه ما أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال: «لبيك اللهم لبيك» قال: «إنما الخير خير الآخرة». ونحوه أيضا حديث: «كان إذا أعجبه شيء قال: لبيك إن العيش عيش الآخرة" أخرجه الشافعي في *المسند* من حديث مجاهد مرسلا (انظر: *المغني*: الباب الثاني من "كتاب أسرار الحج": 1/ 296).

(54) غير موجودة في: أ.

(55) غير موجودة في: أ.

(56) غير موجودة في: ت.

(57) غير موجودة في: ت.

(58) غير موجودة في: أ.

(59) في ت: عزٍ.

(60) لم أقف عليه.

(61) في ت: الهمّ.

لا يحتمل ذلك الأمر [غبار][62]. ولذلك [كبّر][63] رسول الله ﷺ، وقال: «إني بعثت على طريق مثل حَدِّ السيف، [إن زغتُ عنه هلكتُ]». وهذا طريق القلب إلى الله تعالى، فلا يحتمل من الميل رأس إبرة أن يميل عنه إلى خلفه بركون أو اعتماد. ألا ترى إلى لوط صلوات الله عليه وسلامه حين غابت عليه الملائكة قوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾[64]، وإلى قول سارة حيث قالت: ﴿إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله﴾[65]؟! فالإسلام واسع لأنه بالأركان، وطريق القلب مثل حد السيف][66]. فمن استقام [فيه][67]، جاز على مثل حد السيف يوم القيامة على النار، وهو الصراط. ومن توسع ها هنا ومال هكذا و[هكذا][68] عن الله، عجز عن الجواز إلا بعد أمر عظيم يحل به[69].

---

(62) في ت: عبار.

(63) في ت: بكى.

(64) هود: 80.

(65) هود: 72-73.

(66) غير موجودة في: أ.

(67) غير موجودة في: ت.

(68) في أ: كذا.

(69) وردت أحاديث عدة في حدة الصراط يوم القيامة في معنى الحديث الذي ساقه الحكيم الترمذي منها ما رواه البخاري في كتاب الأذان برقم 764، و"كتاب التوحيد" برقم 6885 من صحيحه. ومسلم في "كتاب الإيمان" بأرقام 267 و282 و288 من صحيحه، والترمذي في: كتاب صفة الجنة" برقم 2480 من سننه، والنسائي في "كتاب التطبيق" برقم 1128 من سننه، وابن ماجة في "كتاب الزهد" برقم 4318 من سننه، وأحمد في "مسند المكثرين من الصحابة" برقم 3530، وفي "باقي مسند المكثرين" بأرقام 7231 و7586 و7461 و10659 و10703، و"مسند البصريين" برقم 19544 من سننه.

ذكر علة [السنن][1]

وأما علة [السنن][2] [المكتوبات][3]، فإن الصلاة إنما تتم بحفظ الأركان [عند][4] [الحدود بإقامة المعالم][5] عند العامة، لاستيلاء الغفلة على قلوبهم؛ رفعت إلى الله تعالى صلواتُهم غيرَ وافرة، فأمروا [بالسنن توفيراً][6] للفرض. لأن حفظ الحدود [في][7] الصلاة فرض، وإقامة المعالم فضل. وإنما هي زينة الصلاة وجمالها، وهي صلاة الأنبياء والأولياء المقربين. وباليقين [ينالون][8] ذلك، لأن الأمور صارت لهم مُعَايَنَةً؛ لكشف الغطاء عن قلوبهم باليقين الوارد على قلوبهم. فصلى النبي ﷺ [والوليّ][9] [هذه السنن][10]، [لتقتدي][11] العامةُ به. وقد وصفنا إقامة المعالم في كتاب *الصلاة*، و[لكننا][12] نذكر ها هنا شيئاً من ذلك، كي يُعلَم. فالمعالم في الصلاة كالمشاعر في المناسك، [وكل][13] موضع [تقوم][14] فيه، وكل فعل من أفعال الحج فهو مشعر. وإنما سمي: "مشعراً" لشعور قلبك [بربك][15] في تلك الحال، وأنك تعلمه كأنك تراه و[تريه][16] فعلك. فكذلك "المعلم"؛ [كل][17] حال تتحول [منها][18] إلى حال في صلاتك، [يريك تلك][19] الحالة ماذا [يريد بها. فلكل][20] مشعر ومعلم صورة من ذلك الفعل،

(1) في ت: الستر.
(2) في ت: الستر.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: على.
(5) مطموسة في: أ.
(6) في ت: الستر توقيرا.
(7) في ت: إلى.
(8) في ت: ينالوا.
(9) غير موجودة في: ت
(10) في ت: هذا الستر.
(11) غير واضحة في: ت.
(12) في ت: لكنَّا.
(13) في ت: فكل.
(14) في ت: يقف.
(15) في ت: بذلك.
(16) في ت: ترى.
(17) في ت: على.
(18) في ت: بها.
(19) غير واضحة في: ت.
(20) في ت: تريدها فكل.

للعبد فيه [بُغْية][21]، وللرب فيه إجابة. فالقيامُ تسليمُ النفس بجميع الجوارح إليه، والثناءُ مناجاةٌ، والقراءةُ موعظةُ النفس، والركوع خضوع، والسجود خشوع، والجلوس [ارتعاب][22]. فهذه معالم؛ فَإقامتك إياها [أن تكون][23] منتبها في وقت هذه الحالات، ذاكراً لما وصفنا.

---

(21) غير واضحة في: ت.

(22) في ت: ارتقاب.

(23) في أ: لن يكون.

ذكر علة الصلاة على [الجنائز][1]
وعلة التكبيرات

[و][2] أما [علة][3] الصلاة على [الجنائز][4]، فإن الميت لما فارقته روحه، استقبله ما قَدَّمَ من خير وشر، واستقبله أهوالُ الآخرة، فهو [محتاج][5] إلى الشفاعة. و[لهذا][6] مثالٌ موضوعٌ من تدبير الله تعالى في الدنيا، فلو أن سلطانا دعا بعض [الرَّعيَّة][7]، وقد رُفعَت هناك عند الأمير له [مساوئ][8] [أفعاله][9]، يمشي معه إلى بابَه أهلُ خزانته، [يتقدمون إلى الأمير شُفَّعاً. فأول ما يبدؤون؛ بالثناء عليه، يريدون][10] بذلك [إطفاء][11] [الثائرة][12]، ثم يشفعون له. فإذا مات العبد فهو عبد مدعوٌّ إلى الجزاء مقبوض عن الدنيا، قد حيل بينه وبين [أعمال][13] الأحياء، فهو أحوج ما كان إلى [الغياث][14] في هذا الوقت. وأما عدد التكبيرات، فإن التربيع في الأشياء [إتمام][15]، و[التثليث][16] منقوص، فاقتصر على أربع، وروي أن الملائكة كبرت على آدم [صلوات الله عليه][17] أربعاً. وأما علة التكبير، فإن هذا الآدميَّ [إنما][18] ترك الأمر، ووثب في النهي [استبداداً بالكبر][19] الذي فيه، وكل من سَفهَ الحقَّ، فهو من الكِبْر فَعَلَ [ذلك][20]، وسئل رسول الله ﷺ عن

(1) في ت: الجنازة.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: الجنازة.
(5) في ت: يحتاج.
(6) مطموسة في: أ.
(7) في ت: رعيته.
(8) في أ: مأوى.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) مطموسة في: أ.
(11) مطموسة في: أ.
(12) في أ: النايرة.
(13) في ت: عمل.
(14) في ت: العيان.
(15) في ت: تمام.
(16) في ت: التكبير.
(17) غير موجودة في: ت.
(18) غير موجودة في: ت.
(19) في ت: استمداد بالتكبير.
(20) غير موجودة في: أ.

الكبر [ف][21] قال: «أن [تسفه][22] الحقَّ، و[تَغْمص][23] [الناس][24]»[25]. فإذا كبر يريد بذلك تسليم الكبر [إلى ولي الكبر][26]؛ [يترضَّاه][27] بذلك، ثم [يترضَّاه][28] بالثناء، ثم يتقرب إلى الله تعالى بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يشفع للميت، ثم يسلم؛ يخاطب بسلامه الملكين ومن معه من الآدميين. وقال بعض الفقهاء: "يكبر ويقرأ فاتحة الكتاب"، وقال آخرون: "ليس في الجنازة قراءة"؛ وهذا أعجب [إلينا][29]، لأن [في][30] فاتحة الكتاب ثناء، وفي آخرها دعاء لنفسه. فإذا [أثنى][31]، ثم دعا لنفسه، وأخَّر الدعاء للميت، كان بمنزلة قوم شفعاً إلى أمير في [مأخوذ][32] لهم، فأثنوا عليه، ثم سألوه [حوائجهم][33]، ثم ثنّوا بحاجة المأخوذ. فإذا فعلوا هذا، كانوا قد [أَرَوْا][34] من أنفسهم قلةَ المبالاة، لأنهم مشوا إليه من أجله ولغياثه. فإذا بدؤوا بحوائج أنفسهم فهذا [تميّز][35] [غير][36] لائق بهم، لأنهم [إذا][37] اشتغلوا بحاجات أنفسهم، فقد لَهَوْا عن صاحبهم، وخرجوا عن [حدّ][38] [الشفقة][39].

---

(21) غير موجودة في: ت.

(22) في ت: يسفه.

(23) في أ: يغمض.

(24) غير موجودة في: ت.

(25) رواه الترمذي وقال: "حسن صحيح"، ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر، والبيهقي في *الشعب* من حديث أبي ريحانة (انظر: *المغني*: "كتاب ذم الكبر والعجب": 3/ 364).

(26) غير موجودة في: أ.

(27) في ت: برضاه.

(28) في ت: برضاه.

(29) في ت: الثناء.

(30) غير موجودة في: أ.

(31) في أ: أتى.

(32) في ت: ماخور.

(33) في ت: حواجبهم.

(34) في أ: روا.

(35) غير موجودة في: أ.

(36) غير موجودة في: ت.

(37) غير موجودة في: ت.

(38) غير موجودة في: ت.

(39) في ت: الشفاعة.

ذكر علة إمامة السلطان

[أما][1] [العلة][2] في إمـام السلطان، فـإن السلطان ظلُّ الله في الأرض، ولولا [ذلك ما أطاعوه، ولا تَذَلَّلَتْ نفوسُهم له. وقال رسول الله ﷺ: «السلطان ظل][3] الله في الأرض يأوي إليه كلُّ مظلوم، فإن عَدَلَ فله [الأجر][4] وعليكم الشكر، وإن جار فعليه [الأمر][5] وعليكم الصبر»[6]. وقد وضع الله تعالى في أرضه أربعةً من آثاره: القرآن، و[الكعبة، والمؤمن][7]، والسلطان. فعلى القرآن بهاؤه، وعلى الكعبة وقارُه، وعلى السلطان ظله، و[على][8] المؤمن نوره. [فبهذه][9] الأشياء، تدوم [الأرض][10] وتستقر. فإذا رُفعَ القرآنُ، وهُدمَت الكعبةُ، وذَهَبَ السلطانُ، ورُفعَ المؤمن؛ لم يبق بعدها لأهل الأرض قرار، فعندها تقوم الساعة. والسلطان إذا صلى على موتى المسلمين، فبظله يصلي، والعالم بعلمه، والمتقي بتقواه، وكل إنما يصلي عليه بفضله الذي أوتي. ولا يلحق السلطان أحد، لأنه بظله يصلي، [إلا][11] المؤمن الذي به تقوم الأرض؛ وهم أربعون. [فذلك][12] أكبر من السلطان، لأنه بنور الله يصلي على الميت، [و][13] السلطان بظله. ومن ها هنا قدم الحسينُ بنُ عليٍّ [رضي الله عنهما][14] [سعيد بن العاص][15] على أخيه الحسنِ بنِ علي [رضي الله عنهم][16] حتى صلى

(1) مطموسة في: أ.
(2) في أ: العذر.
(3) مطموسة في: أ.
(4) في ت: أجر.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) رواه البزار - مع اختلاف في بعض الألفاظ - بسند ضعيف من حديث ابن عمر (انظر: *المغني*: "كتاب الصبر والشكر": 4/104).
(7) في ت: المؤمن والكعبة.
(8) في أ: من.
(9) في ت: فهذه.
(10) في ت: في الأرض.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) في ت: فذاك.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في ت: على سعيد بن العاص.
(16) غير موجودة في: أ.

[عليه][17]، [فقال][18] له: "تقدم! فلولا أنها سُنَّةٌ ما قدمت". وإنما صارت سنة إبراهيمَ، [فأخَّرهم][19] لهذا المعنى عندنا، والله أعلم. عن أبي حازم الأشجعي قال: "سمعتُ الحسينَ يقولُ لسيعد بن العاص - وهو [على إمرة][20] المدينة يوم مات الحسنُ بنُ علي رضي الله [عنهما][21] -: تقدم! فلولا أنها سنة ما قدمت. [فتقدم][22] سعيدُ [بن العاص][23]، [فصلى][24] عليه". فلولا أن الحسين عرف المعنى في هذا، و[علم][25] أنها سنة، ما كان يترك الصلاة على أعز الخلق عليه، ويولي [أمير][26] بني أمية. [و][27] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «السلطان ظل الله [في][28] أرضه، من نصحه اهتدى، ومن غشه ضل»، وعن ابن عمر [رضي الله عنهما][29] عن [النبي][30] ﷺ [مثله].

---

(17) غير موجودة في: أ.
(18) في ت: وقال.
(19) غير واضحة في: «ت»، وفي «أ»: وفاجرهم.
(20) في ت: أمير.
(21) في ت: عنهم.
(22) في ت: وتقدم.
(23) غير موجودة في: أ.
(24) في أ: قصرا.
(25) في أ: علة.
(26) في ت: أمره.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) مطموسة في: أ.
(29) غير موجودة في: أ.
(30) في ت: رسول الله.

ذكر علة خير الصفوف في الجنازة مؤخرها

أمـا علة مـا جـاء عن رسـول الله ﷺ]^(1) [أنه قـال]^(2) : «خير صـفـوف [الجنائز]^(3) مُؤَخَّرُهـا»^(4) ، فـمن أجل أن [صـلاةَ]^(5) الجنازة صـلاةُ شـفـاعـة . فـأهل الانتباه [يتأخرون]^(6) عن [أوائل]^(7) الصفوف في حياء من ربهم ، وإزراء بأنفسهم ، [فذلك]^(8) مقام حياء . وأما [صفوف]^(9) الصلاة المفروضة ، فأفضلها مُقَدَّمُهَا ، لأنه مـقـام اُعـتـذار وتوبة وتوقع نُزول [الرحـمـة]^(10) . فكلمـا كنت أقـربَ إلى الإمـام فـ[ـأنت]^(11) أَوفرُ حظّاً من الرحمَة إذا نزلت .

(1) غير موجودة في : أ.
(2) في ت : أن.
(3) في ت : الجنازة.
(4) روى نحوه الترمذي وأبو داود عن ابن مسعود (انظر : *نيل الأوطار*: 4/70).
(5) في ت : صفوف.
(6) في ت : تأخروا.
(7) في ت : أول.
(8) في ت : لأن ذلك.
(9) في أ: صف.
(10) في أ: رحمة.
(11) غير موجودة في : أ.

ذكر علة قيام الإمام على الجنازة

أما علة قيام الإمام من الرجل موضع الصدر، ومن المرأة [موضع][1] الوسط [منها][2]، فمن أجل أن المرأةَ في [نَعْشها][3] مستورةٌ، والرجل غير مستور. فإذا وقف عند موضع الوسط، لم يأمن وقوعَ بصره على موضع العورة منه؛ [ويتأمله ببصره، فيتباعد منه إلى ما يلي الرأس][4].

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: فيها.
(3) في ت: نفسها.
(4) غير موجودة في: ت.

ذكر علة التسليم على الجنازة
[وفي الصلاة][1]

[أما][2] علة من رأى تسليمةً واحدةً في الجنازة، فمن أجل أنه مقام شفاعة. وإذا رجع من ربه إلى خَلْقه، اكتفى بأن يسلم على كاتب الحسنات فقط. وصلاةُ المكتوبة والنافلة مقامُ اعتذار وتوبة، فإذا فرغ منها [رجع من ربه][3] إلى [ملائكته][4] بتسليمتين، لأن [كاتب][5] السيئات [محتاجٌ][6] [إلى][7] أن يؤَمِّنَهُ بالسلام. فإن السلام أمان، وقد عاهد ربه في صلاته [ألاّ][8] يعود، فإذا رجع منه إلى خلقه، رجع بتسليمتين، فأعطى كاتب السيئات ما أعطى كاتب الحسنات.

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: إنما.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: الملائكة.
(5) في أ: كانت.
(6) في ت: يحتاج.
(7) غير موجودة في: ت.
(8) في ت: أنه.

ذكر علة [المشي][1] [أمامها][2] وخلفها

[و][3] أما علة المشي أمامها، فهو [في][4] الظاهر طلب التوفيق بالناس، وأن يوسعوا على الخلق شأن [العبودية][5]. وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يمشون أمامها[6]. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "[فَضْلُ][7] المشي خلفها على المشي أمامها، كفضل المكتوبة على [النافلة"، وقال: "إن أبا بكر وعمر سهلان][8] [مختاران][9] [يسيران][10] في الناس [سيرة][11] سهلة"، وهذا في الظاهر هكذا. والمشي خلف الجنازة هو الأصل، وروي عن ابن عمر أنه قال: "صدر الجنازة للملائكة، ومؤخرها لبني آدم". ومن ها هنا قال رسول الله ﷺ؛ حيث رأى رُكَّاباً في جنازة فقال: "ألا تستحيون؟! الملائكة على أقدامهم وأنتم على ظهور الدواب!"[12]. فهذا يدل على أن الرُّكْبَان كانوا أمام الجنازة، وذلك أنه جاء عنه أنه قال: "الراكب خلف الجنازة، والماشي حيث شاء"[13]. فالراكب أمام الجنازة؛ والملائكةُ مُشَاةٌ؛ قبيحٌ. والراكب خلفها بين مشاة بني آدم

---

(1) في أ: من مشى.
(2) مطموسة في: أ.
(3) غير موجودة في: أ.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) في ت: العبودة.
(6) رواه أصحاب *السنن*، واحتج به أحمد والدارقطني وابن حبان وصححه، والبيهقي من حديث ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه، وقال أحمد: "إنما هو عن الزهري مرسل". (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 71).
(7) في ت: فصل.
(8) مطموسة في: أ.
(9) في ت: يختاران.
(10) غير واضحة في: أ.
(11) مطموسة في: أ.
(12) رواه ابن ماجة والترمذي؛ وقال الشوكاني: "سكت عنه أبو داود والمنذري، ورجال إسناده رجال *الصحيح*" (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 72-73).
(13) مروي عن المغيرة لكن بلفظ: "والماشي أمامها قريباً منها أو عن يسارها"، وقد رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه، وابن حبان وصححه، والحاكم وقال: "على شرط البخاري" (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 45).

[غير][14] قبيح. فعلي [كرم الله وجهه، لَمّا][15] فضل المشي خلفها إنما [كَلّم][16] أهل الظاهر من ظاهرهم، فيُقَدَّر [هكذا][17]: كانوا يفعلون، ولو كلمهم من باطنه، لتحيروا، وعجزوا عن إدراكه، وضاع الكلام. ألا ترى أنه ذكر الفضل فقال: "فضل هذا على ذلك" يكلمهم من طريق الثواب والحساب والميزان؛ لا من طريق المعرفة والدرجات و[التزين][18] لله تعالى [بالأعمال][19] عبودةً له؟! فإذا حضرت جنازة، فالناس فيها على [ثلاث منازل][20]، فـ[أما][21] أهل الغفلة، [فـ][22]إنما [يبغونها][23] ابتغاء ثواب [الله][24] [تعالى][25]، لما [قد][26] علموا أنها في الشريعة مسنونة، وأن من صَلّى على الجنازة فله كذا وكذا، ومن حثا في قبره فله كذا [وكذا][27]. فهم أهل [عَجْز][28] [فيه][29] وتخليط، [يعملون][30] على العادة والسليقة؛ أي الطبيعة، وعلى ذكر العقاب والثواب، يَحُطُّون بها عن أنفسهم الذنوب، ويبنون بها المساكن في الجنان لأنفسهم تمنّيا. وأما أهل الورع والتقوى، فهم المتنبهون عن الآخرة [دارون][31]. هذا عبد دُعِيَ وقد رُفِع إلى السيد مساوئُه، ولا يدرون ما يصنع به، فراعهم ذلك، فشَيَّعُوه إلى بابه، ووضعوه بين يديه، وتلقوا سلطانَه بالثناء، ثم [أمعنوا][32] في الشفاعة له، ضارعين. وإنما شيعوه، لأن المؤمن حين حضره الموت، وأيقن به، بُشِّر، فأحبَّ لقاء الله سبحانه، وألقى بيده [سلما][33]، وسلَّم نفسه إلى الله تعالى، وانقاد للذهاب [له][34]، فأخرج رُوحَه ونفسُهُ طيِّبةٌ بلقاء الله تعالى. فأهل الانتباه قاموا مع جسده [ليتابعوه][35] على ذلك التسليم إلى ملحده، بمنزلة [أمير][36] بعث إلى بعض من رفع إليه مساوئه ليأخذه

---

(14) في ت: عن.
(15) في ت: رضي الله عنه فيما.
(16) في ت: أعلم.
(17) في أ: هذا.
(18) في ت: التدبير.
(19) في ت: فالأعمال.
(20) في ت: ثلاثة مثال.
(21) غير موجودة في: ت.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) في ت: ينعون.
(24) في أ: لله.
(25) غير موجودة في: أ.
(26) غير موجودة في: أ.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) في أ: عجر.
(29) في أ: به.
(30) في أ: يعلون.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) في أ: أمنعوا.
(33) في ت: مسلّماً.
(34) في أ: به.
(35) في ت: ليبايعوه.
(36) في ت: أمين.

لحبسه، فلما أُخذَ انقاد و[استسلم](37)، فشيعه أهل وُدِّه و[قرابيه](38) إلى باب الملك، [منتظرينَ](39) ما يكون منه، متابعة [له](40) في الانقياد والاستسلام. وأما العارفون المشيعون، فإنهم [يشيعونه](41) على غير هذا الوجه. وذلك أنهم خاصَّةُ الله تعالى ورجالُه في أرضه، وأهل ولايته [وحميته](42) وأنصاره، يغضبون لغضه، ويرضون لرضاه، قد زايلتهم أهواء [نفوسهم](43). فإذا حضروا جنازة، [فأبصروها](44)، تصور لهم. كان سيدهم بَعَثَ إلى بعض عبيده، ليذهب به إليه. فإذا حملوا الجنازة كانوا [أمامها](45) يعملون لله تعالى عمله، كأنهم هم الذين يذهبون به إلى الله تعالى مع الملائكة. ألا ترى أن الملائكة موضعُها في الجنازة أمامها؟! لأنهم بعثوا أن يذهبوا بهذا العبد إليه. فرجال الله [تعالى](46) في أرضه، وخاصته إنما يعملون لله تعالى، والعامة إنما تعمل لأنفسها ابتغاء وجهه ترضياً واستجلاباً لنواله، وكذلك تدبيره الذي وضعه لعباده في الدنيا. وذلك لو أنَّ أمير المؤمنين بعث رسولاً إلى والي بعض كُور خراسان ليذهب [به](47) إليه، [فأزعجه](48) بالعجلة، [فنهضا](49) إليه. [فكلما](50) مرَّ بكوره [مَرَّ](51) معه واليها، وهم [نظراؤه](52). و[شفقة](53) وتَحَنُّناً عليه - لأنهم لا يدرون ما يكون منه إليه - فهم يشيعونه على انقياده، و[ذهاباً به](54) إليه. ويسيرون معه عطفاً عليه، و[غياثاً](55) [له](56). فإذا انتهى إلى [أمير خراسان، مَرَّ](57) به الرسول الذي وجَّهَه أمير المؤمنين، انزعج معه أمير خراسان إلى أمير المؤمنين. فليس مصيره على مصير هؤلاء الآخرين الذين [شيعوه](58)، لأن هؤلاء أشكاله ونظراؤه، وأمير

---

(37) في ت: استلم.
(38) في ت: قرابته.
(39) في ت: منتظرون.
(40) غير موجودة في: ت.
(41) في ت: يشفَعُونَهُ.
(42) غير موجودة في: ت.
(43) في ت: أنفسهم.
(44) في ت: فأبصروا.
(45) في ت: أمها.
(46) غير موجودة في: ت.
(47) في ت: له.
(48) في ت: فإن عجز.
(49) في أ: منهضا.
(50) في ت: وكلما.
(51) في ت: من.
(52) في ت: مطراؤه.
(53) في ت: شفقته.
(54) في ت: ذهابه.
(55) في ت: عيانا.
(56) غير موجودة في: ت.
(57) مطموسة في: أ.
(58) في ت: يشيعوه.

خراسان هو [رئيسهم][59] وفوقهم، وهو من رجال أمير المؤمنين وخاصته؛ [يعمل][60] أعماله [في][61] مملكته. فهو يذهب به [إلى أمير المؤمنين][62] [في صورة الأشكال للرسول][63] الذاهب به، كأنه يجذبه إليه [جذباً][64]. فأهل المعرفة رجال الله [سبحانه][65]، يمشون أمام الجنازة على هذا السبيل، كأنهم [رأوا][66] أن هذا [عبد][67] دعاه إلى الملك بسلطان عظيم، فهاج ذلك منهم، فذهبوا به على هذه الصورة من فعلهم. فهم أبداً على المقدمة، وأهل المعرفة أبداً في كل أحوالهم [مفارقون لأهل][68] الظاهر في صورة الأعمال. فإنه يُتَصَوَّرُ للورعين المتنبهين عن الآخرة فضائلها وثوابها ونوال [النفوس][69] هناك، فهم يقصدون لإخلاصها. وأما العارفون المتنبهون عن الله، فإنه [تُصَوَّرُ][70] لهم الأمورُ والأعمال على أساس التدبير، و[بنيّة][71] ما خرج من [غيث][72] المشيئة، ورحمة للعباد، وكذلك في الاسترجاع في المصيبة. فأهل الانتباه عن الآخرة يسترجعون تسليما وانقياداً [لحكمه][73] بقوله: ﴿إنا لله﴾، ويذكر المرجع لنوال ما [وعده][74] من العوَض والثواب. وأهل الانتباه [عن الله][75] [يقولون][76]: "إنا لله ملْكًا، وإنا إليهَ [راجعون][77] شَوْقاً"، [فبذكر][78] الملك و[برؤيته][79] يتلذذونَ، وبالشوق إليه يرتاحون عند ذكر المرجع، لأنهم ذاقوا طَعم العبودة. فإذا قالوا: ﴿إنا لله﴾ تلذذوا بهذا القول، كقول العبد من عبيد الدنيا: "[أنا][80] للأمير، وأنا عبده"؛ يباهي به سائر العبيد، ويفخر عليهم ويصول بذلك؛ ﴿وإنا إليه راجعون﴾: يتباشرون بالرجوع إليه، ويتلذذون بذكر المرجع من الشوق إليه. وكذلك في تشييع الجنازة.

---

(59) في أ: رسيهم.
(60) في ت: وعمال.
(61) في ت: و.
(62) غير موجودة في: ت.
(63) في ت: ومرَّ به من وال إلى وال والرسول.
(64) غير موجودة في: ت.
(65) في ت: تعالى.
(66) في أ: روا.
(67) في ت: غبداً.
(68) في ت: مقاربون أهل.
(69) في ت: النفس.
(70) في ت: تتصور.
(71) مطموسة في: ت.
(72) في ت: عيب.
(73) في ت: بحكمه.
(74) في أ: وعد.
(75) غير موجودة في: ت.
(76) في ت: بقول.
(77) غير موجودة في: أ.
(78) في ت: فيذكر.
(79) في ت: برايته.
(80) غير موجودة في: أ.

ذكر علة الصلاة على الطفل

[و][1] أما علة الصلاة على الطفل، فإن [الطفلَ وإن][2] لم يكن له سيئاتٌ يعاقَب عليها، [فمحتاج][3] أن يَقْرُبَ [من][4] درجات الوسائل، ونوال الكرامة، و[محتاج][5] أن يُخَفَّفَ عنه أهوالُ [يوم][6] القيامة. فصلاة [المؤمنين][7] له [غياثٌ][8] وزيادة [كرامة][9].

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: فيحتاج.
(4) في ت: في.
(5) في ت: تحتاج.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: المومن.
(8) في ت: عبادة.
(9) في ت: وكرامة.

ذكر علة تكفين الميت

[و][1] أما علة تكفين الميت، فلإقامة حرمة جسده الطيب الذي قد طُلب بنور التوحيد. فإذا قُبِضت من الأجساد الأرواحُ؛ أُقيمت لها حُرْمَةٌ بأن غُيِّبتْ في الثرى ليلاً، [يتبدد][2] تلك الأوصال والجوارح، إذا جرت عليها [حكومة][3] الفناء والبلى، وكانت هذه الأجسادُ قوالبَ لهذا النور، فخرجت عاريةً منه. فلما صارت ذوات حرمة، لم [تخرج][4] من الدنيا إلى البرزخ عارية. فتلك كسوة لا لمنفعة، ولكن لإقامة حرمة. و[خَلّة][5] أخرى: وذلك أن الميت تأتيه الملائكةُ في قبره زُواراً ومبشرين، ويأتيه القرآن، و[عاجل][6] الثواب في البرزخ. فإذا زاره [القرآنُ][7] والملائكةُ ورسلُ الرحمن بالتحف والبشرى، كان حقيقاً أن يكون مُزَيَّناً [مُطَيَّباً][8] مُطهَّراً. [و][9] عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ [قال][10]: «إن أحبَّ ما زرتم اللهَ [تعالى][11] [به][12] [في][13] [مصلاكم أو][14] قبوركم [البياضُ][15]».

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير واضحة في: ت.
(3) في ت: جكوة.
(4) في أ: يخرج.
(5) في ت: حلة.
(6) في ت: عاجر.
(7) مطموسة في: أ.
(8) غير موجودة في: ت.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) غير موجودة في: أ.
(12) غير موجودة في: «ت»، وفي «أ» كان موضعها قبل اسم الجلالة وقد صححته بناء على الحديث الذي رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء مرفوعاً: "وأحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض" (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 38).
(13) غير موجودة في: ت.
(14) في ت: صلاتكم و
(15) مطموسة في: أ.

ذكر [علة](1) عرض [أعمال](2) الأحياء على الأموات

أما علة هذا العرض، فمن أجل أن الأحياءَ تصيبهم آفاتُ الدنيا ومكروهاتُ النفس، فتصل هذه الأخبارُ إليهم من عند مَنْ يموت، [فيُسْأَلُ](3) [عند](4) ذلك عشائرُهم وأودّاؤهم، فأحب الله [تعالَى](5) أن يكونَ عُذرُهُ فيما ابتلاهم به ظاهراً مكشوفاً. [فتُعرضُ](6) أعمالُ الأحياء على عشائرهم من الموتى، حتى يعلموا إذا صار إليهم أحد من الأحياء يوم الموت، فبلّغهم الأخبارَ وأخبرهم بما يلقون في الدنيا أن هذا بما اقترفوا من الأعمال [السيئات](7). فيكون [عذرُ الله](8) سبحانه [وتعالى](9) في الأموات ظاهراً. وإن كانت [أعمالاً](10) حسنةً [استبشروا](11) [بها](12)، وفرحوا [بها](13)؛ يرجون لهم من [الثواب](14) مثل ما وجدوا ونالوا من ربهم [من](15) الكرامة.

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: فساءل.
(4) غير موجودة في: ت.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في ت: لتعرض.
(7) في ت: السيئة.
(8) في ت: عذراً لله.
(9) غير موجودة في: أ.
(10) في أ: أعمال.
(11) في أ: اشتبروا.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) في ت: النوال.
(15) غير موجودة في: أ.

ذكر علة الصوم

[أما][1] علة الصوم، [فإن][2] النفس مطبوعةٌ [معدودة][3] بهذا الغذاء والعشاء، وكذلك هذا لهم في الجنة، قال الله تعالى: ﴿[ولهم][4] رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾[5]، و[روي عن][6] رسول الله ﷺ أنه قال له رجل: "[أ][7] في الجنة ليل؟"، قال: «وما هيجك على هذا؟»، قال: "سمعت الله [تعالى][8] يقول: ﴿ولهم رزقهم [فيها][9] بكرة وعشيا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «إنما الغدو والرواح على المقادير»[10]. فالنفس مطبوعة على أن تتغذى وتتعشى، [فأمره][11] بفَطْمها عن هذا. فأما الأمم الماضية، فحظر عليهم الغذاء ونزل عليهم العشاء، فذلك صومهم. وأما هذه الأمة، فعطف الله سبحانه [وتعالى][12] عليها، وأكرمها بأن ترك عليهم الغذاء والعشاء في صومهم، [إلا أنه][13] حظر عليهم الغذاء في وقته، وأطلق لهم [تقديمه سحراً. وسماه][14] رسول الله ﷺ: «الغذاء المبارك»[15]، فسمي هذا: "صوما". والصوم [هو][16] [الكَفُّ][17] عن عادة [تعتادها][18]، فإذا مُنعَت النفسُ تلك العادةَ، اشتد عليها. فكان [في][19] ذلك تسليمُ الجسدِ إلى

(1) في ت: و.

(2) في ت: أن.

(3) في أ: معدوّة.

(4) في ت: لهم.

(5) مريم: 62.

(6) في أ: قال.

(7) غير موجودة في: ت.

(8) غير موجودة في: ت.

(9) موضعها في «ت» قبل: "رزقهم".

(10) لم أقف عليه.

(11) في أ: فأمر.

(12) غير موجودة في: أ.

(13) في ت: لأنه.

(14) في ت: تقديم السحر فسماه

(15) هذا مأخوذ من قوله ﷺ: «هلموا إلى الغذاء المبارك» رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرباض بن سارية، وضعفه ابن القطان (انظر: *المغني*: الباب الثالث من "كتاب العلم": 1/ 49).

(16) غير موجودة في: ت.

(17) في ت: الكن.

(18) في ت: يعتادها.

(19) غير موجودة في: أ.

الله تعالى، لأن النفس إذا مالت إلى الشهوات، فقد مالت [بأركانها][20] عن الله تعالى إلى دنياها. فعلى قدر الميل عن الله تعالى [والتباعد عنه][21]، تنقص البركة، وتنزوي عنه. وإذا [انحلت][22] البركة عن شيء، قَلَّت وذلت، [وصارت مدخولة. وإذا مالت إلى الله سبحانه وتعالى بمنعها][23] عادتَها و[شهواتها][24]، ازدادت قربةً إليه، [وإذا ازدادت قربة إليه][25]، حَلَّتْ [بها][26] البركةُ. فإذا حلت البركة؛ زَكَتْ ورَبَتْ. والزكاة: النمو، والاحتشاء من الخير، والازدياد. و[الآدميُّ][27] خُلِقَ أجْوَفَ، ووُضِعَ في جوفه الإيمانُ والعلمُ، والحكمةُ، والعقلُ، والفهمُ، والسكينةُ، والوقارُ؛ وهذه كلها جنودُ القلب، والرغبةُ، والرهبةُ، والشهوةُ، والغضبُ، والمكرُ، والحرصُ، والجبنُ، والبخلُ في ناحية؛ وهذه كلُّها جنودُ النفس. فإذا امتنع من عادة النفس، كان في ذلك بذل النفس [لله][28] تعالى، والتسليم إليه. فإذا قَبِلَهَا زكت بما أُعْطِيَت من الإيمان، والعقل، والعمل، [وما ذكرنا][29] [من الخيراتَ، ووَفَرَتْ][30]. فصار هذا الصومُ زكاةَ الجسد. ألا ترى [أن][31] الصائمين كيف يجدون لذة العبادة؟! و[كيف][32] يجدون نفوسهم ساكنة هادئة؟! ومن ها هنا قال رسول الله ﷺ: «[إن][33] لكل شيء زكاةً، وزكاةُ الجسد الصيامُ»[34]. فإذا صام، حلَّت البركةُ، ونما فيه كلُّ شيء من الخير، واحتشى وازداد [فَضْلاً][35] بحلول البركة. فإذا امتنعت البركةُ من هذه الأشياء، بقيت كلُّها معطَّلةً لا [تعمل][36] شيئاً. [وكان][37] اللهُ تعالى جعل هذا الصومَ سبباً لحلول البركة، فَرَبَا وزكا ونما كلُّ خير فيه، واحتشت النفس من [الخير][38]. وقد عظَّم [ربُّنا][39]

---

(20) في أ: أركانها.
(21) غير موجودة في: أ.
(22) في ت: تخلت.
(23) مطموسة في: أ.
(24) في ت: شهوتها.
(25) غير موجودة في: أ.
(26) في ت: لها.
(27) في أ: الدمي.
(28) في ت: إلى الله.
(29) غير موجودة في: ت.
(30) في ت: ووفرت من الخيرات.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) غير واضحة في: أ.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) رواه ابن ماجة في "كتاب الصيام" من سننه برقم 1735.
(35) في أ: وصلا.
(36) في أ: يعمل.
(37) في أ: فكان.
(38) في ت: كل خير.
(39) غير واضحة في: أ.

تعالى [فعل][40] هذا العبد، حيث منع نفسه هذه العادة، فروي لنا في الخبر أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله [تعالى][41]: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به عبدي، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة حين يلقى الله تعالى "[42]. فهذا موافق لقوله: " إن تقرب إلي [عبدي][43] شبرًا، تقربت منه [ذراعاً][44] "[45]. [شكَرَ][46] له هذا القدرَ، حيث مال إليه، وترك طعامه وشرابه ساعات من النهار حتى [يحكي][47] فعلَهُ [في الملإ الأعلى][48]، فيقول: "عبدي ترك طعامه وشرابه من أجلي"، ثم يقول: "هذا لي وأنا أجزي به"، أي لا أكلُ ثوابه إلى غيري. وإنما صارت الأعمال له، وهذا لله، لأن نيته وإضماره على أنَ يمنع نفسَه عادةً اعتادها، وليس هو بفعل الأركان. ثم قال النبي ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره»، فتلك فرحة حلول البركة، وزكاة الجسد، [وذلك بحلول][49] البركة بفرحه، لأنه قد زال عنه ثقلُ النفس؛ «وفرحة عند [لقاء ربه][50]»، حين يرى ثوابه. فأمرَ العبدُ أن يصوم شهراً، ويصومَ بعده [ستةً][51] من شوال، حتى يكون الدهرَ كلَّه صائماً، لأن الحسنةَ بعشر. فثلاثون يوماً بثلاثمائة [سنة][52]، و[ستة][53] أيام [بستين][54] [يوما][55].

فإذا كان [محسوبٌ][56] عُمره في الصوم على ما ذكرنا، كانت البركةُ [حالَّةً][57] به، جاريةً عليه. فمن رغب في تلك السُّتة، فإنما طلب [للنفس][58] دوامَ هذه البركة، ليكون جسدُه بما فيه زاكياً نامياً.

---

(40) في ت: فعلى.

(41) في ت: عز وجل.

(42) رواه البخاري ومسلم والنسائي (انظر: *دليل الفالحين*: 4/ 26).

(43) غير موجودة في: أ.

(44) مطموسة في: أ.

(45) متفق عليه من حديث أبي هريرة (انظر: *المغني*: "كتاب شرح عجائب القلب": 3/ 10).

(46) في ت: شكراً.

(47) مطموسة في: أ.

(48) مطموسة في: أ.

(49) في ت: فذلك الحلول.

(50) في أ: لقائه.

(51) في أ: ست.

(52) غير موجودة في: أ.

(53) في أ: ست.

(54) في أ: بستون.

(55) غير موجودة في: أ.

(56) في ت: محسوبا.

(57) في «أ»: حالتٌ، وغير واضحة في: «ت».

(58) في أ: النفس.

ذكر علة صوم [يوم][1] عرفة وعاشوراء والاكتحال فيه

و[أما][2] علة صوم يوم عرفة، ما ذُكِرَ عن النبي ﷺ أنه [قال][3]: «كفارة [سنتين][4]: سنة قبلها، وسنة بعدها، وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة»[5]. فإن الوفد قد برزوا إلى الله تعالى، واقفين معتذرين إليه في ذلك المشهد العظيم، قد ألقوا إلى الله سبحانه [وتعالى][6] بأيديهم [تسليماً][7]، مُسَلِّمينَ نفوسَهم إليه. فمن صام يومئذ في سائر المواطن، فقد تشبه بهم في البروز إليه، مانعاً [نفسَه][8] شهواتها، واهباً نفسَه لله [تعالى. و][9] من شأن الوفد أن يغفر اللهُ لهم ما [مضى][10]، ويحفظهم فيما بقي. وكما أخذ هذا الصائمُ بحظٍّ [من][11] هذا اليوم، [فكذلك يعطيه][12]، ويُكَفَّر عنه بهذا الصوم سنةً قبله، وسنةً بعده. والوافدُ يُكَفَّرُ عنه بذلك الوقوف جميع السنين [قبله][13]، وجميع ما بقي من عمره. وأما علة الصوم يوم عاشوراء، فإن الدنيا [كانت][14] [تقوَّضتْ][15] من [زمن][16] نوح صلوات الله عليه وسلامه، وهلكت [بمن][17] فيها، ولم يبق إلا سفينته ومن فيها، وعلا فوق

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في أ: ستّين.
(5) النصف الأول من الحديث: "كفارة سنتين: سنة قبلها وسنة بعدها" رواه مسلم وأصحاب *السنن* وأحمد والطبراني (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 238-239)، والنصف الثاني رواه أحمد في "كتاب باقي مسند الأنصار" من مسنده برقم 21542.
(6) غير موجودة في: أ.
(7) في ت: سلما.
(8) مطموسة في: أ.
(9) غير موجودة في: أ.
(10) مطموسة في: أ.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) مطموسة في: أ.
(13) مطموسة في: أ.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في أ: تقرضت.
(16) غير موجودة في: ت.
(17) في ت: عن.

كل شيء أربعين ذراعاً من المشرق إلى المغرب. واستوت السفينةُ على الجُوديّ يوم عاشوراء، وسلم الله [تعالى][18] على نوح [ﷺ][19] وعلى أمم ممن معه في صُلبه، وهم الموحِّدون. وبارك عليه وعليهم[20]، فقال عز وجل: ﴿يا نوح اهبط بسلامٍ منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾[21]. [فاستثناهم من][22] الكفار، ولم يقل: "أمم معك"، ولكن قال: "ممن معك". وردَّ [عليهم][23] الدنيا يومئذ مع البركة و[السلام][24]، لأنه [أمره][25] بالهبوط إلى الدنيا، [ليتبوأ][26] هناك مستقراً، و[يُنمِّي][27] ذريتَه بتلك البركة، فصام نوحٌ يومئذ، وأَمَرَ مَنْ معه بذلك؛ حتى الوحوش في السفينة. فمن ذلك اليوم، يصوم الوحوشُ يومَ عاشوراء. وقد ذكرنا أن الصوم [هو][28] امتناع من الشهوات، وهو الزَّهَادةُ في الدنيا. واستقبل الله بردِّ الدنيا على أهلها استقبالاً، فتلقاه نوح صلوات الله [وسلامه][29] عليه، ومن معه، بقبولها مع الزهادة فيها؛ وهو الصوم شكراً لله [عز وجل][30] [عليه][31]. فإن مِنْ شكر الله أن يَقْبَلَ [نعَمَ][32] الله تعالى، لأنها نعَمُ بلوى، لا نعمُ ثواب، ولأنها نعَمُ دار الغرور، لا نعمُ دار السرور والقرار، [و][33] [لأنها][34] دارُ المقرّ. [فصام][35] يومَ عاشوراء زهادةً في الدنيا. ففي كل يوم من الدنيا إذا [جاء ذلك اليوم، والغبار فيه شكراً لله. ففي قبول][36] الدنيا من الله على [الزهادة فيها][37]، وعلى السلامة و[البركة][38] من [الله. ألا ترى إلى قول][39] [رسول الله][40] [ﷺ][41]: «من

---

(18) غير موجودة في: أ.
(19) في ت: صلوات الله.
(20) أشار اللكنوي إلى هذا الخبر ثم علق عليه بقوله: "وأما هذه الأحاديث الطوال التي ذكر فيها كثير من الوقائع العظيمة الماضية والمستقبلة أنها في يوم عاشوراء فلا أصل لها، وإن ذكرها كثير من أرباب السلوك والتاريخ في تواليفهم، ومنهم الفقيه أبو الليث ذكر في *تنبيه الغافلين* حديثاً طويلاً في ذلك، وكذا ذكر في *بستانه* فلا تغتر بذكر هؤلاء، فإن العبرة في هذا الباب لنقد الرجال، لا لمجرد ذكر الرجال" *الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة*: 96.
(21) هود: 48.
(22) في ت: فاستثنى منهم.
(23) في ت: عليه.
(24) في ت: السلامة.
(25) في أ: أمر.
(26) في ت: ليسوي.
(27) غير واضحة في: أ.
(28) غير موجودة في: ت.
(29) غير موجودة في: أ.
(30) غير موجودة في: ت.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) في ت: نعمة.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) في أ: هي أنها.
(35) في ت: فصوم.
(36) مطموسة في: أ.
(37) مطموسة في: أ.
(38) مطموسة في: أ.
(39) مطموسة في: أ.
(40) في ت: النبي.
(41) مطموسة في: أ.

وسَّع على عياله [في](42) يوم عاشوراء، [وَسَّعَ](43) الله عليه في سائر سنته»(44)؟! [فهنا من](45) أجل [أن](46) هذا الموسِّع على عياله يومئذ هو [مُبَوِّئ](47) لنفسه وعياله في [وطنه](48)، [فصار](49) في هيئة نوح [ﷺ](50) يومئذ، فناله [من](51) تلك البركة. لأنه قيل له: "اهبط [التُبَوِئَ](52) لأهلك وعيالك في الأرض"، [فإنما هبط](53) مع [السلام](54) والبركة. فكل من أراد أن [يحتظيَ](55) من ذلك السلام والبركة، فينبغي [له](56) أن يكون في ذلك اليوم في هيئة نوح صلوات الله [وسلامه](57) عليه من [التَّبوئة](58) لنفسه وعياله في مستقرِّه. فإذا فعل ذلك [احتَظَى](59) من تلك البركة، ووسع عليه سائر السنة، لأنه وفَّى بالزهادة، حيث وَسَّعَ وقَدَّمَ صدقةً. ومن ها هنا قيل: "من اكتحل يوم عاشوراء بإثمد لم [تَتَّجعْ](60) عينهُ، وعُوفي من الرَّمَد [تلك السنة](61)."(62)، لأن الكحلَ [مَصلحَةٌ](63) [للعين](64). فقد [بَوَّأ](65) البصيرة في [عينه](66) مستقراً، [فاحتظى](67) من تلك البركة [ما يُوقي](68) [الرَّمَدَ]، لأنه قد أخذ بحظ من التبوئة. وبوَّأ لنوح صلوات الله عليه لنفسه مع الزهادة فيها، وهو الصوم الذي صامه يومئذ](69)، وأَمَرَ مَنْ معه بذلك، حتى الوحوش. فقد [ردَّ](70) اللهُ سبحانه عليهم مراعيهم وبراريهم.

---

(42) غير موجودة في: ت.

(43) في أ: أوسع.

(44) يذكر اللكنوي أن أحاديث التوسعة على العيال محكوم عليها بالوضع من لدن ابن الجوزي وابن تيمية وغيرهما، وأن كثيراً من المحققين تعقبوا القول بالوضع، وأثبتوا أنها حسنة قابلة للاحتجاج بها والعمل بها (انظر: *الآثار المرفوعة*: 97).

(45) مطموسة في: أ.

(46) غير موجودة في: أ.

(47) في ت: مقوي.

(48) في ت: الوطن به.

(49) في أ: وصارت.

(50) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.

(51) غير موجودة في: ت.

(52) في ت: لتقوي.

(53) في ت: فإني أهبط.

(54) في ت: السلامة.

(55) في أ: يحتضي.

(56) غير موجودة في: ت.

(57) غير موجودة في: أ.

(58) في ت: البنونة.

(59) في أ: احتضى.

(60) في ت: يتجع.

(61) غير موجودة في: أ.

(62) قال اللكنوي: "ومن الأحاديث الواردة في يوم عاشوراء أحاديث فضل الاكتحال فيه، وهي لا تخلو عن ضعف شديد، بل هي موضوعة" *الآثار المرفوعة*: 97.

(63) في أ: مزمَّة.

(64) غير موجودة في: ت.

(65) في ت: نور.

(66) في ت: عينيه.

(67) في أ: فاحتضى.

(68) في أ: مما يوافي.

(69) غير موجودة في: ت.

(70) في أ: ردّ له.

ذكر علة الزكاة

و[أما][1] علة الزكاة، فإنها نموّ المال. وذلك أن المالَ [سمي][2] مالاً، لأنه مال بالنفوس عن الله [تبارك و][3] تعالى، ومالت النفوس عن الله تعالى [لمَّا][4] أحست بمنافعه، وميْلُهَا إلى ذلك أورثها الحبَّ لها حتى [افتتن بها][5]، أعني: المنافع. وقد علمت أن ذلك كلَّه [من المال][6]، [فألهاها][7] عن ذكر الله [تعالى][8]. وقد حذَّر اللهُ [تعالى][9] عباده [وقال][10]: [﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن][11] ذكر الله﴾، ثم قال: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[12]، وقال عز وجل: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل الموسومة والأنعام والحرث﴾[13]. فهذه أصناف الأموال مزينة [امتحاناً وبَلْوَى][14]، وشهواتها في نفوس بني آدم [ثابتٌ][15] [حبُّها][16]، فدعاها [إلى ما][17] هو خير منها، فقال [تعالى][18]: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[19]. فمن مال إلى ما دُعي إليه من داره وجواره سَعِدَ. وكلما مالت النفوسُ إلى شهواتها، فَعَنِ الله تَميلُ، فلا تزداد إلا بعداً، [وكلما ازدادت بعداً][20]، انزوت

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في ت: ينمي.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في ت: إليه لما.
(5) في ت: اقترنها.
(6) في ت: للمال.
(7) مطموسة في: أ.
(8) غير موجودة في: ت.
(9) في ت: سبحانه.
(10) في ت: فقال.
(11) مطموسة في أ.
(12) المنافقون: 9.
(13) آل عمران: 14.
(14) غير موجودة في: ت.
(15) في «أ»: تأتيه، وفي «ت»: ثابتة.
(16) غير موجودة في: ت.
(17) في ت: لمَا.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) آل عمران: 15.
(20) غير موجودة في: ت.

البركة عنها، فأُمِرَتْ بالصدقة، وسميت زكاة. فأما الصدقة، فلأن إخراجَها من ماله مع بخل [النفوسَ][21] عن محبوبها من صدق الإيمان. فسميت صدقة، وسميت زكاة، لأنه أدَّاها وحمل على نفسه أثقالاً بمفارقة ما اشتهته وأحبته، فنالت من الله [تعالى][22] قُربة. وإذا نالت قربة، حلت البركة بها، وانبسطت، واتسع لها المالُ والخيرُ الذي يَحْدُثُ عن المال. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صدقةٌ [مالاً قطُّ، فتصدقوا!][23]»[24]؟! لأن البركةَ حَالَّةٌ به، و[إذا][25] حلَّت [البركةُ][26]، فمحال أن [تنقص][27]، لأن [أصل][28] البركةَ في الجنة، وإنما صرف إلى الدنيا منها شيء يسير. فأهل الجنة يتناولو[نها أبدا][29]، وهي لا تنقص. كلما تناولوا منها ثمرة، عادت مكانَها أخرى، [فينكشف][30] لهم هناك غطاءُ [الفؤاد][31] حتى يروه. وها هنا لا ينكشف، لأنهم في دار البلوى. وروي لنا أن رسولَ الله ﷺ [كان بين يديه قدرٌ][32] من تمر، فجعل [يقبض][33] منه ويعطي مرة بعد مرة، فقال له قائل: "يا رسَول الله! أراك تعطي ولا [ينقص][34]"، فقال رسول الله ﷺ: «أما [تقرأ][35] [قول الله][36] عز وجل: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه [وهو خير الرازقين]﴾[37][38]؟! و[لكن][39] لا ترون الخَلَفَ من قلَّة اليقين»[40]، [قال: فالبركة][41] تُورد الخَلَفَ في الأشياء، حتى لا تنقص. فهذه النفوسُ خائنةٌ، لا[توقن][42] بِوَعْدَ الله، ونهْمَتُها تحرم صاحبَها البركةَ. ألا ترى إلى

---

(21) في ت: النفس.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) رواه بدون زيادة: "فتصدقوا" مسلم في "البر والصلة" من صحيحه، والترمذي في "أبواب الزهد" من جامعه وقال: "حديث حسن صحيح"، ووقع في *الأطراف* للمزي في "الأدب" منه. (انظر: *دليل الفالحين*: 2/ 556 و559) كما رواه ابن حبان في "ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر" من كتابه *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء* (انظر الصفحة 59).
(25) في ت: إذ.
(26) غير موجودة في: ت.
(27) في ت: ينتقص.
(28) في ت: الأصل.
(29) مطموسة في: أ.
(30) مطموسة في: أ.
(31) غير واضحة في: أ.
(32) مطموسة في: أ.
(33) مطموسة في: أ.
(34) في ت: تنقص.
(35) في أ: تقرؤوا.
(36) في ت: قوله.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) سبأ: 39.
(39) في ت: لكنكم.
(40) لم أقف عليه.
(41) في أ: قبل البركة.
(42) في أ: توفي.

قول [رسول الله][43] ﷺ في قصة هاجر، حيث أظهر الله زَمْزَمَ، فلما ظهر الماءُ اغترفت، فجعلت في الوعاء، فقال النبي ﷺ: «لولا أنها اغترفت، [لـَ][44] كانت زمزمُ عيناً معيناً»[45]؛ يعني: ماءً جارياً. فاغْترَافُها من قبَل [النفس][46]، فأمسك الماءُ عن الجري. فهذا شأن النفس في كل شيء. قال الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾[47] الآية. فالعبد قد آمن بالله سبحانه [ثقةً به، وتوكلا][48] عليه، وأنَالَهُ المال، ليبلوه به، وينظر ثقتَهُ بالله، وتوكله عليه، أم ثقتَهُ بالمال، وتوكله عليه. فلما امتُحن به، ظهرت [المحنةُ][49] على العامة؛ بأن النفس مائلة إلى المال، متشبثة به، حتى صارت من شدة ميلها إليه إلى تضييع الفرائض، والوثوب في المحارم. و[لهت][50] عن ذكر الله تعالى، وشُغلَتْ عن النظر [إلى][51] نعمه و[منته][52]، ودخلها النقصُ الكثير، كما قال عيسى عليه السلام: "في المال داء كثير، قيل: ما داؤه يا روحَ الله؟ قال: [يأخذه][53] من غير حقه، قيل: فإن أخذه من حَقه؟ قال يضعه في غير حقه، قيل: فإن وضعه في حقه؟ قال: لا ينجو من الفخر والخيلاء، قيل: فإن نجا من الفخر والخيلاء؟ قال: يشغله إصلاحُهُ عن ذكر الله". فيقال للمؤمن: هات صدق إيمانك بالله لتبين ثقتك بالله وتوكلك عليه، لأن هذا المالَ لله لا لك، فإذا أعطى المقدارَ الذي قدَّره له من ذلك، فقد أبرز صدقَ إيمانه [من ذلك][54]، فقيل: ["صدقة"][55]، [فسميت][56] صدقة لذلك. وخرج من دنس الميل عن الله [تعالى][57] بالإعطاء، فظهر وفارق محبوبَه و[أليفه][58]؛ وهوذا المال. فحلَّت البركةُ فيما بقي في يده، فَنَمَا [مالُه][59]، واحتشى بنفسه، وما فيه من العلم والعقل والخير زيادةٌ ونماءٌ. [فقيل: زَكَا؛ أي نما وزاد، فسميت: "زكاة"][60]، فقال: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾؛ أي من

(43) في ت: النبي.
(44) غير موجودة في: ت.
(45) أخرجه ابن كثير عن ابن عباس مرفوعاً (انظر: *قصص الأنبياء*: 1/137).
(46) في ت: اليقين.
(47) التوبة: 103.
(48) في ت: تقربه وتوكل.
(49) في ت: المحبة.
(50) في أ: ولهت.
(51) في ت: في.
(52) في ت: منته.
(53) في أ: نأخذ.
(54) غير موجودة في: أ.
(55) في ت: زكاة.
(56) في ت: فسمي.
(57) غير موجودة في: ت.
(58) في ت: الثقة.
(59) في ت: له.
(60) غير موجودة في: ت.

دنس الميل، ﴿وتزكيهم بها﴾، قال: ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[61]، لأنهم يفارقون محبوباً. فإذا علموا أن دعاءك مقبول، ودعوت لهم، سكَنَتْ نفوسُهم إلى عظيم ما أعددت لهم من [الثواب][62] للمنفق. و[قال][63] في آية أخرى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾، أي ليس الصدق [هذا][64] الذي تفعلونه، لكن الصدق أن تؤمنوا بالله، [إلى قوله: ﴿والنبيين﴾][65]. ثم قال: ﴿و[أتى][66] المال [على حبه][67]﴾[68]، فليس من محبوب إلا ونفسُه [مائلةٌ][69] إليه. وذلك عيب عظيم، ودنس كبير، لأن الميلَ [إلى محبوب النفس][70] إعراضٌ عن الله تعالى، وإقبالٌ على شيء [خسيس][71] من خلقه. فإذا أعْطَى، كان ذلك [تطهيراً][72] له. وإنما الباقي في يديه، وإنما [مَالُه][73] من العلم والعقل والحكمة والفهم والخيرات، وإذا مَنَعَ ذلك [نقمته النفسُ][74]، [و][75] انزوت البركة عنه، فلا يكون في صدره نماءٌ، ولا [في][76] يديه من المال، وزاغ قلبُه. فهذه علة الزكاة.

---

(61) التوبة: 103.
(62) غير موجودة في: ت.
(63) في ت: ذلك.
(64) في ت: هو.
(65) غير موجودة في: أ.
(66) في ت: أتوا.
(67) غير موجودة في: ت.
(68) البقرة: 177.
(69) في ت: تائقة.
(70) غير موجودة في: ت.
(71) غير موجودة في: ت.
(72) في ت: تطهرا.
(73) في أ: له.
(74) غير موجودة في: ت.
(75) غير موجود في: «أ» و«ت».
(76) في ت: فيما.

ذكر علة مقادير الزكاة

[و][1] أما علة مقادير الزكاة، فمنها عللٌ ظاهرةٌ، ومنها خفيَّةٌ لطيفةٌ، [ف][2] لا يدركها إلا عيونٌ لاحظةٌ إلى تدبير الله تعالى، وقلوبَ [طَالَعَت][3] الحكمةَ، [فاستنبطت][4] [من ينبوعها الأكبر من قبل أن تنقش][5] في الينابيع [الَتي هي فروع][6]. فتلك علةٌ عَجَزَتْ عن فهمها العامةُ، وإن شرحتُ لهم يُحيَّروا [فيها][7]، ولم [نكن نشرحُ][8] لهم. فأما العلل الظاهرة، فمنها أن أفضلَ المال، وأعلاه مرتبةً، هو الذهبُ، ثم الفضةُ، وهما أثمانُ الأشياء. فجُعل في كل أربعين مثقالاً مثقالٌ، وفي كل أربعين [درهماً][9] درهمٌ، وفي كل أربعين من الإبل واحدٌ منها في [سنّ][10] ابنة لَبُون، وفي كل أربعين من البقر [واحدةٌ][11] منها، وفي كل أربعين شاةً شاةٌ. وذلك [لأن][12] الأربعين مقدارٌ له عند الله شأن. ألا ترى أنك تجد ذكر هذا المقدار في مواضعَ كثيرة. فمن ذلك أن طينة آدم [عليه السلام][13] كانت موضوعةً أربعين سنةً، حتى نفخ فيها الروح، ثم ذريته في الرحم نطفة [أربعون][14] يوماً، ثم دمٌ أربعون يوماً، ثم مضغة أربعون يوماً، وبين النفختين في الصور [أربعون][15]: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ إلى قوله: ﴿[أربعين][16] ليلة﴾[17]، وبُعثَ النبيُّ ﷺ لأربعين سنة من مولده، وقال [تعالى][18]: ﴿حتى إذا

---

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: طالعة.
(4) في ت: فانبسطت.
(5) مطموسة في: أ.
(6) مطموسة في: ت.
(7) غير موجودة في: أ.
(8) في أ: يكد ينشرح.
(9) في «أ» و«ت»: درهم.
(10) في ت: سنة.
(11) في ت: واحد.
(12) في ت: أن.
(13) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(14) في أ: أربعين.
(15) في ت: أربعين.
(16) في أ: أربعون.
(17) الأعراف: 142.
(18) غير موجودة في: ت.

بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾[19]، و[منتهى][20] شباب الإنسان [كماله][21] في أربعين سنة، ثم يأخذ في النقصان، والكبشُ الذي فُديَ به الذبيحُ رعى في الجنة أربعين سنة[22]، والفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين سنة، وفقراء الكفار يدخلون النار بعد الأغنياء بأربعين سنة[23]؛ كذا جاءت [الروايات][24] عن النبي ﷺ. وعدةُ [النفساء][25] [أربعون][26] يوماً، و[الدجّال][27] سلطانه في الأرض [أربعون][28] يوماً[29]، وفتنةُ العجل أربعون يوماً[30]. فوجدنا ذكر الأربعين [مُطَّرداً][31] في الأمور، والعشرةُ كمالُ [العدَّة][32]. وقال: ﴿تلك عشرة كاملة﴾[33]، لأنه إذا [جاوز العشَرة][34]، فإنما يرد الواحد إلى عشَرته. [ووجدنا][35] كل شيء [مُربَّعاً][36]؛ فهو تمام. وما كان مُثلَّثاً؛ فهو منقوص. والأربعون: أربعُ مرات عشرة، فهو كمالٌ في تمام، لأن العشرةَ كمالُ العدد، و[الأربعةُ][37] تمامُ التربيع، وهذا ظاهرٌ [يعقله][38] العامةُ، ولهذا [باطنٌ][39] لطيفٌ لا يعقله إلا أهلُه. فهذه مقادير زكاة الأموال. ثم جَعَلَ [القليلها][40] مقاديرَ معلومة، فلم يَجْعَلْ فيما دون المائتين شيئاً، و[لا][41] فيما دون [عشرين مثقالاً شيئاً، ولا فيما دون أربعين شاةً شيئاً، ولا فيما دون الثلاثين من البقر شيئاً، ولا فيما دون خمس من الإبل شيئاً. فإذا بلغت الفضةُ][42] مائتي درهم، فعندها وجبت

(19) الأحقاف: 15.

(20) في ت: منها.

(21) في ت: كهالته.

(22) ذكر ابن كثير أنه قد رواه الثوري عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (انظر: *قصص الأنبياء*: 1/ 142).

(23) في الحديث: "يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بأربعين خريفاً"؛ قال العراقي في تخريجه: "أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، إلا أنه قال: فقراء المهاجرين، والترمذي من حديث جابر وأنس" (*المغني*: "كتاب الفقر والزهد": 4/ 206).

(24) في ت: الرواية.

(25) في أ: النفس.

(26) في ت: أربعين.

(27) مطموسة في: أ.

(28) في ت: أربعين.

(29) هذا جزء من حديث طويل عن الدجال رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة (انظر: *دليل الفالحين*: 4/ 642).

(30) هذا باعتبار ما ورد في الآية 142 من سورة الأعراف المذكورة قبل حين.

(31) في ت: متطردا.

(32) في ت: العدد.

(33) البقرة: 196.

(34) غير موجودة في: أ.

(35) في ت: فوجدنا.

(36) في «أ» و«ت»: مربع.

(37) في أ: الأربع.

(38) في ت: تفعله.

(39) في ت: نظير.

(40) في أ: لقليها.

(41) غير موجودة في: ت.

(42) غير موجودة في: ت.

الصدقةُ من كل أربعين درهماً درهم. فإذا بلغ الذهبُ [عشرين][43] مثقالاً، وجبت الصدقة فيها [كـ][44]ـما وجبت في المائتين. وذلك [نصفُ مثقال؛ وهو][45] خمسُ [دراهم][46]، لأن الدينارَ كان عندهم يومئذ بعشرة دراهم. فإذا بلغ [البـقرُ][47] ثلاثين، ففيها بقرةٌ. [وإذا][48] بلغت الغنمُ أربعين، ففيها شاةٌ. وإذا بلغت الإبلُ خمسا، ففيها شاةٌ. لأن [عشرين مثقالاً من][49] الذهب [يعادلُ][50] مائتي درهم، [لأن الدينارَ والمثقالَ عندهم عشرةُ دراهم][51]. وأربعون شاةً تعادل مائتي درهم، كلُّ شاة بخمسة [دراهم][52]، لأن فيها [جدياً][53] و[حُمْلانا][54]، وهي معدودة عليهم في الحساب. وثلاثون بقرةً تعادل مائتي درهم، لأن أكثرها عجاجيلُ. وخمسٌ من الإبل تعادل مائتي درهم، لأن فيها [قلاَصًا][55]. وكانت [الإبلُ][56] المِسَانُّ يومئذ كل بعير بمائة درهم؛ [القَلُوصُ][57] بحصته من ذلك على [مقداره][58] بعشرين [درهماً][59]. [فتكون][60] خمسٌ من الإبل بفصْلانها و[قلاصها][61]، تعادل مائتي درهم. ثم جعل في [المائتين][62] خمسةَ دَراهم، و[في][63] عشرين مثقالاً نصفَ [مثقال][64]، و[هي][65] خمسةُ دراهم يومئذ، فاستويا في [الوجوب][66] فيهما وفي مقَاديرهما، وفي أربعين شاةً شاةٌ، وقيمتُها [خمسةُ دراهم][67]، [وفي خمس من الإبل شاةٌ، وقيمتُها خمسةُ دراهم][68]، وفي ثلاثين من البقر تبيعٌ. وكانت البقرُ في أرض [اليمن][69] والشام، وليست بأرض الحجاز. وما أحسبُ أن تبيعاً من البقر إلا بهذا المقدار؛ أعني: خمسة دراهم

(43) في ت: عشرون.
(44) غير موجودة في: ت.
(45) غير موجودة في: أ.
(46) في ت: الدراهم.
(47) غير موجودة في: أ.
(48) في ت: فإذا.
(49) غير موجودة في: أ.
(50) في ت: تعادل عشرين مثقالاً.
(51) غير موجودة في: ت.
(52) غير موجودة في: أ.
(53) في ت: حدا.
(54) في أ: حملان.
(55) غير واضحة في: ت.
(56) غير موجودة في: ت.
(57) غير موجودة في: ت.
(58) في أ: مقدار.
(59) في ت: درهم.
(60) في ت: فيكون.
(61) غير واضحة في: ت.
(62) في ت: فيما بين.
(63) غير موجودة في: ت.
(64) في ت: مثقالاً.
(65) في ت: هو.
(66) مطموسة في: أ.
(67) مطموسة في: أ.
(68) غير موجودة في: ت.
(69) في أ: اليمين.

ونحوها. فتلك عامة أموالهم، لأنها أرضُ الحَرْث، ونَسْلُ البقر هناك. ألا ترى أن النبي ﷺ لم يجعل في [الخيل][70] صدقةً، فلما فُتِحَت الشامُ، وُجد عامَّةُ أموالهم الخيلَ، ففرض [على][71] كل فرس [ديناراً][72]؟! [73] وإنما [يُوضَعُ][74] مقادير هذه الأشياء على هيئة أجناسها، وعلى قدر احتمالها [كذلك][75]. وقد [أجملها][76] الله تعالى فقال: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾، فوجدنا هذه الأصنافَ من الأموال؛ كلها راجعة مقاديرها إلى أن كلَّ شيء بلغت قيمتُه مائتي درهم، [وفيه][77] ما يبلغ قيمتُه خمسةَ دراهم، ففي مقدار المائتين ومقدار المؤدّى منه؛ وهو خمسة دراهم، عامَّة هذه الأصناف، ثم [لا][78] يزال في كل خمس من الإبل شاةٌ حتى تبلغ خمساً وعشرين، وهي خمس مرات [خمس، فتكون][79] قيمتُها ألفَ درهم. ففيها واحدة [منها][80] في سن ابنة مَخَاض، وكان مقدارُها [خمسةً وعشرين][81] [درهماً][82]، لأن المسنَّةَ من بنات [الأربع سنين][83]، وابنةُ مخاض ابنةُ [سنة][84]. فهي على الربع من الجَذَعَة، وكانت قيمةُ الجذعة يومئذ مائةَ درهم، وربعُ المائة [خمسٌ][85] وعشرون درهماً. فكما كان في ألف درهم خمسةٌ وعشرون درهماً، فكذلك في [خمسة وعشرين][86] من الإبل واحدة منها [في هذه][87] السِّنِّ [التي][88] ذكرناها. فيكون قد أخذنا منها ابنةَ مخاض قيمتُها خمسةٌ وعشرون [درهماً][89] من [خمس][90] وعشرين من الإبل، وقيمتها ألفُ

---

(70) في أ: الجيل.
(71) في أ: عليها.
(72) في أ: دينار.
(73) من أقوال النبي ﷺ في أنه لا زكاة في الخيل ما رواه الجماعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على المسلم صدقة في عبده ولا فرسه»، ومن أقواله الموجبة للزكاة فيها ما أخرجه الدارقطني والبيهقي من حديث جابر عنه ﷺ: «في كل فرس سائمة دينار أو عشرة دراهم»، لكن الشوكاني يقرر أن هذا الحديث مما لا تقوم به حجة لتضعيف الدارقطني والبيهقي له (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 136-137).
(74) في ت: موضوع.
(75) في ت: لذلك.
(76) في ت: أحملها.
(77) في أ: ففيه.
(78) غير موجودة في: أ.
(79) في ت: خمسة فيكون.
(80) غير موجودة في: ت.
(81) في أ: خمس وعشرون.
(82) في ت: درهم.
(83) في ت: السنتين.
(84) في ت: ثلاث سنين.
(85) في ت: خمسة.
(86) في أ: خمس وعشرون.
(87) في ت: من هذا.
(88) في ت: الذي.
(89) في ت: درهم.
(90) في ت: خمسة.

[درهم](91). فابنةُ مخاض: ربعُ جذعة، [أو](92) ثُلثُ [حقّة. فالحقةُ](93) ابنة ثلاث، والجذعةُ ابنةُ أربع، فهي ربعُ الجذعة وثُلثُ حقّة، والحقةُ ابنةُ ثلاث. وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أمرَ أن يعتد عليهم بالسّخال و[الحُملان](94)، [ولا يؤخذ منهم في الصدقة العناقُ والجذعاءُ، وقال: "ذلك عدلٌ بين السخال والحملان](95)، و[بين](96) الضأن والمعز" (97). وأمر أن يؤخذ في الإبل الحقة والجذعةُ، وقال: "ذلك [عدلٌ](98) بين [الحقاق](99)، والجذعان، و[الفُصْلان](100)، وبين الربّاع، وَ[السّديس](101). وأن يؤخذ في البقر تبيعٌ ومُسنّةٌ، وذلك عدلٌ بين العجاجيل، و[بينَ](102) الثّيران. [وإذا](103) صارت الإبلُ ستا وثلاثين، فإنما زادت عشراً، فأوجبوا فيها ابنةَ لبون؛ وابنةُ لبون: ابنةُ سنتين، لأن في العشرين من الإبل، كانت شاتان قيمتُها عشرةُ دراهم. فلما زادت ها هنا عشراً، فصارت ستةً وثلاثين، زيد على ابنة مخاض مقدارُ عشرة دراهم. [فأوجبوا](104) ابنةَ لبون، [ومقدارُ قيمتها خمسةٌ وثلاثون، لأنها ثلثُ السّديس، والسديسُ قيمتُها مائةُ درهم، لأنَ ابنةَ لَبُون ابنةُ سنتين. والسّديسُ](105) ابنةُ [ستٍّ](106)؛ وهي [على](107) الثلث من تلك. [ثم](108) لما صارت [ستةً](109) وأربعين، أوجبوا فيها حقّةً إلى ستين، لأن [في](110) [الحقّة](111) ابنةَ [ثلاث](112)، والسديسُ ابنةُ [ستٍّ](113) فهي [على](114) النصفَ من ذلك.

---

(91) غير موجودة في: ت.

(92) في ت: و.

(93) مطموسة في: أ.

(94) في ت: الجملان.

(95) غير موجودة في: «أ»، وفي «ت»: «عنان» مكان «عناق».

(96) في ت: لأنّ.

(97) رواه مالك في *الموطأ*، كما أخرجه الشافعي وابن حزم، ورواه ابن أبي شيبة مرفوعاً وهذا غريب منه، ورواه أيضاً أبو عبيد في *الأموال* من طريق الأوزاعي عن سالم بن عبد الله المحاربي (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 135).

(98) في ت: عدلان.

(99) غير موجودة في: "ت"، وفي "أ": الحقاق والجواز.

(100) في أ: الفضلان.

(101) في ت: السديسي.

(102) غير موجودة في: ت.

(103) في ت: فإذا.

(104) في ت: فأوجبوها.

(105) غير موجودة في: ت.

(106) في ت: سته.

(107) غير موجودة في: أ.

(108) في ت: و.

(109) في ت: ستاً.

(110) غير موجودة في: ت.

(111) مطموسة في: أ.

(112) في أ: تلثه.

(113) في ت: سته.

(114) غير موجودة في: ت.

وكلما زاد [خمسٌ](115) من الإبل، وجدناهم ألزموه من سن الإبل ما بقي [بخمسة](116) دراهم، [فقال رسول الله ﷺ](117): «فإذا كَثُرَت الإبلُ، ففي كل خمسين حقةٌ، وفي كل أربعين ابنةُ لبون»(118). [جَعَلَهُ بالخيار](119)، لأنه يستوي في الحاصل. فالحقَّةُ على النصف [من السَّديس، فقيمتُهَا خمسون درهماً على النصف](120) من المائة. فإنما وجبت الحقةُ في [خمسين](121) من الإبل إلى ستين. فكأنه [أوجب](122) في كل خمس من الإبل [شاةً](123) قيمتُها [خمسةُ دراهم](124) على ما [ذكرنا](125). [وكيفما صُرِفَ هذا، فهو راجع إلى الأصل](126). ثم لما جاوز ستين إلى خمس وسبعين، صَيَّرَ فيها جَذَعَةً؛ وهي من [بنات](127) أربع، وهي ثُلُثَا السديس. [فكانت](128) قيمتُها ثلثي المائة، وهي ستةٌ وستون. فإذا [حصَّله](129) لم يكن مؤدّيا أكثرَ من المقدار الأول: في كل [خمس](130) من الإبل شاةٌ، لأن في خمسة وستين إلى خمسة وسبعين هذه الجَذَعَةً، وقيمتُها خمسةٌ وستون ونحوُها. فإذاً خمْسٌ وستون [ثلاثَ عشرةَ](131) مرةً خمسةٌ، وفي خمس [شاةٌ](132)، وقيمتُها خمسةُ دراهم [وثلاثةَ عشرةَ مرة خمسةُ دراهم](133)، [تكُون](134) خمسةٌو[ستين](135) درهماً، جُعِلَ في تسعين ابنتا لبون [كما جُعِلَ في أربعين ابنةُ لَبُون](136)، ثم في عشرين ومائةَ حقتان، كما كان في ستين حقةٌ، ثم أجمل [إذا](137) كَثُرَتْ؛ فقيل: في كل خمسين حقةٌ. فهذه مقاديرُ [يُشْبِهُ](138) بعضُها بعضاً، [فإن](139) زاد في المقدار، زاد في الفريضة التي

(115) في ت: خمسة.
(116) في أ: بخمس.
(117) غير موجودة في: ت.
(118) جزء من حديث طويل رواه أبو داود والدارقطني والحاكم والبيهقي (انظر: *نيل الأوطار*: 4/ 130-131).
(119) غير موجودة في: ت.
(120) غير موجودة في: أ.
(121) غير واضحة في: أ.
(122) في ت: أوجبه.
(123) غير موجودة في: ت.
(124) مطموسة في: أ.
(125) مطموسة في: أ.
(126) غير موجودة في: ت.
(127) غير واضحة في: أ.
(128) في ت: وكانت.
(129) في ت: حصل.
(130) في ت: خمسه.
(131) في ت: ثلاثة عشر.
(132) في أ: شات.
(133) غير موجودة في: أ.
(134) في ت: يكون.
(135) في أ: ستون.
(136) غير موجودة في: ت.
(137) في ت: فإذا.
(138) في ت: تشبه.
(139) في ت: فإذا.

في سنها حتى يكون توفيراً لما يجب، وهو راجع إلى الأصل الذي ذكرنا بديا أنَّ في كل خمس من الإبل شاةً قيمتُها خمسةُ دراهم، وأن الخَمْسَ من الإبل تعادلُ مائتي درهمٍ. ثمَّ جعل في أربعين شاةً واحدةً منها، وهي خمسةُ دراهم، والأربعون تعادل مائتيْ درهم. فإذا صارت مائةً [وإحدى وعشرين][140]، ففيها شاتان. فإذا كانت [أربعين][141] غيرَ واحدة، لم يكن فيها شيء. كما أن المائتين إذا نَقَصَتْ [خمسةَ][142] دراهم، لم يكَن فيها شيءٌ. فإذا صارت مائتين، ففيها خمسةُ دراهم. فإذا صارت الغنمُ أربعين، [ففيها][143] شاةٌ [قيمتُها خمسةُ دراهم][144]. فإذا صارت مائةً وإحدى وعشرين، فإنما وقعت الصدقةُ في اثنين و[ثمانين][145] منها، لأن التسع والثلاثين كانت عفواً لم يكن فيها شيء. فثمانون شاةً قيمتُها أربعُ مائة، كلُّ شاة [خمسةُ][146] دراهم، فوجبت فيها شاتان قيمتُها عشرةُ دراهم، كما كان في الدراهمَ في أربع مائة درهم عشرةُ [دراهم][147]. [ثم][148] لما صارت مائتين وواحدةً، وجبت فيها ثلاثُ شياه قيمتها خمسةَ عشرَ درهماً، لأنه زاد في العدد بعد مائة وعشرين ثمانون. [فكأن][149] في الثمانين الأولى واحدةٌ وتسعٌ و[ثلاثون][150] عفواً؛ أي لا صدقةَ فيها. ففي هذه الثمانين -والزيادةُ واحدةٌ عليها- ثلاثُ شياه إلى ثلاثمائة، فكأنه صَيَّرَ في كل ثمانين واحدةً، ثم لما كَثُرَتْ، [صَيَّرَ][151] في كل مائة واحدةً. فهذه مقاديرُ مستويةٌ يُشْبِهُ بعضُها بعضاً، وإنما أُريدَ بذلك الامتحانُ، ليبرُزَ صدقُ [إيمان العبد][152]، وليُزَكُّوا أموالَهم، و[يتخلَّصُوا][153] من الأدناس. [ففي][154] هذه المقادير كفايةٌ. وإنما قُدّر في الأصل القليلُ، ثم إن كانت زيادةٌ قليلةٌ [أو][155] نقصانٌ قليلٌ في المقدار، فما زَادَ وكَثُرَ فهو جائز، لأن المرادَ منه بروزُ الصدق، وتزكيةُ الأموال، [فحرزوا][156]

---

(140) في أ: أحد وعشرون.
(141) في أ: أربعون.
(142) في ت: عشرة.
(143) في ت: كان فيها.
(144) غير موجودة في: أ.
(145) مطموسة في: أ.
(146) في أ: خمس.
(147) مطموسة في: أ.
(148) غير موجودة في: ت.
(149) في ت: وكان.
(150) في ت: ثلاثين.
(151) مطموسة في: ت.
(152) في أ: الإيمان للعبد.
(153) في أ: يتخلص.
(154) في ت: فهي.
(155) في أ: و.
(156) غير واضحة في: أ.

الزيادةَ والنقـصـانَ في المقـادير . وأصـلُ الزكـاة مـأخـوذٌ من أربعين مـثـقـالاً [من الذهب][157] ، ومنها صار إلى الفضة ، فَعَدَلَتْ أَربع مائة بأربعين مثقالاً ، ومنها صار إلى هذه الأشياء التي وصفنا . وقد ذكرنا بشأن الأربعين أنه عددٌ كاملٌ في تمام ، [فـ][158]ـاجتمع الكمالُ والتمامُ في مقدار الأربعين .

(157) غير موجودة في : ت .

(158) غير موجودة في : ت .

ذكر علة العشر

وعلةُ العُشر، فإن [الفتنةَ][1] فتنةُ النفسِ في الطعام أكثر، لأنه [غَذَاءٌ][2]. وكذلك [كلٌّ شيء][3] من المحبوب هو لاحق به، وهو سيد المحبوب، وما لا غُنْيَةَ عنه، وهو أصلُ الغذاء. والعشرةُ كمالُ العدد، [فأُمرَ][4] أن يعطي من كل عشرة واحداً. فإذا [كانت ذاتَ][5] مُؤْنة وتعب، [فـ][6]نصفُ العشر، لأن ذلك التَّعبَ والمؤنةَ تُعْجزُه عن العشر، و[يثقلُ][7] عليه الأمرُ حتى [يبرمَ][8]، فَخُفِّفَ عنه على قَدْرِ ذلك.

---

(1) غير واضحة في: ت.
(2) في ت: غنا.
(3) في ت: كلٌّ.
(4) في أ: وأمر.
(5) غير موجودة في: "أ"، وفي "ت": ذا.
(6) غير موجودة في: ت.
(7) في ت: تقلّ.
(8) غير موجودة في: ت.

[ذكر علة الخُمُس][1]

وأما علة الخمس، فإن الله سبحانه [وتعالى][2] بعث الرسلَ لتبليغ الرسالة [والانتظار؛ أي انتظار الأنبياء][3] ما يحكم الله تعالى من نفسه [في][4] أمتهم، ولم يأمرهم بالقتال. وأُمِرَ نبيُّنا ﷺ بالقتال [بحكْمه][5] فيهم، فمن قَبِلَ منهم من الأمم سَعِدَ، ومن أبى عُوجِلَ [بالعقوبة][6]، فقال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه [فمنهم][7] من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾[8]. فَذَكَرَ الأممَ الخالية، ولم يأذن لأحد في القتال حتى [ابتعث][9] اللهُ محمداً ﷺ، فأذن له في القتال، فقال ﷺ: «أنا [نبيُّ][10] الحربَ والملحمة، أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأُلزِمُهم كلمةَ التقوى، وكانوا أحقَّ بها [وأهلَها][11]، وفَضَّلَهم باليقين»[12]، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أُعطيتْ أمةٌ من الأمم ما أُعطيتْ أمتي من اليقين، فبفضل اليقين قووا على مجاهدة أعداء الله، وفُضِّلوا بالمحبة»[13]. فبقوة المحبة بذلوا أنفسهم

(1) في ت: ذكر علة الخمس وعلته.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) مطموسة في: أ.
(4) مطموسة في: أ.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) في ت: بعقوبته.
(7) في ت: فمنهم هم.
(8) العنكبوت: 40.
(9) في ت: أبعث.
(10) مطموسة في: أ.
(11) غير موجودة في: أ.
(12) متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر وابن عمر، لكن بدون زيادة ما في صدر الحديث: «أنا نبي الحرب والملحمة» وما في عجزه: «وألزمهم كلمة التقوى... إلخ» انظر: *المغني*: الباب الثاني من "كتاب العلم": 1/ 29. وما ورد في حديث طويل في فتح مكة حين قال سعد بن عبادة: «يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة» فأجاب رسول الله ﷺ: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة» (انظر: "كتاب المغازي" من صحيح البخاري، والحديث برقم: 3944).
(13) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، ولكن نحوه حديث: «نجا أول هذه الأمة باليقين» أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (انظر: *المغني*: الباب الثاني من "كتاب ذكر الموت وما بعده": 4/ 482).

[إليه][14] حَميَّةً على أعـداء الله، وغَيْرَةً له، وكـان جـرى [لهم][15] في سابق علمه وقضائه في اَللوح المحفوظ إحلالُ الغنيمة لهم من بين سائر الأمم، كما جرى لهم فضلُ اليقين والمحبة. فلمَّا كان يومُ [بَدْر][16]، أخذوا [فداءَ الأسارى][17]، فعوتبوا على ذلك، َلأنهم [أَخذوه][18] من قبل أن يُحلَّها لهم، فأحب اللهُ تعالى أن يقبلوها من طريق المنَّة، لا من طريق عَمَل [نفـوسهـم][19]، فعاتبهم، [فقال][20]: ﴿لـولا كتاب من اللهَ سبق﴾[21] [الآية؛ أي سبق][22] في اللوح المحفوظ إحلالُها لكم. ثم قال: ﴿فكلوا مما غنمتم حَلالاً طيباً﴾[23]، فأحلَّها وطيَّبها. وإنما أحلَّ لمَا سبق لهم من الحُظُوظ بفضل اليقين والمحبة، وإنما طابت لهم، لأنها كَسْبُ [التوحَيد والنُّصْرَة وقالوا][24]: نصرةُ التوحيد بالمنة، ونَصرَهُمْ يومَ الحرب حتى قَتَلُوا [وغَنمُوا][25].

فأما بنو إسرائيلَ، فإنما أُذنَ لهم في القتال من أجل أن الأرضَ المقدسةَ كانتَ لآبائهم، ورثوها عن إبراهيمَ الخليَل صلوات الله عليه [وسلامه][26]، فَغَلَبتْ عليها الجبابرةُ، [وأُمروا][27] بالقتال، ليستَنقذوها [من][28] أيديهم. وكذلك كلُّ نبيٍّ قَاتَل [في][29] بني إسرائيل بأمّته، فإنما قاتل لِيَدْفَعَ عن حَرِيمه، أو ينْقِذَ أسارى من أيديهم. وكانت الجبابرةُ وملوكُ الأرض يقصدُون بيتَ المقدَسَ، فأبيح لهم القتالُ. وكانوا يقاتلون على [الدَّفع][30] عن حريمهم، ولم يُبْعثوا لقتالهم على قول: «لا إله إلا الله» كما بُعثَ محمدٌ ﷺ. وكانت غنائمُهم تُجازُ وتُجمَعُ لنار [تجيء][31] من السماء، فتأكلها. وذلك [أنهم][32] قاتلوا على الدفع والاستنقاذ، وهذه علاقةٌ. وهذه الأمَّةُ أُمرَتْ بالقتال لإقامة: «لا إله إلاالله»، وقال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ بعثني رحمةً، وإنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»[33]، ومعناه أن الله تعالى أهداني لهذه الأمة من بين الأمم، فقال

(14) في ت: له.
(15) غير موجودة في: ت.
(16) غير موجودة في: ت.
(17) في ت: فد الأسرى.
(18) في ت: أخذوها.
(19) في ت: أنفسهم.
(20) غير موجودة في: ت.
(21) الأنفال: 68.
(22) غير موجودة في: أ.
(23) الأنفال: 69.
(24) مطموسة في: أ.
(25) مطموسة في: أ.
(26) غير موجودة في: ت.
(27) في ت: فأمروا.
(28) مطموسة في: أ.
(29) في ت: من.
(30) مطموسة في: أ.
(31) في أ: يجيء.
(32) في ت: لأنهم.
(33) رواه بصيغة: «كان النبي ﷺ يناديهم: يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» الدارمي في «مقدمة» سننه برقم: 15.

الله تعالى أهداني لهذه الأمة من بين الأمم، فقال عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[34]. [وكانت][35] الأممُ تُعاجَلُ بالعقوبة إذا لم تَقْبَلْ. وهذه الأمة فُضِّلت باليقين، فَضَرَبَتْ بالسيوف حتى أدخلت أعداء الله في دين [الله][36]، [فقال][37] الحسن البصري: «لا تَسُبُّوا أهلَ بدر، فإن الناسَ أسلموا من خوف سيوفهم، وإن أهلَ بدر أسلموا من خوف الله [تعالى][38]». وكتب اللهُ [تعالى][39] الجهادَ على هذه الأمة، فقال تبارك اسمه: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[40]، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم [بنيان][41] مرصوص﴾[42]، وقال تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في [سبيل الله][43]﴾[44]. وإنما جاهدوا بفضل [يقينهم][45]، فجعل اللهُ [تعالى][46] أموالَ أعدائه و[ذرياتهم][47] مُلْكاً لهم، لأنهم جاهدوا في ذاته بلا علاقة حَميَّةً لله ونُصرةً [لكلمته][48] العليا، فطيَّب لهم الغنيمةَ، ثم جعل لنفسه فيها نصيباً، وَهُوَ الخمس. ثم أَعْلَمَ العبادَ أن هذا الذي اسْتُثْنِيَ نصيباً لنفسه من أجل مَنْ هُو؟ فقال: ﴿لله و[للرسول][49] ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[50]، لكي يُعْلم العبادَ خُصُوصيَّةَ [رسول الله][51] ﷺ و[قُرْباه][52] ويتامى أمَّته ومساكينها من بين خَلْقه، وعَطْفَهُ عليهم. وجَعَلَ في العبد أربعة أشياء تقوم الأمورُ بهنَّ وهي: روح، وذهن، وعقل، وعلم بالله [تعالى][53]. لا [تقوم][54] هذه الأربعةُ إلا بالحياة من الحيِّ القيوم. فهذه خمسةُ أشياء مُجَزَّأةٌ؛ فجزءُ الحياة لله، وأربعةُ [أجزاء][55] للعبد؛ وهي: روحه، وذهنه، وعقله، وعلمه بالله

---

(34) الأنبياء: 107.
(35) في ت: فكانت.
(36) غير موجودة في: ت.
(37) في ت: وقال.
(38) في ت: سبحانه.
(39) غير موجودة في: ت.
(40) الحج: 78.
(41) مطموسة في: أ.
(42) الصف: 4.
(43) في أ: سبيله.
(44) الصف: 10-11.
(45) في ت: يقينه.
(46) غير موجودة في: أ.
(47) غير موجودة في: أ.
(48) مطموسة في: أ.
(49) في أ: لرسوله.
(50) الأنفال: 41.
(51) في ت: رسوله.
(52) في ت: قربات.
(53) غير موجودة في: أ.
(54) في ت: يقوم.
(55) في ت: أخر.

تبارك وتعالى وهو: المعرفة، فقال: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾[56]، ثم أضاف نصيبَهُ إلى رسوله، وذوي القربى، واليتامى، والمساكين، [ليُعْلمَ][57] العباد أني إنما استثنيتُ هذا الجزءَ من أجل هؤلاء، ليعلموا أنهم [مَنِّيَ][58] على بال عظيم. والغنيمةُ كَسْبُ التوحيد، يقاتلون بتوحيدهم مَنْ لَمْ يُوَحِّدْ حَمِيَّةً وغَيْرَةً ونُصْرَةً [لكلمة الله][59] تعالى. [فعلى][60] هذا [أُسِّسَ][61] قتالُ الأعداء، وعليه مضى الصِّدِّيقون والصَّادقون، وإن كان من العامة تخليطٌ ومَيْلٌ إلى الغنيمة، فحسَابهُم على الله تعالى. [وهذا][62] [دَخيلٌ][63] لا يَنْقُضُ [عندي][64] [الأصْلَ][65].

(56) الأنفال، 41.
(57) في ت: يعلم.
(58) في ت: من.
(59) في ت: لكلمته.
(60) غير موجودة في: ت.
(61) في ت: سنن.
(62) غير موجودة في: أ.
(63) في أ: دخل.
(64) في ت: عن.
(65) في ت: شيء للأصل.

[ذكر][1] علة الحج

وأما علة الحج، فإن الله تعالى جعل للعباد مَعْلَماً [في أرضه][2]، ولقلوبهم مَظْهَراً يسيرون إليه [بقلوبهم][3] و[يسيرون][4] نحوه. فالمظهرُ: العرشُ، والمعلمُ: الكعبةُ. لما ارتفع بخارُ الماء فصار [سماءً][5]، ظهر فوقَ الماء بياضٌ كالقُبَّة، [فجَمَدَ][6]، [ثم مُدَّت][7] الأرضُ من تحتها. فالبياضُ مَعْلَمُهُ، وهو موضعُ البيت، فملَّكَ [الأرضَ شرقاً وغرباً][8] عبادَهُ، و[لم يُمَلِّكْ][9] ذلك الموضع [أحداً][10]. فهو عتيقُهُ؛ أعْتقه من أن [يَمْلكَهُ][11] أحدٌ سواه، فلذلك سمي البيتَ العتيق. ثم دعا العبادَ إلى أن يؤمنوا به قلباً، ويُسْلموا له نفساً فيما يأمرهم به، فأجابه المُوَحِّدون بمنّه ورحمته. ثم جعل لقلوبهم طريقًا إلى مظهره لينظروا بقلوبهم إلى عظمته وجلاله، [فيُعَظِّمُوهُ][12] [به][13]، ويُجِلُّوا أمرَهُ وشأنَهُ، وجعل لهم فجاجاً وسُبُلاً إلى معلمه، ليَحُجُّوا بيتَه، ويَحُطُّوا بهِ الأوزارَ والذنوبَ، [فيطوفوا][14] حوله، [و][15] [يَلُوذُوا][16] به. فإن ذلك البياضَ خَفِيَ عن أعين الخَلْق، وبقيَ هواء، فبَنَى على حَدِّ ذلك الهواء بنيانا يَعْرِفُه الخَلْقُ. [فهو][17] معلمٌ لمن قَصَدَ [إلى][18] الله [سبحانه و][19] تعالى بَدَناً، والعرشُ [مظهرٌ][20] لمن قصد إلى الله تبارك وتعالى

(1) مطموسة في: أ.
(2) مطموسة في: أ.
(3) غير موجودة في: أ.
(4) في أ: يشرون.
(5) في ت: سمياً.
(6) في أ: فجمدت.
(7) غير موجودة في: أ.
(8) في ت: شرقها وغربها.
(9) في ت: لو تملك.
(10) في ت: أحد.
(11) في ت: يملك.
(12) في أ: فيعظمونه.
(13) غير موجودة في: أ.
(14) في ت: ويطوفوا.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) في أ: يلوذون.
(17) في ت: وهو.
(18) غير موجودة في: ت.
(19) غير موجودة في: أ.
(20) في ت: مظهراً.

[قلبا](21). فجاءت شهواتُ النفس، فأظلمت [الصدورَ](22)، فحالت بين [عيني](23) الفؤاد، وبين [عين](24) السَير إليه والنظر إلى جلاله. و[تشبثت](25) النفسُ بهذا [الطَّلَل، فحالت](26) بينه وبين السير إليه ظلمةٌ. [ولا](27) يتخلص من النفس إلا [مَن](28) يجاهدها في الله حَقَّ جهاده، فوعد [المجاهدين](29) الهداية إلى سبيله، فقال: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(30). ففتح لهم السبيل [إليه](31) بعدما أدى حق المجاهدة وصَدَقَ اللهَ [تعالى](32) فيها، وقد بيَّنَّا شرح هذه المجاهدة في كتاب *صفة القلوب ومنازلها*. والذي ترك السير [إليه](33) متأخرٌ عن [مظهره](34)، [والذي ترك](35) السير إلى معلمه [منقطعٌ](36) من [رحمته](37). فدعا العباد إلى [إتيان](38) معلمه، ليُسْلِمُوا إليه أبدانَهم [بالعبودة](39)، ليتخذهم عبيداً، [ويغفرَ](40) لهم، وينيلَهم الكرامَات، و[يُنْجِحَ](41) لهم الحاجات. فأول مَنْ أجابه أبونا آدمُ [صلوات الله عليه وسلامه](42)، [ثم](43) لما ذهب رَسْمُ البيت زَمَنَ الغرق، ابتعث اللهُ تعالى خليلَه ﷺ، وأمره ببناء الرسم ليُعْلِمَ العبادَ موضعَه، و[أَمَرَهُ](44) أن يُؤَذِّن في الناس بالحج، [فأجابه](45) بالتَّلْبِيَة. فكلٌّ من أسْلَمَ واستطاع إليه سبيلاً، [أوجب](46) عليه أن يأتيَه ويُظْهِرَ إسْلاَمَه عند معلمه. والإسلامُ هو تسليمُ النفس إلى الله تعالى انقياداً وعبودةً، ولذلك قيل: «حَجَّةُ الإسلام». فإذا حَجَّ مرة بعد أخرى، فإنما [يجدد](47) في كل مرة تسليماً إلى الله تعالى، لأنه كلما أذنب؛ دخل [الخَلَلُ](48) في تسليمه إليه. فالعاكفون والطائفون

---

(21) في ت: قلنا.
(22) في ت: الصدر.
(23) في ت: عين.
(24) غير موجودة في: أ.
(25) في ت: تشنيت.
(26) في ت: القلب فجعلت.
(27) في ت: فلا.
(28) في ت: أن.
(29) في أ: للمجاهدين.
(30) العنكبوت، 69.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) في أ: منظره.
(35) مطموسة في: أ.
(36) في ت: ينقطع.
(37) في ت: رحمته الله.
(38) مطموسة في: أ.
(39) في أ: للعبودة.
(40) في ت: فيغفر.
(41) في ت: ينج.
(42) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(43) غير موجودة في: ت.
(44) في ت: أمرَ.
(45) في ت: فأجابوه.
(46) في ت: وجب،
(47) في ت: تجدَّد.
(48) في ت: الخلد.

حول بيته [بدناً][49]، والعاكفون حول مظهره قلباً، [والوالجون بيته نَدْباً][50]، والوالجون [مجالس][51] مُلْكه قلباً. فَدَلَّ العبادَ على تجديد الإسلام كلما أخْلَقَ بالذنوب، وانتقضتْ عراه. وأمَرَ خليلَه ﷺ بإظهار رَسْمه، ثم [أمره][52] أن يُؤَذِّن في الناس [بالحج][53]، ثم جرَت السُّنَّةُ. والسنةُ الصورةُ: صورةُ الإتيان واللَّوذَان. فجعل من دونه [ميقاتاً][54] من كَل ناحية، [إذا][55] [أتاه][56] لبّاه، فإذَا لبَّاه صار [مُحرماً][57]. وأُمر أن يَخْرُجَ من [زينَته][58]؛ وهو اللباسُ، لأنه قد قال: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[59]. فاللباس زينةُ [الإنسان][60]، مُخرجٌ من الزينة إلى ما لابد منه، وهو الإزارُ والرداءُ يستتر [بهما][61]. فإن كان [حَرٌّ أو بَرْدٌ][62]، [رُدَّ][63] في الاستتار من الحر والبرد، وأُمرَ بأن يجتنب [إلْفَهُ. والإلْفُ][64] كل [أنثى][65] من حُرَّة أو أَمَة، لأن النساء سكَنُ الرجال وإلْفُهم؛ هكذا خُلقْنَ. فأُمرَ بأن يفارق سكَنَهُ و[إلفَهُ][66] في المباشرة لينفرد [إلى الله تعالى][67]، [فيوحِّدَ مَنْ خَلَقَهُ][68] و[تفرَّدَ بمنه][69]، وأن يخرجَ من [زينة][70] اللباس، ليكونَ بين يديه كهيئة العبد الأسير الذي لا يدري ما يُعْمَلُ به، [و][71] يريد أن يتقدم إلى مولاه ليتخذَه عبداً. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «إن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني رسولاً»[72]؟! والاتخاذُ هو الافتعال، مأخوذ من "الأخذ"؛ أي [يَأخُذُهُ][73]. فإذا أخذه أقبل عليه بالعطف وأسباب السعادة، ولبّى من الميقات إجابةً لدعوته، ولا يؤدّى روحانياً إلا بحق، لأنه في تلبية مولاه، [قد دعاه][74]

(49) في ت: ندبا.
(50) غير موجودة في: أ.
(51) في ت: لمجالس.
(52) في ت: أمر.
(53) غير موجودة في: ت.
(54) مطموسة في: أ.
(55) غير موجودة في: ت.
(56) في أ: أتى.
(57) غير موجودة في: ت.
(58) غير موجودة في: أ.
(59) الأعراف: 31.
(60) في ت: الإنس.
(61) في أ: بها.
(62) في أ: حرآ أو برآ.
(63) غير موجودة في: أ.
(64) في ت: أليفه والأليف.
(65) في ت: من أنثى.
(66) في ت: أليفه.
(67) غير موجودة في: أ.
(68) في أ: الذي توجد لخلقه.
(69) في ت: ينفرد من يمينه.
(70) في أ: زينته.
(71) غير موجودة في: ت.
(72) لم أقف عليه.
(73) في أ: يأخذ.
(74) في أ: فدعا.

فأجابه حتى [تنتهي][75] الدعوةُ منتهاها. فَسُميتْ هذه الحالُ منه: "إحراما"، لأنه [أحرم] [76] عن كلِّ ظلم و[أذىً] [77] بغير حَق، و[عن][78] الزينة والأليف. فأُمِرَ أن يأتي مكاناً خارجاً من الحرم تجاه البيت، فيقف به [متنصِّلاً][79] معتذراً، يُسْلَمُ [بدنه][80] إليه طاعةً وعبودةً، [معترفًا][81] إليه بذلك في ذلك المكان، فسُميت "عرفات". فهو يقف موقف الاعتذار [مُستَأذناً][82] له في إتيان معلمه و[اللوذان][83] به، حتى إذا غَرَبَت الشمس، وجبَ الإذن، فأفاض. والإفاضة [سرعة][84] القلب و[إنصابُه كفيضَ][85] الماء قاصداً لمعلمه. [فحبستْه][86] مظالم العباد، لأنه اعتذر إلى الله [سبحانه و][87] تعالى في هذا المقام، [فَقَبِلَ][88] عُذره، وغفر له، وبقيت تبعات العباد، فمضى حتى بلغ المشعر [الحرام][89]؛ وهو المزدلفة. وسُميت "مزدلفة" لأنه ازدلف إلى ربه زلفةً، والزُّلْفَة: القطعةُ، أي [تقرَّب][90] إليه قطعة من المسافة التي كانت بينه وبين معلمه، و[معنى "المشعر"][91]: شعورُ القلب بربه في هذا المكان الذي وقف به ثانيا إلى طلوع الفجر، فاعتذر وتضرَّع ورَفَعَ إليه فقرهُ وقلة [حيلَته][92] في شأن التَّبعات، فغفرها له؛ على أن يرضى عنه أهل التبعات. فتلك مغفرَةٌ أعم من الأولى، فمضى على إذنه بالأمس، وإنما حبسه تبعات العباد ها هنا حتى احتاج إلى وقفة ثانية [بمعلمه][93] يوم النحر. فلما تخلص من الذنوب، ومن تبعات الناس، تخلص من الأدناس، وأسرع في إتيان [معلمه][94]. فلما أتى المضيق، وجد العدو [و][95] قدْ سَدَّ عليه الطريق حسداً وغيرةً، فأمر أن يرْميه [ليَخْسَأ][96]. ففي كل حصاة يرمي ويُكَبِّرُ يخسأ

(75) في أ: ينتهي.
(76) في ت: إحراماً.
(77) في ت: أدنى.
(78) في أ: عند.
(79) في ت: منتصلا.
(80) في ت: بيديه.
(81) في ت: متعرفا.
(82) في ت: مستأدباً.
(83) في أ: للودان.
(84) في ت: شرعة.
(85) في ت: السِّيانة كومض.
(86) في ت: فحبسه.
(87) غير موجودة في: أ.
(88) في ت: فقيل.
(89) غير موجودة في: أ.
(90) في ت: تبلغ.
(91) مطموسة في: أ.
(92) مطموسة في: أ.
(93) غير موجودة في: أ.
(94) غير موجودة في: ت.
(95) غير موجودة في: ت.
(96) في ت: لينخسا.

أرضاً أرضاً حتى يبلغ به سبعُ تكبيرات وسبع حصيات الأرضَ السابعةَ؛ فلم يبق في الطريق إلى معلمه مانعٌ، وإلى هذا الموضع كان ممنوعاً من معلمه مرة بالذنوب، ومرة بالتبعات، ومرة بالعدو. فإلى هذا الموضع أمر بالتلبية. فلما رمى، قطع التلبية، لأنه لم يبق مانع. وها هنا كان رسول الله ﷺ يقطع التلبية في أول حصاة يرميها(97)، لأن العبد قد أذن له، وقد ذهبت العلل والموانع، فقيل له: «ضع [عنك](98) هذا [الشَّيْنَ](99) [و](100) الدَّرَنَ والدنس، وتطهَّرْ، و[خُذ](101) الزينةَ؛ أي [اللباس](102)، و[ائت](103) معلمَ ربك، و[لُذْ به](104)، وَحجه». فيأخذ من أظفاره، ويحلق رأسهَ، ويلبس ثيابه. [فقيل](105) له: «طُفْ بالبيت [أسبوعاً واحداً]». فكذلك لا يُستَحبُّ أن يطوف بالبيت](106) زيادةً على أسبوع واحد. وذلك طواف الزيادة، و[الزيادةُ](107) الميلُ إلى الله [تعالى](108) وإلى معلمه. فقد تم حَجَّهُ، ثم أُمرَ أن يأتي منىً لحال الذِّكْر، فيقيم [بها](109) ثلاثاً، ويرمي الجمرات غيظاً للعدوّ. وإن وَجَدَ قُرْباناً فَقَرَبَهُ، كان أفضلَ، وإن لم يجد فليس عليه شيءٌ، ومن ها هنا قال علماء السلف رضي الله عنهم: «إذا لم يقف بعرفات، فقد فاته الحجُّ» لأنه قد فاته الإذنُ. وإذا وقف بعرفة، ولم يَطُفْ طواف الزيادة لم يَفُتْهُ الحجُّ. ولو أتى البيت بعد سنين كثيرة، فطاف طواف الزيادة، أتمَّ حجه، وعليه بَدَنَةٌ لتأخُّره ذلك. ومن طاف، فقد [أجزأته](110) حَجَّتُهُ.

---

(97) رواه الترمذي في "كتاب الحج" من سننه برقم 841، والنسائي في "كتاب مناسك الحج" من سننه برقم 3030، وابن ماجة في "كتاب المناسك" من سننه برقم 3031، وأحمد في "كتاب مسند المكثرين من الصحابة" من مسنده برقم 3765.

(98) في ت: عند.

(99) في ت: المشعر.

(100) غير موجودة في: ت.

(101) في ت: جدد.

(102) في ت: إلياس.

(103) في ت: أنت.

(104) في ت: لديه.

(105) في ت: وقبل.

(106) غير موجودة في: أ.

(107) في أ: الزيارة.

(108) غير موجودة في: أ.

(109) في ت: به.

(110) في أ: أجزته.

ذكر علة الاستلام

[و][1] علة [استلام الحجر][2]، [فإن][3] الميثاقَ في الحَجَر، وذلك أن اللهَ سبحانه، لما أخرج الذريةَ من ظهر آدم عليه السلام، بعث هذا الحَجَر من الفردوس -[فيما][4] روي في الخبر[5]- فوضعه بينه وبين خَلْقه حتى [بايعوه][6] على العبودة، وأخذ عليهم الميثاق، ثم جعله في هذا الحجر. فأُمِرَ [بإتيانه][7] ليُجَدِّدَ بيعتَهُ باستلامه بيده كما بايع يومئذ [أبوه][8] [نوحٌ وذريتُه][9].

(1) غير موجودة في: ت.
(2) في «أ» و«ت»: الاستلام الحجر.
(3) في ت: قال.
(4) في ت: مما.
(5) نحوه حديث: «إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة» أخرجه الترمذي، وصححه النسائي من حديث ابن عباس (انظر: *المغني*: الفصل الأول من "كتاب أسرار الحج": 1/288).
(6) في ت: يبايعوه.
(7) في ت: بإبنائه.
(8) غير موجودة في: أ.
(9) في "أ": روحا وذرية، وفي "ت": نوحًا.

ذكر علة الأضحية

[و][1] أما علة الأضحية، فإنه لما [جَنَى][2] العبد على نفسه وأَذْنَبَ، فكأنه [أحلّ][3] القتلَ بنفسه، فأمر بالفداء، كما أمر اللهُ تعالى خليلَهُ [عليه الصلاة والسلام][4] بذَبْح ابنه، ثم فَدَاه بكبش ونجاه من القتل. وهذه ملَّةُ خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه [وسلامه][5]، [مَنَّ][6] بها [علينا][7]. فَلما أذنب العبد، استوجب النار؛ وهو القتل الأعظم؛ فأمر بفداء نفسه. [فلذلك][8] قال رسول الله ﷺ: «يغفر [الله][9] له ذنوبه [كلها][10] عند أول قطرة من [دم][11] أُضْحيَّته»[12].

وإنما سميت أضحيةً لتضحية العبد [إلى ربه][13]، لأنه إذا خرج من ذنوبه بالمَغفرة، فقد أضحى كالشمس إذا أضحى نورها. فهذا من العبد [فعلٌ لتضحية][14]، أضحى قلبُه بنوره. وروي عن رسول الله ﷺ أن جبريل [عليه][15] [السلام][16] أتاه فقال: «لقد استبشر أهلُ السماء لذبحهم، ولو علم الله [تعالى][17] أن دما أو ذبحا [أعظم وأفضل][18] من ذبح إبراهيم [الخليل][19] [عليه السلام][20] [لأعْطَاكَهُ][21]»[22].

وإنما وقع السرورُ في أهل السماء لمَا رأوا في أمة محمد ﷺ من عموم الرحمة والكرامة بذلك. وقال: «يا فاطمةُ قُومي إلى أضحيتك، فاشهدي ذَبْحَهَا، فإنه يُغْفَرُ

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) في أ: أحد.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) في ت: مر.
(7) في ت: عليه.
(8) في ت: فذلك.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) غير موجودة في: ت.
(12) لم أقف عليه.
(13) في ت: إليّ.
(14) في ت: فكذا الأضحية.
(15) غير موجودة في: أ.
(16) غير موجودة في: «أ» و«ت».
(17) غير موجودة في: أ.
(18) في أ: أفضل وأعظم وأفضل.
(19) غير موجودة في: ت.
(20) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(21) في ت: لأعطاك هذه.
(22) لم أقف عليه.

لك [عند][23] أول قطرة [من دمها][24] [كلُّ][25] ذنب عملْته»[26]. فالمغفور له ينال القربة، فإذا قرب احتظى من النور، و[إذا][27] استنارَ قَلبُه من [نور][28] القربة، [أضحى][29] ذلك النور على النفس، فماتت الشهوات و[الشرور][30] من تلك النفس بما [يَحظَى][31] من نور القربة عليها، فقيل: «ضَحَّى العبد، وهذه أُضْحِيَته» لأن ذلك الذي نال، إنما حدث في تضحية العبد [بـ][32] بروزه الضحى؛ أَيّ [برز][33]، أضحى نورُها، [برز وظهر بضَحيَّة][34]، يضحِّي قلبُه بنوره؛ أي [تُطَهِّرُ تَطْهيرًا][35] قلبه [ببروزه][36]. وفي الحَديثَ: «[ضَحِّ][37] لمن أحرمت له»؛ أي أبرزَ للشمس. [قال الله تعالى: ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾[38] معه؛ أي لا تتأذى بحرّ الشمس][39] من هذا الفعل الذي فعله. وقد [يُسَمَّى][40] الشيء باسم الشيء يُنْسَبُ إليه، كما سُمِّيت العقيقةُ؛ وهي الشَّعر الذي يولد الصبيُّ معه، [فَنُسبَتْ ذبيحتُهُ][41] إلى ذلكَ [الشعر][42]، [فقيل][43]: «عقيقة» لأنه يُحلق ويُذبَح عنه.

---

(23) غير موجودة في: ت.
(24) مطموسة في: أ.
(25) في أ: بكل.
(26) لم أقف عليه.
(27) غير موجودة في: أ.
(28) مطموسة في: أ.
(29) في ت: أحضى.
(30) في ت: السرور.
(31) في أ: يضحي.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) في ت: بروز.
(34) في أ: بروز ظهر تضحية.
(35) في أ: يظاهر تظهر
(36) في ت: لبروزه.
(37) في «أ»: يضحح، وفي «ت»: أضح.
(38) طه: 119.
(39) غير موجودة في: أ.
(40) في ت: سمى.
(41) في ت: فشبهت ذبيحة.
(42) غير موجودة في: أ.
(43) في ت: وقيل.

ذكر علة الربا

وأما علة الربا، فإن اللهَ حرَّم أكلَ مال المؤمن، وسفكَ دمه، وتناولَ عرْضه، لأن المالَ قوَامُ المرء، و[فيه][1] مَعَاشُهُ، فقال [الله][2] تعالى: ﴿لا تاكلوا أموَالَكم بينكم بالبَاطل﴾، ثم قال: ﴿إلا أن تكون [تجارة][3]﴾؛ أي [متعةوأجرة][4]، ثم قال: ﴿عن تراض منكم﴾[5]. فإذا أعطاه درهماً، وأخذ منه درهمين، [فالدرهم][6] بالدرهم، والفضلُ قد أخذه بالباطل بلا منفعة، [فَأَجْمَلَت][7] [الآيةُ][8] تحريم الربا، و[فَسَّرتْهُ][9] السنة، فقال: "البر بالبر والفضل ربا، والشَّعير بالشعير والفضل ربا، والذهب بالذهب والفضل ربا، والفضة بالفضة والفضل ربا"[10]. فذكر في الخبر أنواع الأشياء، إلا أن هذه الأنواع ترجع إلى ضربين: ضرب يُكَال، وضرب يوزَن. [فكلاهما يكال ويوزن][11]، وكل ما يكال ويوزن فالنوع [منه][12] [بنوعه][13]: «مثل بمثل، يد بيد، والفضل ربا». وإن [كان][14] نسيئة فهو ربا، وإن كان مثلا بمثل. وإذا اختلف النوعان، فالمثل [بالمثلين][15] جائز، والنسيئة ربا، [لأنه][16] لو اشترى قفيزين من برٍّ بقَفيز من بر، وكان كل واحد منهما مساوياً لصاحبه، وكان أحدهما أجود من الآخَر بَعدَ أن يكونوا في الكيل سواء. [فإذا اشترى قفيزا من برّ بقفيزين من بر][17]، كان [قفيزٌ][18] بقفيز؛ والقفيزُ [الفضلُ][19] صارَ في [يده][20] بلا

---

(1) في ت: به.
(2) غير موجودة في: أ.
(3) في ت: عن تراض منكم.
(4) في ت: منفعة واحدة.
(5) النساء: 28.
(6) في ت: بالدرهم.
(7) مطموسة في: أ.
(8) في ت: لأنه.
(9) في ت: فسّر به.
(10) رواه الجماعة وأحمد ومالك والدارمي.
(11) غير موجودة في: أ.
(12) غير موجودة في: أ.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) في ت: كانت.
(15) في أ: بالمثل.
(16) غير واضحة في: أ.
(17) غير موجودة في: ت.
(18) في أ: قفيزاً.
(19) غير واضحة في: أ.
(20) في ت: يديه.

ثمن. وهذا كله باطل؛ وهو ربا، لأن الربا: ما ربّا على صاحبه. وإذا [اختلف][21] النوعان، فكان قفيزٌ من بر بقفيزين من شعير، كان فضلُ هذا الشعير بفضل جودة البر، فليس ها هنا [يساوي][22] كالنوع الواحد، [بل][23] هو تفاوتُ [فضل][24]، هذا في الكيل [كفضل هذا في حُسْنه][25]. وهذا كله إذا كان يداً بيد، فأما إذا كان نسيئةً، فلا يجوز في نوع واحد إلا فَيما اختلف النوعان، لأن النسيئةَ إنما تقع على شيء [موصوف][26] بأجل. فلو باع أحدهما بالآخر بالأجل، صار كزيادة بزيادتين، فإذا كان الشيء مما يكال ويوزن من نوع واحد [أو][27] نوعين [مختلفين][28] وليس بنسيئة، إلا أنهما تفرقا قبل التَّقابُض، فهو جائز إلا الدراهم والدنانير وتبر الذهب والفضة، [لأن هذه الأشياء أعيانُها قائمةٌ، والبيع واقعٌ على تلك الأعيان، فلا يضرُّ تفريقُهما. والذهبُ والفضةُ][29] أثمانٌ للأشياء، فلو تبايعا بهما لم يقَع على عينه، ألا ترى أنه [لو][30] باع ثوبا بدراهم [بعَيْنِهَا][31]، كان له أن يعطيه غيرها، ولو باعه [بشيء][32] من العُروض [لم يكن له أن يَعطيه بكيله أو وزنه غيره، لأنه وقع على عينه؟! وإذا باع شيئاً بذهب أو فضة لم يحتج إلى صفة، فإذا باع بشيء من العروض احتاج][33] إلى الصفة [إلا أن يكون بعينه][34]. و[إذا][35] تبايعا الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، ثم تفرقا، قبل [التقابض][36]، بطل البيع، لقوله ﷺ: «الذهب [بالذهب][37] ربا إلاَّ هَاء وهَاء، والفضة بالفضة ربا إلا هاء وهاء، وإن استنظرك حتى يلِجَ بيتَه، فلا تُنْظِرْهُ، ولا يُبَاعُ منها غائبٌ بناجز»[38]. وهذا من أجل أنه لا يقع

(21) في ت: اختلفت.
(22) في ت: تساوي.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) في ت: يفضل.
(25) في ت: يفضل دال في جنسه.
(26) في ت: موقوف.
(27) في ت: و.
(28) في ت: أو مختلفين.
(29) غير موجودة في: أ.
(30) في ت: إذا.
(31) مطموسة في: أ.
(32) في ت: شيء.
(33) غير موجودة في: ت.
(34) غير موجودة في: ت.
(35) في ت: إن.
(36) في ت: القبض.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) رواه البخاري في "كتاب البيوع" من صحيحه، ومسلم في "كتاب المساقاة" من صحيحه، وأبو داود والترمذي والنسائي كلهم في "كتاب البيوع" من سننهم، وابن ماجة في "كتاب التجارات" من سننه، وأحمد في "كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة" من مسنده، ومالك في *موطئه* والدارمي في سننه كلاهما في "كتاب البيوع".

على عـينه، [ولو أنه][39] يعطيه غـيـرَه. [ألا ترى][40] أنه [لو باع ثوبا بعـينه][41] بثوبين، وافترقا [على][42] غير تقابض، لم يَبْطلُ البيع، لأنه قد وقع على عينه. فلو أبيح لنا أن [نبيع][43] الشيء مما يكال و[يوزنَ][44] بمثليه من جنسه، أو [بمثليه][45] نسيئة، لكان الرجل إذا باع قفيزاً من برّ بقفيزين من بر، لكان يرجع إليه قفيزه الذي أعطاه، وقفيزاً بلا عوض، فقد صار [أكلا][46] لماله بالباطل، [فكذلك][47] ما كيل وَوُزنَ. فالواحد بمثله، والزيادة ربا. و[إذا][48] باع قفيزاً من برّ بقفيز من برّ بنسيئة، فلو جاز هذا، لكان الثاني قد يُنْجزُ قفيزه، والأول يحتاج إلى تَربُّص [المضي][49] المدة، ثم يأخذ قفيزاً مثل ما أعَطى. [فتلك][50] المنفعة التي شرطها الثاني [لنفسه][51] في التأخير ربا، و[ليست][52] ها هنا تجارةً، لأن التجارة في اللغة: «ما تَاجَرَاهُ وكان لهما فيه أجرة». وكذلك القرض؛ لو اقترضه وأجله، [لكان][53] الأجلُ باطلاً لأنه يَرُدُّ عليه [مثله][54]، ويقع الأجل لأحدهما، فقد شرط له نفع زيادة سوى رأس المال. وإذا أقرض ولم [يشترط][55] أجلا، فهو جائز. وإنما الربا في هاذين الشيئين [أن][56] يأخذ شيئاً ليعطيه مثله إلى أجل، فيكون الأجل يقوم [مقام الزيادة][57]. و[أما][58] إذا [اختلفت][59] أجناسهُ، فقد [أبيح له أن يبيع][60] قفيزاً من بر بقفيزين من شعير. وهذه الآن تجارةٌ، لأن [الزيادة التي في الشعير][61] كيلاً بالزيادة التي في البر ثَمنًا. فتلك الزيادةُ بهذه [الزيادة][62]، إذا كان يداً بيد. وإذا كان نسيئةً صار ربًا، لأنه صيَّر [إحدى][63] [الزيادتين][64]

(39) مطموسة في: أ.
(40) مطموسة في: أ.
(41) مطموسة في: أ.
(42) في ت: عن.
(43) في أ: بيع.
(44) مطموسة في: أ.
(45) في ت: بمثله.
(46) في ت: كلا.
(47) في ت: وكذلك.
(48) في ت: لو.
(49) في ت: يمضي.
(50) في ت: فذلك.
(51) غير موجودة في: ت.
(52) في ت: ليس.
(53) في ت: كان.
(54) في ت: بمثله.
(55) في أ: يشرط.
(56) غير موجودة في: ت.
(57) مطموسة في: أ.
(58) في ت: إنما.
(59) مطموسة في: ت.
(60) مطموسة في: أ.
(61) مطموسة في: أ.
(62) مطموسة في: أ.
(63) في أ: أحد.
(64) مطموسة في: أ.

[بالأخرى][65]، ولصاحب النسيئة فضل [الزيادة الأخرى][66] بالتأجيل، فصارت زيادتان بزيادة، فهذا في [كل][67] مكيل وموزون. فأما فيما يباع عدداً، مثل: الجوز، والبيض، والبطيخ، فلا بأس أن يبَاع [الواحد][68] بمثله وزيادة، لأن المكيل والموزون [هما][69] شيءٌ مستوٍ [لا تفاوت فيه][70]، لتسوية مقدار الكيل والوزن]. [وإن تفاوتَ ذلك الشيءُ في نفسه، أو استوى مقدارُه، فقدضمَّهُ الكيل والوزن][71]، [فاستوى مقداره، فقدر على إعطاء المثل بالمثل، وما خرج من الكيل والوزن][72]، [و][73] ما يباع [عدد فيه][74] تفاوت. فرب جوزة تعدل جوزتين، وبطيخة تعدل [بطيختين][75]. فالواحد بالاثنين جائز لما في هذا من الكِبَر بما في ذلك من العدد. وهذه تجارةٌ تحْدثُ لكل واحد منهما منفعةً في زيادة هذا [وَفي زيادة][76] [كبره][77]، وذاك في زيادةَ [عدده][78]. والذي [ضمَّه][79] الكيل والوزن، فإنما هوَ مثَل بمثل؛ كيل بكيل؛ وزن بوزن، وما فضل لأحدهما من الكيل فهو ربا. وذلك [بـ][80]أن يبيع بطيخة [باثنتين][81] نسيئة، لأن [الزيادة][82] من العدد بزيادة فضل [الأخرى][83] في نفسها، وزيادة أجل، فصار كما ذكرنا بدياً: زيادة بزيادتين. وإذا اختلف النوعان مما يباع عدداً، وهو أن يبيع بطيخة بعشرين بيضة نسيئة، فلا بأس بذلك، لأن النوعين والجنسين قد اختلفا وتفاوتا؛ فهو تجارة، وقد خرج من [اثنين][84] زيادة على الأخرى. وأما الحيوان، فالواحد بالاثنين يدا بيد جائز، وإن كان نسيئة لم يجز، لأنه لا [يُوقَف][85] على حدّه بالصفة. وإن وصف، فلا يعرف [سمكه][86] ولا مقدارُ لحمه، ولا يُدرى ما الذي يؤخذ به إذا [اختلف][87].

---

(65) في ت: للأخرى.
(66) في ت: زيادة أخرى.
(67) في ت: كيل.
(68) مطموسة في: ت.
(69) في أ: وهو.
(70) مطموسة في: أ.
(71) غير موجودة في: أ.
(72) غير موجودة في: ت.
(73) غير موجودة في: أ.
(74) مطموسة في: أ.
(75) في أ: اثنين.
(76) غير موجودة في: ت.
(77) في ت: كبيرة.
(78) في ت: عدد.
(79) في ت: فيه.
(80) غير موجودة في: أ.
(81) في ت: باثنين.
(82) غير موجودة في: ت.
(83) في ت: الآخر.
(84) في أ: أن نتيين.
(85) في ت: يوافق.
(86) في أ: سمكه.
(87) مطموسة في: أ.

ذكر علة النهي عن بيع الطعام حتى يكال

وأما علة النهي عن بيع الطعام حتى يكال أو يقبض، فمن أجل أن الكيل يزداد وينقص. فربما كان مائة قفيز، فإذا [أعاد][1] الكيل مرة أخرى انتقص قفيز، وربما ازداد قفيز. [وقد][2] وسع الله تعالى ذلك، فقال عز وجل: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾[3]، ثم قال: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[4]. فإذا اشترى مائة قفيز طعاما واكتاله، ثم أراد [أن يبيعه][5] كيلا ولم يكله، يريد أن يكتفي بالكيل الأول لم [يسعه][6] ذلك، لأنه [باع][7] مكيلا. فربما زاد في هذا الكيل، فتكون الزيادة غير مبيعة.

---

(1) في أ: عاد.
(2) في ت: فقد.
(3) الاسراء: 35.
(4) البقرة: 286.
(5) غير موجودة في: ت.
(6)مطموسة في: أ.
(7) في ت: تباع.

ذكر [علة](1) الميراث

و[أما](2) علة الميراث، فإن اللهَ [تعالى](3) جعل هذا المال [قوام المعاش للخلق](4)، فإذا مات أحدهم خَلَفَهُ في ذلك المال آخرُ. وكان أهل الجاهلية أهل عداوة وحرب، يُغَيِّرَ بعضُهم على بعض، [فكان](5) الميتُ إذا مات وَرِثَهُ الرجال دون النساء والصِّبيانَ. وإنما يرثه كبير العشيرة وحَاميَتُهُمْ وخَاصتَّهُمْ؛ يقول: «نحن [نحارب](6) و[نحن](7) [نعول](8)، فما للسفهاء والمال؟». [فكان](9) يدفع المال إلى أكبر ولده، فإن لم يكن له ولد، فإلى أخيه أو عمه أو كبير قومه ممن [يَقُودُهُمْ](10) للحرب ويسودُهم في أمرهم؛ يعولُهُمْ في معاشهم، حتى نزلت: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾(11). فَلَبثَ رسول الله ﷺ ينتظر [كَمَّ](12) هذا النصيب، فنزلت آياتُ المواريث، لكل صَنَف منهم قسمٌ: آية في شأن الأولاد والأبوين، وآية في شأن الزوجين، وآية في شأن الكَلاَلَةَ، وآية في الإخوة والأخوات، وآية في أولي الأرحام(13). فهولاء أهلُ الفرائض الذين لهم ذكْرٌ [في

(1) غير موجودة في: ت.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في أ: أقواما لمعاش الخلق.
(5) في ت: وكان.
(6) في ت: نحاربه.
(7) غير موجودة في: ت.
(8) في ت: نحول ونقول.
(9) في ت: وكان.
(10) في ت: يقف لهم.
(11) النساء: 7.
(12) غير موجودة في: ت.

(13) هناك أحاديث عدة في سبب نزول آيات المواريث، كلها تصب في المعنى الذي ذكره الحكيم الترمذي، لكن بألفاظ مختلفة، منها ما رواه أبو الشيخ وابن حبان في كتاب *الفرائض* من طريق الكلبي عن ابن عباس، ومنها ما أخرجه الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله، ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر، ومنها ما أخرجه ابن جرير عن السدي، ومنها ما أخرجه القاضي إسماعيل في *احكام القرآن* من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم. (انظر النصوص المسوقة بهذه الطرق في كتاب *لباب النقول في أسباب النزول* للإمام السيوطي: 178-182).

الكتاب][14]، ونصيبٌ مفروضٌ. فإذا مات أحدُهم وترك مالاً قَسَمَ بين المذكورين في التنزيل على ما فرض الله تعالى، وما بقي [بعد دَفْعِ][15] السهام عاد إلى الأصل الذي كان، فيُعطي من كان يُعْطى قبل نزول الفرائض، وهو أقربهم إلى الميت رَحمًا، وأن يكون [ذكَراً][16]، و[أن][17] يكون من قبَل [الأب، لأنه][18] حَاميتُه وأهلُ [بيته ونسبُه، وهم][19] الذين كانوا يلون الأمرَ في الجاهلية، [فلما نزلت المواريثُ بسهامهم، أعطي أهلُ المواريث سهامَهم، وما بقي عاد إلى الأصل][20]، [وأعطي][21] بالعُصوبة. [وإنما قيل: عُصُوبة][22] لأنه من قبل الأب، ولا [يكون عُصوبة][23] من قبل الأمّ، لأنَّ الولد قد اشترك فيه الأبوان. فما كان من عَظْم [أو][24] عرْقٌ وعصب، فهو من ماء الأب، وما كان من لحم [أو][25] جلْد [أو][26] شعر، فهوَ من ماء الأم. [فالعظم والعصب][27] والعروق][28] هو أصَلُ الجَسَد، والدمُ واللحمُ والجلْدُ ينقصُ ويزدادُ. وعن زيد بن أسد رحمه الله قال: «جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ [يسأل][29] عن الولد؛ ما [ماءٌ][30] هو من الرجل؟ وما [ماءٌ][31] هو من المرأة؟ فقال: ما كان من عظم أو عصب أو عرق فهو من الرجل، وما كان من شعر أو لحم [أو دم][32] أو جلد فهو من المرأة»[33]، وعن ابن مسعود [رضي الله عنه][34] عن رسول الله ﷺ بمثله. وهذا سبيل العَصَبَة؛ [النظَرُ][35] إلى ما بقي بعد رفع السهام المفروضة، لكل ذي فرض فريضته. فيُعطى البقية

---

(14) مطموسة في: أ.
(15) في ت: بعدد ففي.
(16) في "أ": ذاكراً، وانضافت في "أ" العبارة التالية: "كما نزلت المواريث سهامهم أعطى أهل المواريث سهامهم وما بقي عاد إلى الأصل".
(17) في أ: لن.
(18) في أ: إجلالته حاميته.
(19) مطموسة في: أ.
(20) غير موجودة في: أ.
(21) في ت: فأعطي.
(22) مطموسة في: أ.
(23) في أ: تكون عصبة.
(24) في ت: و.
(25) في ت: و.
(26) في ت: و.
(27) غير موجودة في: ت.
(28) في ت: العرق.
(29) في ت: فسأل.
(30) غير موجودة في: ت.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) لم أقف عليه، ولكن يقرب معناه من جزء من حديث طويل عن يهودي جاء يسأل رسول الله ﷺ عن الولد، فأجابه رسول الله: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعَلاَ منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكَرَا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنَثَا بإذن الله» فقال اليهودي: «لقد صدقت وإنك لنبي» رواه مسلم في "كتاب الحيض" من صحيحه برقم 473.
(34) غير موجودة في: أ.
(35) في ت: النصر.

[أقربُهم](36) رحمًا من قبل الأب. فالمواريث بين أهلها على حقوق القرابة بالإيمان بالله اتصلوا، ثم اشتبكت أرحامهم. فكل واحد إنما يأخذ [بحقه](37) وصلته بالله، ثم [بوَصْله](38) رحمه. فإذا كان أحدُهما كافراً، فقد قطع [الكفرُ بَيْنَ](39) الفريقين قطعاً لا اتصالَ له، لأن أهلَ عداوة الله قَطَعَهُمُ اللهُ [بكفرهم](40)، فَبَطَلَتْ حظوظُهم منه. [وأهلُ ولاية الله اتصلوا به، فَبَقَوْا معه أبدا، ووفرت حظوظهم منه](41). فإذا مات أحدهما، فليس للآخر [في ماله](42) حقٌّ، لأنه [أَبْعَدُ](43) من [الأجنبيين](44)، كما لو أن أجنبيا ماتَ لم يَرِثْهُ. فهذا أجنبيٌّ [حيث](45) جانب الإيمانَ، فصار أجنبيا [أَجْنَبَ](46) من كلِّ أجنبيَ.

---

(36) في ت: أقرب لهم.

(37) في ت: بحق.

(38) في ت: يوصله.

(39) في ت: والكفر من.

(40) غير موجودة في: ت.

(41) غير موجودة في: ت.

(42) في ت: فيما له.

(43) في ت: أنفذ.

(44) في أ: الأجنبين.

(45) غير موجودة في: ت.

(46) في ت: شرا.

ذكر علة القاتل أنه لا يرث

و[أما][1] علة القاتل أنه لا يرث، فمن أجل أنه كان يرث بالرَّحم، فإذا أزْهَقَ نفسَه بالقتل، فقد قطع رَحمَه بغاية القطْع، وأبطل تلك الحقوقَ، وإنما جعل اللهُ [تعالى][2] المواريثَ بين أهلها، [لاتِّصالهم][3] به، وتمسُّكهم بالعروة الوُثقى، وأعطاهم الحظوظَ على قدر قراباتهم منه، والنفع والحرمة التي وضعها بينهم بحكمته ومحمود تدبيره، ألا ترى أنه ﷺ خَطَبَهُمْ في حجة الوَداع، فقال: «إن الله تعالى أعطى كلَّ ذي حقّ حقَّه فلا وصية لوارث»[4]؟! [يُعلمك][5] في قوله هذا أنه قَدَّر للمستوجبين الحقوق [من][6] ماله مقادير معلومةً، لكل منهم ما [يستحق][7] بقرابته [بحكمَته][8]، من حيث خفي على العباد تلك الحكمةُ، إلا من [آتاه][9] [اللهُ][10] تلك الحكمةَ من أهل ولايته، [فقد][11] قال [الله][12] عز وجل: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾[13].

---

(1) غير موجودة في: ت.

(2) غير موجودة في: ت.

(3) في أ: لاتصالها.

(4) رواه أصحاب *السنن* إلا أبا داود، وصححه الترمذي، كما أخرجه الدارقطني والبيهقي (انظر: *نيل الأوطار*: 6/ 39- 40).

(5) في ت: بعلمك.

(6) في ت: في.

(7) في أ: يلتحق

(8) في ت: لحكمة.

(9) في ت: أيده.

(10) غير موجودة في: ت.

(11) في ت: وقد.

(12) غير موجودة في: أ.

(13) البقرة: 269.

ذكر علة الأنبياء [صلوات الله وسلامه عليهم][1] أنهم لا يرثون

[و][2] أما علة الأنبياء [صلوات الله وسلامه عليهم][3] أنهم لا ميراث منهم، وقوله [ﷺ][4]: «إنا [معشرَ][5] الأنبياء لا نُورَث، ما تركناه صدقةٌ»[6]؛ عن رسول الله ﷺ: «لا [يورث نبيٌّ، ما تركناه][7] فهو صدقة»[8]، [فـ][9] من أجل أن الأنبياءَ خُزّانُ الله تعالى في أرضه، والخازنُ لا يملك إلا قوتاً، وسائر الخلق مرتزقون. فإن أُعطي الرزقَ فقد مَلَكَهُ، [فهو][10] يَصْرِفُهُ كيف [شاء][11] على سَبيل الشريعة، والخازنُ [يمسكه][12] لمالكه على نوائب حقوقه، والمرتزق يمسكه لنفسه على نوائب أموره. فإذا قبض الخازنُ لم يرثه وَرَثَتُهُ، وإذا قبض المرتزقُ ورثه ورثته، لأن المرتزقَ إنما أُعْطي ليتصرف فيه تصرُّفَ المالك [بمنافع][13] نفسه، والخازنُ إنما أعطيَ [ليخزنه][14] على نوائب [الخَلْق][15]. فإذا مات لم يخلفه ورثتُه، لأنهم ليسوا بأمناء، فلا يقومون مقامَهُ، إلا أن يكون الذي يخلفه نبيٌّ، فهو أمينُ الله [تعالى][16] من بعده، [و][17] قد قام [مقام][18] الأمين الذي مضى، فهو الذي يرثه، وذلك قوله [تبارك وتعالى][19]: ﴿وورث سليمان داوود و[قال][20] يا أيها الناس علمنا

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) غير موجودة في: أ.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) في ت: معاشر.
(6) رواه أحمد في "كتاب باقي مسند المكثرين" من مسنده برقم 9593.
(7) في ت: نورث شيء ما تركنا.
(8) رواه أحمد في "كتاب باقي مسند الأنصار" من مسنده برقم 25059.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) في ت: يشاء.
(12) في أ: تمسكها.
(13) في أ: لمنافع.
(14) في أ: ليجزيه.
(15) في أ: الحق.
(16) غير موجودة في: أ.
(17) غير موجودة في: أ.
(18) غير موجودة في: ت.
(19) غير موجودة في: أ.
(20) في ت: قال عز وجل.

منطق الطيـــر وأوتينا من كل شيء﴾[21]. [فـورثه][22] النبـوة والخـزانة والملك والسـلـطـانَ والنِّعَمَ، وزيـد [علْمَ][23] منطق الطيـــر، [و][24] تسـخـيـر الريح والشياطين. ورُوي عن رسَول اللّه ﷺ أنه قالَ: «إنما أنا خازن، وإنما يعطي الله من [شاء][25]»[26]. وتأسـيسُ أمـر النبـوة على خـلاف [أمـر][27] العـامـة، وإنما [فَضَلُوا][28] الخَلْقَ بالمعرفـة باللّه والعلم به؛ وهو: [النُّبوة][29] والانتباهُ لعظمته وجلاله. ولما عجزت العـامـةُ عن دَرَك ذلك [بقلوبهـا][30]، وحُجبـوا عن ذلك، [أُسِّسَ][31] أمـرهم على العبـادة من أداء الفـرائض، واجتناب المحـارم، وانتظار الثواب والجزاء غدا. والأنبياء والأولياء أُسِّسَ أمرُهم [على][32] [العبودة][33] من بذل جهَد [النفوَس][34]، ورفض الهوى، والانقياد [لحكمه][35]، والتذلل لتدبيره ومشيئته، وانتظار اللقاء غدا، والوصول إليه في دَار الزيادة. [و][36] قـد انكشف لهم الغطاء [عن][37] ملك الله تعـالى، على قـدر مـا علم الله تعـالى من احـتـمـال قلوبهم وعقولهم لذلك، فصارت الأمور لهم معايَنةً، فهم أهل اليقين. [وبلغنا][38] عن النبي ﷺ أنه قال: «[ثنتا عشرة][39] خصلةً من خصال الأنبياء: كانوا من خوف الفـقـر آمنين، ومن الخلق آيسين، و[عـداواتهم][40] مع الشـيـاطين، وعلى الخلق مشفقين، و[لأذى الخلق][41] محتملين، وفي النفقة مُوسِّعينَ، وفي موضع الحق متواضعين، و[بأمر][42] الله [مـشـتـغلين][43]، وفي مـوضَع العـداوة لا يدعُون

---

(21) النمل: 16.

(22) في ت: فورث.

(23) في ت: على.

(24) غير موجودة في: ت.

(25) غير موجودة في: ت.

(26) رواه مسلم في "كتاب الزكاة" من صحيحه برقم 1719، وأحمد في "كتاب مسند الشاميين" من مسنده برقم 16305 ورقم 16313.

(27) مطموسة في: أ.

(28) في ت: اتصلوا.

(29) غير موجودة في: ت.

(30) في ت: ثقلوا بها.

(31) في ت: أسيس.

(32) غير موجودة في: ت.

(33) في «ت»: العبادة، ثم ورد بعدها التكرار التالي: "من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وانتظار الثواب والجزاء غدا، والأنبياء والأولياء أسس أمرهم على العبرة".

(34) في ت: النفس.

(35) غير موجودة في: ت.

(36) غير موجودة في: أ.

(37) في ت: على.

(38) غير واضحة في: أ.

(39) في أ: اثنا عشر.

(40) في ت: عداوتهم.

(41) في ت: لأداء الحق.

(42) في ت: بأمور.

(43) في ت: مشغولين.

النصيحة، والفقر رأس ما لهم، وفيما قلَّ أو كثر أحوالُهم واحدة، وعلى الوضوء دائمين»[44]، وعن [أبي عتبة][45] قال: «ألا أخبركم بخصال كان عليها إخوانُكم؟ أولها: لقاءُ الله [كان][46] أحبَّ إليهم من الشُّهْد، [و][47] الثانية: [لم][48] يكونوا يخافون عدواً قلُّوا أو كثروا، [و][49] الثالثة: لم يكونوا يخافون عَوَزاً [من][50] الدنيا، كانوا بالله واثقين بأن يرزقهم، [و][51] الرابعة: لو نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضيَ اللهُ تعالى فيهم ما قضى». فأهل النبوة والولاية واليقين، إنما يعاملون الله [تعالى][52] بمثل هذا الصدق في بذل نفوسهم لله تعالى عبودةً، والآخرون يَخفضون رؤوسهم ركوعاً وسجوداً، و[يجيعون][53] بطونَهم. فإذا جاءت مثلُ هذه الحقائق، فهمَ [فَهْمَ نُفْرَان][54] عبيدٌ أُبَّاقٌ أرغبُ الخلق في هذا الحُطام الفاني، و[أشحُّ][55] الناس على الرئاسة [و][56] حبِّ التعظيم و[المدح][57]، وأكثرُ الناس إعجاباً بمحاسنهم، وأعظم الناس في [أنفسهم تيهاً][58] وتكبرا. فهذه الطبقة لا تقدِر على تناول الدنيا على الأمانة، [فتكون][59] له خزانة، إنما [أخذوها][60] على شهوة النفس وحلاوة قضاء الأماني، فتصير خائنة، لأنه متى استرجعتْ منهم [الحُبِّ]؟![61]، وما كَسَبْتَ في [ردِّها][62] حتى [تُقهر فتؤخذ][63]؟!. ومتى رأيتَ عاريةً يُعدّها المستعير لنفسه ويتخذها لنفسه في ذلك الشيء وطناً، فإذا استردت [منه][64] [يتأبَّ على][65] ذلك؟! [والمتأبّي][66] لرد العواري؛ حتى يقهر فيؤخذ منه؛ خائن. وأهل اليقين قبلوها من ربهم، ليكونوا لها خزّانا على نوائب [الحق بالأنبياء][67]، والأولياءُ هم عبيدُ الخدمة، وسائرُ الخَلْق من

---

(44) لم أقف عليه.
(45) في ت: أبي عقبة.
(46) غير موجودة في: أ.
(47) غير موجودة في: أ.
(48) في ت: فلم.
(49) غير موجودة في: أ.
(50) في ت: في.
(51) غير موجودة في: أ.
(52) غير موجودة في: أ.
(53) في ت: يجوّعون.
(54) غير موجودة في: أ.
(55) غير واضحة في: أ.
(56) غير موجودة في: أ.
(57) في ت: المدحة.
(58) في ت: نفوسهم نهيا.
(59) في أ: فيكون.
(60) في ت: يأخذونها.
(61) غير واضحة في: أ.
(62) في أ: درها.
(63) في ت: تظهر فتوجد.
(64) في ت: منهم.
(65) في "ت": إتيان، وفي "أ" بدون الحرف: "على".
(66) غير واضحة في: ت.
(67) في ت: الخلق والأولياء.

بعدهم عبيد الغَلّة؛ أي الوظيفة، وظّف عليه أن يعمل، [فبرز علمُه][68]. ولو أن رجلاً له عبدان: [أحدهما][69] للخدمة، ينتظر [متى][70] يؤمر فيعمل، لا يُؤْثر أمراً على أمر بهواه، إنما هو مراقب لمولاه، ولما [يشير إليه][71]، فهو عيالُ مولاه، يُجري عليه وعلى عياله الرزق من [خزائنه][72]. و[الآخر للغلة][73]، قد وظّف عليه خراجاً معلوماً في كل شهر يؤديه إلى مولاه، ثم [يعول][74] نفسه وعياله من الفضل الذي في يده، فَمُؤنَةُ ذلك كلّه [عليه، وإنما][75] يؤدي إلى مولاه ما وظف عليه شهراً شهراً، وما فَضَلَ فهو له، فإذا مات ورثه أقرباؤه وأرحامه. والأول لم يملك شيئاً، وإنما يأخذ ما أعطاه مولاه، فهو وعيالُهُ في عيالة مولاه؛ [هو][76] يجري عليهم. [والأنبياء][77] صلوات الله [وسلامه][78] عليهم والأولياء هكذا صفتهم، [فإن][79] جاعوا [أو عَرَوْا][80]، أوجاع عيالُهم، فإنهم [يراقبون][81] في ذلك تدبيرَ ربهم الذي هو نصب أعينهم. والآخرون يؤمرون بالسعي على أنفسهم و[عيالهم][82]، فإن لم يعطوا، أخذهم الحاكمُ على ذلك بحكم الكتاب. والأنبياء صلوات الله [وسلامه][83] عليهم، استحكموا هذه الخطة. فلما فارقوا الدنيا، [و][84] تركوا الأمانة موضعها صَدَقَةً، وصاروا إلى ربهم، ومَن دونهم لم يَبْلُغوا [هذه][85] الدرجة. فلما ماتوا، خلفهم في ذلك ورثتهم. فإن قال قائل: «فكيف [رَدَّتْ][86] أزواجُ النبي ﷺ الحُجَرَ حتى صارت بعدهن مبيعة؟» قال: إن الحُجَر كانت مساكن لأزواجه [ملكا][87]، وكان السكن [من][88] النفقة، [فأسكنهن][89] ملكا، كما [ملّكهنّ البقعة][90]، فكانت حُجْرَةُ كلِّ امرأةٍ معلومة مسكونةً، [ولأن

(68) في ت: فيرد عليه.
(69) في أ: أخذهما.
(70) في أ: ما.
(71) في ت: يسير.
(72) في ت: خزانته.
(73) في ت: الأجر للعلة.
(74) في ت: يعقل.
(75) في ت: على غلبة فإنما.
(76) غير موجودة في: ت.
(77) في ت: فالأنبياء.
(78) غير موجودة في: أ.
(79) في أ: وإن.
(80) في أ: أوعدوا.
(81) في ت: يراقبوا.
(82) في "أ": عيالا بهم، وفي "ت": "لأنهم" بعد عبارة "عيالهم".
(83) غير موجودة في: أ.
(84) غير موجودة في: ت.
(85) مطموسة في: أ.
(86) مطموسة في: أ.
(87) غير موجودة في: ت.
(88) في ت: في.
(89) في ت: فأسكنها.
(90) في ت: ملكت النفقة.

المرأةَ المطلقـةَ المتوفى عنها زوجُها؛ لها السكنى ما لم تَنْقُضْ عَدَّتَها. وقد وقَّتَ العدةَ المتوفى عنها زوجها مدةَ: ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وَعشراً﴾[91]. فأما أزواج رسول الله ﷺ، فوقَّتَ لهن الموتَ: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[92]، فكأنهنَّ في العدة ما عشن، فكانت لهن، والله أعلم][93].

(91) البقرة: 234.

(92) الأحزاب: 53.

(93) غير موجودة في: ت.

ذكر علة مقادير المواريث المذكورة في القرآن [العظيم][1]

أما علة هذه المقادير [التي][2] نطق بها الكتابُ [العزيز][3] في شأن المواريث، [فخليق][4] أن يكون كما نَصِفُهُ. فأما الأولاد: ﴿فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾[5]، لأنه له مثلُ عقليهما، و[شهادَتُه][6] بشهادتيهما، وديَّتُهُ بديتيهما، فجعل له من المال مثل حَظَّيهما. وإذا كانت واحدةٌ فلها النصفُ، لأنه لَو كان واحداً؛ وكان ذكراً؛ كان [له][7] الكلُ. فإذا كانت أنثى، فلها [نصفُ][8] ذلك الواحد. وإذا كانتا اثنتين، فلهما الثلثان، [كأنه جعل الثلثين من الإناث يقومان مقامَ ولد واحد من الذكور. ولو كان ابنٌ، لكان يكون له الثلثان إذا كانت معه أنثى. فلما كانتا اثنتين أُعْطيتَا الثلثان][9] مثل حظٍّ واحد من الذكور. فلما [زادتا على][10] اثنتين، اشتركنَ في هذا الحظ الواحد وإن كثر عددُهُنَّ. كما أن [الذكورَ][11]؛ وإن كثر [عددهم][12] وكان لهم حظ، اشتركوا في ذلك الحظ، ولم [يُزادوا][13] لزيادة العدد، لأن الواحدةَ منفردةٌ، والاثنين جماعةٌ، و[البنتان][14] جماعة [لاحقتان][15] بالجماعة. وأما إذ اجتمع الأبُ والابنُ، أُعطيَ الأبُ سهما من ماله من أدنى السهام؛ وهو السدس. وأدنى السهام ستةٌ، وأدنى ما [تُقْسَمُ][16] عليه المواريث ستةٌ. وكذلك روي في الخبر في

(1) غير موجودة في: أ.
(2) في ت: الذي.
(3) غير موجودة في: أ.
(4) غير واضحة في: ت.
(5) النساء: 176.
(6) في ت: شهادة.
(7) غير موجودة في: ت.
(8) في أ: النصف.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) في أ: ازداد.
(11) في ت: الذكرين.
(12) في أ: عددهن.
(13) في ت: يزدادوا.
(14) في ت: التِّنتان.
(15) مطموسة في: أ.
(16) في ت: يقسم.

رجل أوصى [لـه رجلٌ][17] بسـهم من مـاله؛ قـال: «يُعطَى السـدسَ». وخلق اللهُ السمـوات والأرضَ في ستة أيام، [والأيامُ ستةٌ][18]، و[يوم][19] الجمعة عيدٌ، ويومُ السبتَ [يوم][20] عبادة، فيعطى [الأب][21] سهما من ماله من أدنى السَهام؛ وهو السدس. وكذلك الأم، تُعطى سهماً [من][22] ذلك. وعظم الأموال [هو][23] للولد [الذكر][24]، لأن الميت هو [منفصل من أبيه][25]، و[الأب][26] متعلِّقٌ به، وهو عضوٌ منه. ألا ترى أنه قيل: «أقرب العصبة الإبن، ثم ابن الإبن، ثم الأب»؟! فإذا مات الميت، وترك ولداً ذكراً، أعطي الأب سهماً والأمُّ سَهماً من أدنى السهام، و[بقي المالُ][27] للذي هو عـضـو منه [و][28] مـتـعلق به: ﴿فـإن لم يكن [له][29] [ولد][30]، وورثهُ أبواه فـلأمـه الثلث﴾[31]. وإنما صـار هكذا، لأن المال صـار بين الأب والأم، وقد استويا في القرب منه، فصار: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾[32]، وصار للأم الثلثُ، و[للأب][33] [الثلثان][34]. وأما قوله [تعالى][35]: ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾[36]، يعني: إذا كـان أبوان [وإخوةٌ][37]، فلأمه السدسُ، وما بقي [فللأب][38]. وحَجَبَ الإخوةُ [الأمَّ][39] عن الثلث، ولم يكن لهم نصيبٌ من الميراث، لأن المال كان في ابتداء الأمر قبل نزول قسمة المواريث للعصبة كلَّه، فلما قسم اللهُ تعالى كلَّ واحد منهم قسمةً مسماة، فهي لمن سُمِّي، والبقية راجعة إلى الأصل على مـا كـانت في ابتـداء الإسـلام قـبل نزول قـسـمـة المواريث. فـهـا هنا [الآن][40] أبٌ [وأمٌ][41] [و][42] إخوةٌ، فلو لـم يكن إخوةٌ، كان أثلاثاً: ثلثا للأم،

(17) في ت: لرجل.
(18) غير موجودة في: أ.
(19) غير موجودة في: ت.
(20) غير موجودة في: أ.
(21) غير موجودة في: ت.
(22) في ت: مثل.
(23) غير موجودة في: ت.
(24) في ت: للذكر.
(25) في ت: يتفضل من ابنه.
(26) في ت: الابن.
(27) في ت: باقي السهام.
(28) غير موجودة في: ت.
(29) غير موجودة في: ت.
(30) في ت: ولده.
(31) النساء: 11.
(32) النساء: 11.
(33) في أ: الأب.
(34) في ت: الثلثين.
(35) غير موجودة في: أ.
(36) النساء: 11.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) في أ: فلأب.
(39) في ت: للأم.
(40) في أ: الأب.
(41) غير موجودة في: ت.
(42) غير موجودة في: أ.

وثلثين للأب، فلما [جاء](43) الإخوةُ، صار الأبُ أقربَ للعَصَبَة، وكان المالُ [كله له](44) دون الإخوة، إلا سهما واحداً. [و](45) يُعطَى [الأم](46) أدنى السهام، وهو [السدس بديا. ولو](47) كان ابن وأب، كان الابن عصبة يستحق بها، ويُعْطَى الأبُ سهماً من أدنى السهام، وهو السدس. ولم يكن [للأب](48) حق العصوبة، فإذا جاءت الإخوةُ، و[جاء](49) الأبُ، فهم كلهم عصبة، والأب أقربهم. فإن [كان](50) الأبُ بمعنى العصوبة يأخذ، [فتُعطَى](51) الأم أدنى السهام، [وهو السدس](52)، و[ما بقي](53) [للأب، لأنه أقربُ من الإخوة. فإن لم يكن له أبٌ، وكان له إخوةٌ، أُعطيَ الأمُّ أدنى السهام، وما بقي](54) فللأخوة، لأنهم عصبة. فإن كانت أختان فهما بمنزلة الأخوين، [ويحجبان](55) الأمَّ عن الثلث. وإن كانت أخت واحدةٌ، لم تُحجب [الأمُّ عن الثلث، فيكون لها السدسُ. فالإبنةُ ولدُ الميت، والأخت ولد الميت، والأختُ ولدُ أب الميت. فهي أبعد ببطن، وأضعفُ قُربَى، فتحتاج إلى أن تكون اثنتان حتى يعدلاَن بواحدة. فقد وجدنا الواحدةَ من ولد الميت تحجب الأم عن الثلث](56) [من أجل أن الأخت ولد أب الميت. فلو كان ها هنا مكان الأخت ابنة، لكانت الابنة تحجب الأم عن الثلث](57). ولا ينظر [إلى](58) أنه ذكر أو أنثى، وإنما ينظر إلى القرابة، لأنه سواء كان ولد الميت ذكرا أو أنثى، وكيف ما كان، فقد [حُجبت](59) الأم عن الثلث. وكذلك ها هنا، سواء كان ولد أب الميت ذكرًا أو أنثى، فإذا كان العددُ [ابنتين](60) قامتا مقام [الولد](61) الواحد من ولد الميت في الحجب. وإنما حرما الميراثَ، من أجل أن ها هنا عصبةٌ أقربُ [منهما](62)، وهو الأب. وإذا كانت ابنةٌ وأختٌ، فللإبنة النصفُ، و[هي](63) على النصف من حظ

(43) في أ: جاءه.
(44) مطموسة في: أ.
(45) غير موجودة في: أ.
(46) في ت: للأم.
(47) مطموسة في: أ.
(48) في ت: للإخوة.
(49) غير موجودة في: ت.
(50) غير موجودة في: أ.
(51) في ت: فيعطي.
(52) غير موجودة في: أ.
(53) في ت: البقية.
(54) غير موجودة في: أ.
(55) في ت: فيحجبان.
(56) غير موجودة في: ت.
(57) غير موجودة في: أ.
(58) غير موجودة في: ت.
(59) في أ: حجب.
(60) غير واضحة في: أ.
(61) غير موجودة في: «أ»، وفي «ت»: ولد.
(62) في ت: منها.
(63) في أ: هو.

الإبن، والبقيةُ للأخت، من أجل أنها ولدُ أبيه. [فالأب يستحق ذلك، لأن العمَّ ولدُ جده، وهذه ولدُ أبيه][64]، فهي [في][65] معنى الاتصال. ألا ترى أنها لو كانت أختٌ من أم، كانت لا ترث شيئاً، وكان للإبنة النصفُ، والباقي للعصبة، وإن بَعُدَت العصبةُ. وأما الزوج فله النصف، إن لم يكن لها ولد. فهما شريكان، فلما افترقا قسم له من مالها النصف. فلما جاء الولدُ كان [الولدُ][66] أحقَّ بالمال، لأنه [عضو][67] منها، إلا أن الزوج له حق، [فـ][68] كان له الربع من [جسده][69]، لأنه قد أحل له أربع [نسوة][70]. فيُقسَم له من مالها بذلك المقدار، كما قسم للأب سهم من أدنى السهام. كذلك قسم للزوج من مالها سهمٌ، لأنه بحقٍّ [عقد][71] النكاح يستحقُّ الميراثَ. وأما المرأة فلها الربع من [ماله][72]، لأنها أنثى، فلها من الحظ على النصف ما للذكر. ففي الموضع الذي كان للزوج النصف فلها الربع، وفي الموضع الذي كان للزوج الربعُ فلها الثمن، [هي][73] أبداً على النصف من حظ الذكر. كما قلنا [إن للإبن في كل مكان][74] المالَ كلَّه، فإذا كانت ابنةٌ فلها النصف. وأما إذا كانت ابنةٌ وابنُ ابن، [فلابنته][75] النصف، والبقيةُ لابن الابن، لأنه [عَصَبَتُه][76]، يستحق بمعنى العصوبة. فإن كان مكانُ ابن الابن أنثى، كانت ابنة ابن، فهما ابنتان [إحداهما][77] أقرب من الأخرى، لأن [أحديهما][78] ولد الميت، و[الأخرى][79] ولدُ ولده. فالثلثان لهما، لأنهما ابنتان. و[هاذان][80] الثلثان مقسوم بينهما أرباعاً: ربع لولد ولد الميت، وثلاثة أرباع لولد الميت، لأنها أنثى، فهي على النصف من الذكر. فإن كان ذكراً، كان له النصف، و[للإبنة][81] النصف. [فإذا][82] كانت أنثى، فلها الربع من [حظهما][83]، لأنه لا حظَّ [لها][84] في هذا

(64) غير موجودة في: أ.
(65) غير موجودة في: أ.
(66) غير موجودة في: أ.
(67) في أ: عضوا.
(68) مطموسة في: أ.
(69) في ت: حسده.
(70) مطموسة في: أ.
(71) في ت: عدة.
(72) في ت: مالها.
(73) غير موجودة في: ت.
(74) في ت: في كل مكان أن للإبن.
(75) في أ: فلابنه.
(76) في ت: عصبة.
(77) في أ: أحديهما.
(78) في ت: إحداهما.
(79) في أ: الآخر.
(80) في ت: هذا.
(81) في ت: لابنته.
(82) في ت: فإن.
(83) في ت: حظها.
(84) في أ: له.

المال إذا كُنَّ إناثاً فوق الثلثين. و[إنما][85] لهما الثلثان، فتأخذ ابنةُ الإبن النصفَ من حظهما، [مما][86] لو كـان ابنُ ابن [من][87] حظه، لأن حظَّ البنين الكلُّ، وحظَّ البنات الثلثان. فلما كان [ولدُ][88] الميت، اقتسماه نصفين. فلما كان أحدُهما أبعدَ ببطن، وكان ذكراً، كان لولد الميت النصف، والنصفُ الآخرُ لولد [ولد][89] الميت [لو][90] كان ذكراً. فلما كانت أنثى دخلت في أعداد البنات، [فاستحققن][91] الثلثين، [ثم صار][92] [لها][93] من ذلك الثلثين الربع، على النصف من حظ الذكر، وهوالسدس من جميع المال. وأما إذا كان أخٌ [و][94] أختٌ من أم، فلكل واحد منهما السدسُ، أعطي ما كان لأمه [لو][95] كانت حيةً، استحقا ذلك بأمهما، لأن كلَّ واحد منهما إنما [يُدْلي][96] بقرابة أمه، [ف][97]يستحق بها، فالذكر والأنثى فيه [سواء][98]. وأما إذا كانت ابنة وابنةُ ابن وأختٌ، فقد أخذت الإبنة مع ابنة الابن حظَّهما الثلثين على ما وصفنا بدياً، فبقي ثلث المال، فهو للأخت، لأن الأخت على انفرادها، لها فريضةُ التنزيل [إذا لم][99] يكن ولد، فإن كان ولد، [و][100] كان الولدُ ابنةً، ففريضتها النصف، وما بقي بعد ذلك [فلصاحبة][101] الفريضة التي تليها وتخلفها، وهي الأخت إذا كانت [أحقَّ بها][102] من العصبة. [وذلك][103] أن الإبنة لو لم تكن، قامت الأخت مقامها، وأخذت النصفَ مثلَ فريضتها، لأنه لو كان [له][104] أخٌ، كان المالُ كلُّه له. فلما كانت [الأخت][105]، كان لها النصف من حظ [الذكور][106]. وكذلك الإبنة لها النصف من حظ [الذكور][107]، لأنه لو كان [ابناً][108]، كان له المالُ كاملاً. فوجدنا الأخت [تخلف الابنة، وتقوم مقامها في

---

(85) في ت: إن.
(86) في ت: ما.
(87) غير موجودة في: أ.
(88) في أ: ولدي.
(89) غير موجودة في: أ.
(90) في أ: ولو.
(91) في أ: استحقتا.
(92) في ت: وصا.
(93) في أ: لهذا.
(94) في أ: أو.
(95) في أ: أن لو.
(96) في ت: يدل.
(97) غير موجودة في: أ.
(98) في ت: يستوي.
(99) مطموسة في: أ.
(100) غير موجودة في: ت.
(101) في أ: فلصاحب.
(102) غير موجودة في: ت.
(103) في ت: فذلك.
(104) غير موجودة في: ت.
(105) في ت: أختا.
(106) في ت: الذكورة.
(107) في ت: الذكورة.
(108) في ت: ابن.

معنى الفرض، لأنها ولدُ أبيه. فإذا كانت الأختُ[109] لها هذا المحل، فإذا [اجتمعا][110]، أخذت الإبنة فريضتها، وهي النصف، ثم ما بقي بعد ذلك كانت [كأنها][111] في هذا النصف على الانفراد، وليس ها هنا ولد، لأن الابنة أخذت حظَّها، فلم يبق لها منازعةٌ، فكأنها لم تكن، وصار هذا الذي [يبقى][112] للأخت، وصارت [أحقّ][113] من العصبة. فكذلك إذا كانت ابنةٌ وابنةُ ابن وأختٌ، أخذت الابنتان ثلثيهما على ما ذكرنا أرباعاً، وما بقي [فلمَن][114] أحقٌّ من العصبة، لأنه لو لم [تكن][115] هاتان الابنتان، كانت الأخت تأخذ نصف المال، فإذا بقي الثلثُ فهي أحقٌّ به من العصبة. وقال ابنُ عباس رضي الله [عنهما][116] في ابنة وأخت: "أن للإبنَة النصفَ، وما بقي فللعصبة. [وليس][117] للأخت شيءٌ"، فقال له رجل: «فإن عمر رضي الله عنه قضى بالنصف [الباقي][118] للأخت»، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنتم أعلم أم الله؟!؛ قال الله تعالى: ﴿[إن][119] امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾[120]، فقلتم أنتم: لها النصف وإن كان له ولد!». فهذا مذهبُ ابن عباس [رضي الله عنهما][121]، ذهب [إلى][122] أن الله [تعالى][123] جعل للأخت النصفَ إذا لم يكن ولدٌ، ولم يجعل لها مع الابنة النصف. فمن الحجة على ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما][124] أن تلك إنما [تُعْطَى][125] فرضاً بالتنزيل إذا لم يكن ولد، ولم يجعل [لها][126] مع الابنة. فإذا كان أصحابُ الفرائض يأخذون فرائضَهم، وبقيت فَضْلَةٌ، [و][127] لم [يبق][128] لذي فريضة حقٌّ، كانت تلك الفضلةُ مصروفةً إلى العصبة، [و][129] كانت الأختُ صاحبةُ فريضة على انفرادها بمكانها أحقَّ [بأن يخلفها][130] في الفضلة من العصبة.

(109) غير موجودة في: أ.
(110) غير موجودة في: أ.
(111) في ت: الأخت.
(112) في ت: بقي.
(113) في أ: إخوة.
(114) في أ: فهي.
(115) في أ: يكن.
(116) في أ: عنه.
(117) في ت: فليس.
(118) في ت: الثاني.
(119) غير موجودة في: ت.
(120) النساء: 176.
(121) غير موجودة في: أ.
(122) غير موجودة في: ت.
(123) غير موجودة في: أ.
(124) غير موجودة في: أ.
(125) في ت: أعطي.
(126) في أ: له.
(127) غير موجودة في: أ.
(128) في ت: بقيت.
(129) غير موجودة في: ت.
(130) في ت: أن يجعلها.

فإنما تُعطَى ها هنا لا من طريق العصبة، ولكن على [سبيل][131] أقرب الأرحام، وقد قال عبد الله بن مسعود: «[ذو][132] السهم أحقُّ ممن لا سهمَ له، فلو اجتمعت الأختُ والعصبةُ، كانت الأختُ بالنصف من المال أحقَّ [من العصبة][133]، فإذا أخذت الإبنة نصفها، فهذه البقية أحق بها من العصبة كأنه نصفها، و[إن][134] معاذاً بنَ جبل [رضي الله عنه ـ وهو][135] أميرُ اليمن ورسولُ الله صلى الله [عليه وسلم][136] يومئذ حيٌّ ـ قَسَمَ مال رجل بين ابنته وأخته، [فأعطى ابنته النصف وأختَه النصف][137]»[138]. [و][139] عن [عبد الله بن الزبير][140] [رضي الله عنه][141] [أنه قال][142] على المنبر: «أيكم يخبرنا ما للأخت مع الابنة؟» فقام الأسود بن يزيد فقال: «أشهد [على معاذ بن جبل][143] أنه أتانا فقسم مالاً بين الابنة والأخت»، فقال: [من أنت][144]؟ فقَالَ: «أنا [الأسودُ بن يزيد]». ثم قَدمَ[145] الأسودُ الكوفةَ، فأتى عبدَ الله بن عتبة ـ وكان قاضياً من ابن الزبير ـ فذكر ذَلك له، فقال له عبد الله: «إنك عندي لَمُصَدَّق، ولكن لم يجئني فيه كتاب»، [فجاءه كتاب][146] ابن الزبير أن الأسود حدثني أن معاذاً قَدمَ اليمنَ، فقسم المالَ بينهما، وأن الناس [قد][147] أخذوا بذلك، قال أبو بكر: «ولم يكونوا يدرون قبل ذلك كيف هذا». وأما الجد، فهو خليفة [الأب][148]، [كما][149] أن [ابن][150] الابن خليفة الإبن. فاختلف أصحاب رسول الله ﷺ في شأنه، إذ لم يجدوا له في التنزيل فرضاً معلوماً، ولا في السنّة شيئاً مذكوراً، فقال أبو بكر وعثمان وعائشة وابن الزبير وابن عباس [رضي الله عنهم][151]: «هو بمنزلة الأب»، وقال علي [رضي الله عنه][152]: «هو بمنزلة الأخ مادام له السدس»، وقال ابن مسعود: «هو

(131) غير موجودة في: ت.
(132) في ت: ذوي.
(133) في ت: بالعصب.
(134) مطموسة في: أ.
(135) غير موجودة في: أ.
(136) غير موجودة في: ت.
(137) غير موجودة في: أ.
(138) رواه أبو داود (انظر: *نيل الأوطار* 6/ 58).
(139) غير موجودة في: ت.
(140) في ت: عبد الله بن زيد.
(141) غير موجودة في: أ.
(142) مطموسة في: أ.
(143) مطموسة في: أ.
(144) في ت: فرأيت.
(145) غير موجودة في: أ.
(146) غير موجودة في: ت.
(147) غير موجودة في: ت.
(148) غير موجودة في: ت.
(149) في ت: لذلك كما.
(150) في ت: ابنة.
(151) غير موجودة في: أ.
(152) غير موجودة في: أ.

بمنزلة الأخ مادام له الثلث، فإذا نقص فله الثلث كاملاً»، وقال عمر وزيد [رضي الله عنهما](153): «هو بمنزلة الأخ [كيف](154) ما بلغ في عدد الإخوة». فشبَّهَه زيدٌ [رضي الله عنه](155) بمنزلة [شجرة](156) انشعب منها غصنٌ [شعبتين](157)، [وانشعب من الغصن غصنان، وأحدُ الغصنين أقربُ إلى صاحبه من الغصن الأول. وشبهه علي رضي الله عنه بسيل انشعب منه شُعْبَةٌ](158)، ثم انشعبت منها شُعْبتان، فكانت إحدى الشعبتين أقربَ إلى الوسطى [منه](159) إلى الأصل. وذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى أن الجدَّ [قام](160) مقام الأب في أحوال كثيرة؛ [في](161) الميراث، و[في](162) الحَجْب، فلو ترك ابنا وأباً كان للأب السدس، والباقي [للإبن](163)، وكذلك لو تركَ ابناً وجداً، ولو ترك أباً وأخاً لأم، كان للأب السدس دون الأخ من الأم، ولو ترك جداً وأخاً لأم كان كذلك، [ف](164)قام الجدُّ [مقامَ](165) الأب [في أحوال كثيرة](166) في الميراث والحجب. [فلو ترك ابناً وأباً، كان للأب السدسُ دون الأخ من الأم](167). و[الوصاية](168) والولاية والشهادة [إنما](169) لا [تقبل](170) منه للتُّهمة، ولا يُعْطَى من الزكاة. [وإذا](171) مات ولم [يوص](172) إلى أحد، فالجدَ يقوم مقام الأب في الوصية و[التَّركة](173)، ويعمل في مال اليتيم كما يعمل الأبُ. فنظرنا، فإذا الجد لا يخلو من [إحدى](174) ثلاث منازل: إما أن يكون [بمنزلة](175) الأب فله المالُ كلُّه، أو يكونَ منزلتُه وقُرْبُه دونَ الأب وفوق الأخ وأقرب منه ـ وهما عصبة ـ فالمالُ لأقربهما، وهو الجد، لأنه أكبرُ من الأخ، ودون [الأب](176)، وإما أن يكون قربه قرب الأخ، فكان لا يَحْجُبُ الأخَ

(153) غير موجودة في: أ.
(154) غير موجودة في: أ.
(155) غير موجودة في: أ.
(156) في ت: الشجرة.
(157) غير موجودة في: أ.
(158) غير موجودة في: ت.
(159) في ت: فيه.
(160) في ت: يقام.
(161) في أ: من.
(162) غير موجودة في: أ.
(163) في أ: للإب.
(164) غير موجودة في: ت.
(165) غير موجودة في: أ.
(166) غير موجودة في: أ.
(167) غير موجودة في: أ.
(168) في أ: الوصاة.
(169) في ت: إنها.
(170) في أ: يقبل.
(171) في ت: فإذا.
(172) في ت: يفوض.
(173) في أ: التزكية.
(174) في ت: أحد.
(175) مطموسة في: أ.
(176) مطموسة في: أ.

للأم عن الميراث كما حجب الأب، وكان [الأخُ][177] لا يُحجب. فكان إذا اجتمع الجدُّ مع الابن، لم يرث شيئاً، [كما أن الأخ إذا اجتمع مع الابن، لم يرث شيئاً][178]. فبان لك [أن الجد له منزلة الأقرب من الأخ، فلما كان كذلك، كان المال لأقرب][179] العصبة دون [أبعدها][180]. وقد اتفقوا كلُّهم أن [للجد حالةً أكبر][181] من الأخ، لأن عمر و[زيداً][182] رضي الله عنهما أعطياه الثلث مع الإخوة إذا كثر عددهم، وعلي رضي الله عنه أعطاه السدس معهم، وجعلوا له حالةً [أكبر][183] من حالة الأخ. فكلهم اتفقوا على أن للجد حالةً زائدةً على الأخ، واتفقوا على أن أقرب العصبة أولى، فإذا اجتمعت [العصبتان][184]: جدّ وأخ، وظهر اتفاقهم على أن [للجد حالةً تَفْضُلُ][185] الأخ قرباً وتأكيداً، وأن أقرب [العصبة][186] أولى، كان له دون الأخ. فإن قال قائل: فإن الإخوةَ والأخوات لهم فريضةٌ في التنزيل وليس للجد فريضة! فالحجة عليه أن يقال له: كيف أدْخَلْتَ الجدَّ عليهم في فريضتهم و[صيّرته][187] مساوياً لهم؟! [فلم][188] صيّرت [للجد][189] في فريضتهم حظاً أكثر من حظِّ واحد منهم؟! قلتُ: إذا زاد في العدد على ثلاثة، فللجد الثلثُ كاملاً، وما بقي فهو بين الإخوة. فإن قال قائل: كيف تقوم في امرأة ماتت وتركت زوجاً وأبوين؟ قلنا: للزوج النصفُ، وللأم ثلثُ ما بقي، وما بقي فللأب. فإن قال [قائل][190]: تركَتْ زوجاً وجداً وأماً؟ [قلنا][191]: للزوج النصف، وللأم الثلث، وما بقي فللجد. قال: [وكيف][192] [لَمْ][193] يقم الجدُّ مقامَ الأب ها هنا؟ قلنا: إن الزوج [ليست وراثته][194] من طريق النسب والقرابة، [وإنما][195] جعلنا الجدَّ يقوم مقامَ الأب في الحَجْبِ والميراث، لا في

(177) غير موجودة في: ت.
(178) غير موجودة في: ت.
(179) غير موجودة في: أ.
(180) في ت: أبعدهما.
(181) في ت: الجد حاله أكثر.
(182) في ت: زيد.
(183) في ت: أكثر.
(184) في أ: العصبات.
(185) في ت: الجد حاله يفضل.
(186) في أ: للعصبة.
(187) في أ: صيرتهم.
(188) في أ: فلو.
(189) في ت: الحد.
(190) غير موجودة في: أ.
(191) في أ: ما قلنا.
(192) في ت: فكيف.
(193) في أ: ولم.
(194) في أ: ليس وارث.
(195) في ت: فإنما.

[القرابة](196) ، وإن قرابته قرابة [الأب](197) مستويةٌ . ووجدنا الأبوين إذا لم يكن معهما أحدٌ، فمعناهما معنى [العصبة](198) . فكان للأم الثلثُ، وللأب الثلثان ، كما جعلنا [في ابن وابنة](199) أثلاثاً . وإذا كان [الإبنُ](200) وحده ، فله المال كله . وإذا كانت [الإبنةُ وحدها](201) [فلها النصفُ](202) ، [لا تزاد على حظها أن لو اجتمعا](203) ، [وما بقي فللعصبة . وإذا](204) [اجتمعا ، اقتسماه أثلاثاً ، كما جعلنا](205) في أم وابنة ، فأعطينا الأم السدس ، [فصار ما بقي](206) [منهما](207) أثلاثاً . وقد [كان للإبنة](208) فريضةٌ على [حدَتها](209) النصفُ ، [فلما](210) اجتمعت مع [الأب](211) [صار ما بقي بينهما أثلاثاً](212) . فكذلك ها هنا ، أعطينا [الزوجَ النصفَ ، واستويا في القرابة ، وأعطيناهما البقية](213) أثلاثاً ، كما [كان](214) بدياً أنْ لو لم يكن زوجٌ كان المالُ بينهما أثلاثاً . وإذا كان جدٌّ وأمٌّ ، [فليس الجدُّ بجد الأم](215) في القرابة ، بل هو أبعد ، فأعطينا الزوجَ النصف ، والأمَّ الثلثَ كاملاً ، والباقي للجد بمعنى العصوبة . ولم [أجعل](216) الجد [بحذاء](217) الأب فيقاسمَ الأمَّ ، لأنه لم تَستَوِ قرابتُهما . [فلما](218) كانت الأمُّ أقرَب ، أعطيتُها فريضتَهَا ، وصُرفت البقيةُ [إلى الجد](219) . ألا ترى أنه لو كانت ابنة وابن ابن ، كان للابنة النصف وما بقي فلابن الابن؟! لأنه لمّا زال عن أن يكون بحذائها ، أعطيت الابنة فريضتها ، وأعطيَ ابنُ الابن ما بقي ، ولم [يجعله](220) [يقوم](221) مقامَ الابن ، فيقاسم البنتَ أثلاثاً .

---

(196) في ت : القُربة .

(197) في ت : الابن .

(198) غير موجودة في : ت .

(199) مطموسة في : أ .

(200) في ت : الأب .

(201) مطموسة في : أ .

(202) غير موجودة في : أ .

(203) غير موجودة في : ت .

(204) في ت : والباقي للعصبة فإذا .

(205) مطموسة في : أ .

(206) مطموسة في : أ .

(207) غير موجودة في : أ .

(208) مطموسة في : أ .

(209) في أ : جدتها .

(210) مطموسة في : أ .

(211) في ت : الإبن .

(212) مطموسة في : أ .

(213) مطموسة في : أ .

(214) في ت : كانت .

(215) غير موجودة في : ت .

(216) في ت : يجعل .

(217) في أ : بجد .

(218) في ت : ولما .

(219) في ت : للجد .

(220) في ت : أجعله .

(221) غير موجودة في : أ .

ذكر علة تحريم الخمر

[والخمرُ][1] كلُّ شراب [اشتد، فإذا][2] اشتد خامر العقلَ، أي غطاه وسدَّ الطريقَ [بين عيني القلب ونور العقل][3]، [فإن العقلَ][4] مسكنُه [في][5] الدماغ، فإذا أراد القلبُ أمراً أشرق [العقلُ][6] [بشعاعه][7] في الصدر، فزيّن ذلك الشيءَ على عين القلب، وبيّن المحاسن [من][8] المساوئ، وميّز بينهما، فإذا شرب الشديد من الشراب [المنهيِّ عنه][9] صار سُدّاً بين العقل والقلب. [وأصلُ][10] ذلك أن كل حلاوة من الأطعمة والأشربة، فأصلها من الفرح، ولما غُرس العنبُ في الجنة، [جرى][11] الفَرْعُ إلى العنب من بين الأشجار، [وإلى][12] الثمر، [و][13] إلى كل شيء [حُلْو][14]. فأول ما بدأ آدم [عليه السلام][15] حين دخل الجنةَ، بدأ يأكل العنب، [كذلك][16] رُوي أن أهلَ الجنة أول ما يدخلون الجنة، يأكلون العنب[17]. فما زال آدم [عليه السلام][18] يأكل من الأشجار حتى امتلأ فرحاً و[ثَمل][19] من الفرح، فنسي العهدَ و[أغراه][20] العدوُّ. فحذر الله العبادَ، وجعلَها موعظةً [واعتباراً][21] لهم [ليحذروا ويعتبروا][22]، كأنه يقول: "[إني][23] وضعتُ هذه

(1) في ت: فالخمر.
(2) في ت: يشد فإنه.
(3) غير موجودة في: ت.
(4) في أ: فالعقل.
(5) غير موجودة في: أ.
(6) في ت: القلب.
(7) مطموسة في: أ.
(8) في ت: و.
(9) غير موجودة في: ت.
(10) في ت: فأصل.
(11) في ت: جاء.
(12) في ت: ذوي.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) في ت: خلق.
(15) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(16) في ت: كذا.
(17) لم أقف عليه، ونحوه الحديث الموضوع في فضيلة أكل العنب وهو: "عليكم بمداومة أكل العنب مع الخبز" (انظر: *المنار المنيف في الصحيح والضعيف*: 55).
(18) في ت: صلوات الله عليه.
(19) في ت: لملا فرحا.
(20) في ت: أغواه.
(21) غير موجودة في: ت.
(22) غير موجودة في: ت.
(23) غير موجودة في: أ.

[الأفراحَ في][24] نفوسهم قسمة بينهم، فمن فرح بي دام فرحه، وقرَّتْ عينُه، وَسَعَدَ [جَدُّه][25]، [وأصاب رشدَه. . .، ومن يفرح بفضلي ورحمتي عليه. . . من الإيمان والإسلام والطاعة، أصاب رشده، وسعد جدُّه][26]، [وكان على][27] رجاء عظيم من [كرامتي][28]. فالأولُ فرحُ الصِّدِّيقين، والثاني فرحُ الصَّادقين. ومن فرح بالحياة الدنيا وزينتها، أخطأ رشده، [وفاته][29] حظُّه، ولم ينل بُغْيَتَهُ، لأنه لا دوامَ لها، واللهُ لا يحب الفرحين. ومن فرح بالأوثان والأصنام التي يعبدها دوني فالويل كل الويل له". ثم أجمل الأحزابَ كلها، فقال: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾[30]، وقال [تعالى أيضاً][31]: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾[32]، [وقال عز وجل][33]: "قل للصديقين بي فافرحوا، وبذكري فتنعَّموا، [فإني لكم في الدنيا كَنْزٌ، وفي الآخرة ذخر][34]"[35]. فهذا الفرح الذي [استخفَّ][36] [بحلْم][37] آدم صلوات الله عليه [وسلامه][38] حتى نسي العهد، وذهب العزمُ، فعادَ الفرحُ حزنا. فلما كان يوم نُوح عليه السلام، وجد العدوّ سبيلاً إلى دخول [السفينة][39]، وذلك أنه مدّ بأذني الحمّار ليدخله، فأخذ العدو بذنبه حتى ملَّهُ نبيُّ الله، فقال: «ادخلْ و[لو][40] كنتَ شيطانا»، فوجد العدوُّ إذنًا، فدخل وسرق العنبَ، فلما استوت السفينةُ على الجودي، وأخرج نبيُّ الله ما فيها، افتقد العنبَ، فذهبت الملائكةُ، وجاءت بالعدو، وحضر جبريل [عليه السلام][41] يقضي [بينهما][42]، وقال: «إنه [شريكك][43]» [فتحسَّر][44] حتى افترقوا [على][45] أن للعدو الثلثين، والثلث لنوح [عليه السلام][46] على شرط أن

---

(24) مطموسة في: أ.
(25) مطموسة في: أ.
(26) غير موجودة في: "ت"، ومكان نقط البتر مطموس في: «أ».
(27) مطموسة في: أ.
(28) في ت: كراماتي.
(29) غير موجودة في: ت.
(30) المؤمنون: 53.
(31) غير موجودة في: أ.
(32) يونس: 58.
(33) غير موجودة في: أ.
(34) غير موجودة في: ت.
(35) لم أقف عليه.
(36) غير واضحة في: أ.
(37) في أ: على.
(38) غير موجودة في: "ت"، وفي "أ": وسلم.
(39) في ت: سفينته.
(40) في ت: إن.
(41) في ت: صلوات الله عليه.
(42) في ت: سهما.
(43) في أ: شريك.
(44) في "أ": فأحسن، وفي "ت": فأحسر.
(45) غير موجودة في: ت.
(46) في ت: صلوات الله عليه.

يغرسه [العدو][47]. فذهب به، فغرسه و[بال فيه][48] [اليوم][49] الأول، وسقاه اليوم الثاني دَمَ كلب، ويومًا آخر دم أسد، ويومًا [آخر دمَ خنزير، ويومًا آخر][50] دمَ قرْد. [فغيَّرَتْ][51] هذه الدماءُ ألوانَه، وأعتَرَتْ [شاربَهُ أخلاقَ السباع][52] مادامت فيه[53]. فالبولُ [سترٌ][54] العقل في الدماغ، [وبهذه][55] [يكْلَبُ، ويأسَدُ، ويَتَخَنْزَرُ][56]، ويُعَرْبِدُ، و[يَتَقَرَّدُ][57]، [و][58] يلعب [كالقرد. فإذ لم ينضج العنبُ، جاء العدوُّ][59]، [فخاضه][60] بيده، [فيزيد ويسيل، لأنه خُلق من النار، وَوَجَدَ السبيلَ إلى][61] معدة شاربه و[قلبه][62] في صدره. فامتلأَ [فرحاً][63] بأحواله الدَّنسَة الوحشَة، [فطربَ][64]، فحرَّم اللهُ تعالى على المؤمنين ذلك فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان [فاجتنبوه][65]﴾ [الآية][66]، فسمّاه رجساً [لما][67] خاضها بيده، ونجَّسها بالبول الذي بال في أصْلها، ثم قال: ﴿من عمل الشيطان﴾؛ أي من [لمَاسته][68] إياها، وخوضها بيده: ﴿فاجتنبوه﴾، ثم بين ما [يصنع][69] الشيطانُ عند ذلك، فقال: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء﴾[70]. [فـ][71]ـأي داء أدوأُ من العداوة والبغضاء؟! وأي [ضرر][72] بأضرَّ من شيء يَصُدُّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة؟! فبيَّن ضرره وعلة تحريمه. فذكر خصالاً ثلاثاً كلها تؤدي إلى الهلاك: فالعداوةُ والبغضاءُ [بهما خرابُ][73] دينه ودنياه، والصدُّ عن ذكر الله به خرابُ

---

(47) في أ: للعدو.
(48) مطموسة في: أ.
(49) مطموسة في: "أ"، وغير موجودة في: "ت".
(50) مطموسة في: أ.
(51) في ت: فعبرت.
(52) مطموسة في: أ.
(53) قرّر الحافظ ابن كثير أن الأخبار التي تنص على أن راكبي سفينة نوح أكلوا من فضول أزوادهم لا يصح فيها شيء، وإنما يُذكر في ذلك آثار منقطعة عن بني إسرائيل مما لا يُعتمد عليه ولا يُقتدى به (انظر: *قصص الأنبياء*: 1/82).
(54) في ت: سره.
(55) في ت: فبهذا.
(56) مطموسة في: أ.
(57) في ت: يقرد.
(58) غير موجودة في: أ.
(59) مطموسة في: أ.
(60) في أ: فحاضه.
(61) مطموسة في: أ.
(62) في ت: ملئه.
(63) في ت: أفراحاً.
(64) في ت: وطرب.
(65) غير موجودة في: أ.
(66) غير موجودة في: ت.
(67) في ت: فلما.
(68) في ت: مماسته.
(69) في ت: يضع.
(70) المائدة: 90-91.
(71) غير موجودة في: ت.
(72) في ت: ضر.
(73) في ت: خراب بها.

قلبه، والصدُّ عن الصلاة به خرابُ جوارحه، لأن العبدَ إذا صدَّ عن ذكر الله خلا قلبه عن كل خير، واستولت عليه النفس بدواهيها. وإذا ضيَّع المكتوبات، تراكمت عليه الذنوب وأحاطت به، فلم يجد إلى التوبة سبيلاً. والخمرُ وكل شيء [مسكر][74] فهو مفسدٌ [للعقل][75]، وبالعقول وحَّدَه العبادُ وعرَفوه. فإذا سكرَ استدَّ طَريقُ العقل، [فلا][76] يصل إلى القلب، ووجد الشيطانُ سبيلاً إلى القلبَ، فأفسده. و[وجدنا][77] أربعة أشياء سميت في التنزيل رجساً، فقال تعالى: ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً﴾[78]، وقال: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان [واجتنبوا قول الزور﴾[79]، وقال: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾، فأمَرَنَا باجتنابها، كما أمرنا باجتناب][80] [الأوثان][81]، [وسماها رجساً كما سمى][82] الأوثان. وإنما صار رجساً من [أجل أن الشيطانَ قد نالها ومسَّها، و][83] كذلك الأنصابُ والأزلامُ. [فـ][84]هذه كلُّها للشيطان. والخنزير خلق لأكل العذرة في سفينة نوح [عليه السلام][85]. وإنما صار الطعامُ عَذِرَةً في الجوف، لحلول الشيطان في جوف المعدة، ووجد السبيل إلى جوف آدم [عليه السلام][86] يوم أكل من الشجرة، فاتخذ لنفسه هناك موطناً، فأنتن الطعام، وصار [بخروجه][87] حدثاً، فأُمرَ بالوضوء لرجاسة العدو، [وصارت][88] العذرة غذاء الخنزير، لأن العذرة كثرتَ في سفينة نوح [عليه السلام][89]، فشكا إلى الله تعالى، فأمره أن يمسح ذَنَبَ الفيل. فَفَعَل، [فبَتَرَ][90] [خنزيراً][91] من [أنفه، فأكل][92] العذرة، عن ابن عباس مثله. وإنما زجر اللهُ تعالى الخلْق عما يُشينهم، ويُفْسدُ عليهم محاسنهَم، و[أن][93] لا [يقعوا][94] في أودية الهلاك، وألاّ يكونوا

(74) في ت: يسكر.
(75) في ت: للعقول.
(76) في ت: فَلَمْ.
(77) غير واضحة في: أ.
(78) الأنعام: 145.
(79) الحج: 30.
(80) غير موجودة في: ت.
(81) مطموسة في: "أ"، وغير موجودة في: "ت".
(82) مطموسة في: أ.
(83) مطموسة في: أ.
(84) غير موجودة في: أ.
(85) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(86) في ت: صلوات الله عليه.
(87) في ت: يخرجه.
(88) في ت: فصارت.
(89) في ت: صلوات الله وسلامه عليه.
(90) مطموسة في: أ.
(91) في أ: خنزيرين.
(92) في أ: أنفسه فأكله.
(93) غير موجودة في: أ.
(94) في ت: يقعون.

في ذَيٍّ أهل الذِّلة والصَّغار. [ومن أحق بالذلة والصغار][95] ممن [يكون][96] شاربها بهذه الصفَة، [شارباً للخمر، سكرانَ، حيرانَ، جاهلاً بالله وبملائكته وكتبه ورسله، جاهلاً بيومه، جاهلاً بطاعة ربه ومعصيته، جاهلاً بثوابه وعقابه ومعاده، جاهلاً بدين الله، أضلَّ في سُكْره من البهيمة، عاصياً لربه، قد احتوشته الشياطينُ، وفارقته الملائكةُ في طاعته له، مخالفاً لله ورسوله؟!، ثم مع ذلك][97] [قَيْءٌ][98] من الشِّدْقَيْن، و[مَلَحٌ على][99] العَقبين، و[حَدٌّ][100] على الظهر والمَنْكبين، و[سُخْرَةٌ][101] الشيطان، [وتَرْكُ أمرَ الدنيا، و][102] ضُحْكَةُ الصِّبْيان، [مَردودٌ عليه صلاةُ أربعين صباحاً، فدخل... هول أكثر من هذا، فقد وَجَبَ له مع ذلك سَخَطُ اللهِ والنار.......][103].

(95) غير موجودة في: ت.
(96) في أ: يكن.
(97) غير موجودة في: ت.
(98) في أ: في.
(99) مطموسة في: أ.
(100) في أ: جد.
(101) في أ: شجرة.
(102) مطموسة في: أ.
(103) غير موجودة في: "ت"، ومكان البتر مطموس في: "أ".

ذكر علة تحريم الدم

[فإن المعدة][1] منها أصل الدم، وذلك أن العدوَّ وجد السبيلَ إليها يوم أكل آدم [ﷺ][2] من الشجرة، فمن مُسْتَقَرِّهِ [يجري][3] الدمُ في العروق، [فأينما][4] ظَهَرَ وسال وَجَبَ الوضوءُ. وكذلك البولُ، فالبولُ بظهوره يصير حدثاً، والدمُ بسيلانه، لأن الدمَ ربما جمد فصار لحماً، فإذا سال فقد زال عن الجسد، وبان عن أن يكون لحماً، [فوجب الوضوءُ][5]. فكذلك ما خرج من النصف الأسفل، صار حدثاً، لأن ذلك [من][6] مستقره، وتلك رجاسةُ الكفر.

(1) مطموسة في: أ.
(2) في ت: صلوات الله عليه.
(3) في ت: مجرى.
(4) في ت: فأنثن ما.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) غير موجودة في: ت.

ذكر علة تحريم الميتة

أما تحريم الميتة، فمن أجل أن الرُّوَح مادام فيها [فالدمُ][1] [جار][2] في العروق، [فإذا][3] خرج الروحُ، جمد الدم. فالأكلُ للَحْمه، أكلٌ لدمه معه. فأُمرَ بأن [يُذَكِّي][4]، ويقطعَ الأوداجَ التي يجري منها الدماءَ المسفوحة، والحلقومَ [والمريءَ][5] طريق النفْس وطريق العَلَف، فهذه كلُّها مجاري الدماء المسفوحة. وإنما [أُمرَ بالذبح][6] لقطْع تلك العروق، [لتسيل][7] الدماءُ التي إذا وَجَدَتْ طريقاً [انسفحَتْ][8]، لأنها في الأصل كانت جاريةً في البدن كالجداول. وليست تلك دماء اللحم، إنما هي دماء العروق تجري [في][9] الطّبْع، وأصلُها من المعدة، من مستقرِّ العدو، فحُرِّمَتْ لهذه العلة. وإنما حرَّم اللهُ تعالى [الدمَ][10] المسفوح في تنزيله، لا الدم الذي في اللحم والكبد والطّحال، قال رسول الله ﷺ: «أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمَان: فأما الميتتان فالجرادُ والحوتُ، وأما [الدمان][11] فالطِّحال والكبدُ»[12]. [فهذا تَحقُّقُ ما قلنا من العلة أن الطِّحال والكبدَ][13] دماؤهما كدماء اللحم، وأن دماء العروق [إنما تجري من][14] مستقر العدوّ، فنجاسته ورجاسته من قبَل العدو. والجرادُ والحوتُ لا دماءَ لهما، فموتهما لا يحرّمُهما علينا، لأنه ليس هَناك عروق يجري فيها [الدماء][15]، وإذا خرج الروحُ من قَبْل جريْه جمَدَ فيه، ودمُ السمك يبيضُّ إذا أصابته الشمس، ذلك [لتعلم][16] أنه ليس دَمَ الطّبع ودمَ العروق، [والله أعلم][17].

---

(1) مطموسة في: أ.
(2) في "أ" و"ت": جاري.
(3) في ت: وإذا.
(4) في ت: يدلي.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في ت: الذبح.
(7) في أ: ليسيل.
(8) في أ: انفسحت.
(9) في ت: من.
(10) غير موجودة في: ت.
(11) مطموسة في: أ.
(12) رواه أحمد وابن ماجة والدارقطني والبيهقي والشافعي (انظر: *نيل الأوطار*: 8/ 147- 148).
(13) غير موجودة في: أ.
(14) مطموسة في: أ.
(15) في ت: الدم.
(16) في ت: ليُعلم.
(17) غير موجود في: أ.

ذكر علة تحريم الذهب والحرير على [الرجال][1]

[و][2] أما علة تحريم الذهب والحرير على الرجال، فمن أجل أن الله تعالى وصف أهل الجنة، فقال: ﴿يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾[3]. فإذا [لَبِسَهما][4] في الدنيا، كان كالمباهي لأهل الجنة في الدنيا. وكيف يَحْسُن المباهاةُ بِعَبْدَ غريق في الذنوب والآثام، وعاقبةُ منتهاه إليه؟! والذهبُ والحريرُ من لباس الفراعنةً والجبّابرة [و][5] الذين [تَعَجَّلُوا][6] طيباتهم في حياتهم الدنيا واستمتعوا بهاَ. ألا ترى إلى قوله تعالى: "قل لبني إسرائيل لا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تركبوا مراكبَ أعدائي، فتكونوا أعدائي، كما هم أعدائي"[7]؟! [فالتشبُّهُ][8] بأعداء الله، و[التَّزَيّي بزيِّهم][9]، مما يُغَيِّرُ القلب ويُفسده. و[كذلك][10] قال: "من تَشَبَّهَ بقوم فهو منهم"[11]. [وإنما حلّ][12] ذلك للنساء، لأن ذلك [حلْيَتُهنَّ][13] وزينتُهُنَّ، فلم [يمنعهن][14] من ذلك، لأنه [حق من][15] [الحقوق][16]. وإنما تتزين المرأةُ وتتحلَّى، لعفَّة زوجها، ولتقيه فتنةَ

(1) في ت: الرجل.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) الحج: 23، وفاطر: 33.
(4) في ت: لبسها.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في ت: يجعلوا.
(7) لم أقف عليه.
(8) في ت: فالتشبيه.
(9) في ت: التزيُّن بزيِّنهمْ.
(10) في ت: لذلك.
(11) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (انظر: المغني: الباب الثالث من "كتاب أسرار الحج": 1/ 318).
(12) مطموسة في: أ.
(13) في ت: حليهن.
(14) في ت: يُمْنَعْنَ.
(15) في ت: خوف.
(16) في أ: العقوق.

النســاء. والرجلُ يتكبـر ويبـغي، و[يتطاول بلُبْسهَا][17]. و[نَهْمَاتُ][18] الرجـال [مُشتَّتةٌ][19] في أشياء كـثيرة، و[نَهْمَاتُ النِّسْوَةِ][20] في الرجـال. فـإذا وَجَدْنَ مـا [يَبْعين][21]، اكْتَفَيْنَ. ولـم يُلْزَمُ الزوج أن يتحلى لها، ويتزينَ بالذهب. وأما المرأة، فمن حق الزوج عليها أن تتزين وتتحلى، و[تتشوفَ لعفة][22] الزوج. وكذلك العلَّة في النهي عن الشُّرْب في آنية الذهب والفضة، وافتراش الحرير والدِّيباج، لأن ذلك [كلَّه][23] فعْلُ الفراعنة والجبابرة، ومن أثر الحياة الدنيا. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «من تشَبه بقومَ فهو منهم»، وبإسناده قال: «[نهى][24] رسـول الله ﷺ عن أن [يُلْبَس][25] الحريرُ والديباجُ، وعن أن [يجلس][26] عليه، وعن الشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكلَ فيهما»[27]. قال: «وهذا من جيد الحديث». وقد نظرنا في عامة الروايات، فلم نجد [ذكْرَ][28] الافتراش إلا في هذا الحديث، وأكثر ما وجـدنا في الافـتـراش [عن شَهْر بنَ حَوْشَب: قلت][29] [لعبيدة: «افتراشُ الحرير والديباج كلُبْسه؟» قال: «نعم»[30]][31].

(17) مطموسة في: أ.

(18) في ت: لهمات.

(19) غير واضحة في: ت.

(20) في ت: لهمات النساء.

(21) في ت: يكفين.

(22) في ت: تتشوق لعلّة.

(23) غير موجودة في: أ.

(24) في ت: نهانا.

(25) في ت: نلبس.

(26) في ت: نجلس.

(27) أحاديث النهي عن لبس الحرير والديباج وعن الجلوس عليهما وعن الشرب والأكل في آنية الذهب والفضة كثيرة، أهمها ما رواه البخاري في "كتاب الأطعمة" برقم 5006 وفي "كتاب الأشربة" برقم 5201 من صحيحه، ومسلم في "كتاب اللباس والزينة" برقم 3850 من صحيحه، وأبو داود في "كتاب الأشربة" برقم 3235 من سننه، وأحمد في "مسند الشاميين" برقم 16230، وفي "مسند الكوفيين" برقم 17900، وفي" باقي مسند الأنصار" بأرقام 22182، و22311 و24723 من مسنده.

(28) غير موجودة في: ت.

(29) غير موجودة في: ت.

(30) الأحاديث المنسوبة إلى شهر بن حوشب جزم الصغاني بأنها كلها موضوعة (انظر: كتاب *الموضوعات*: 9).

(31) في ت: قال افتراش الحرير كلبسه.

ذكر علة [تحريم][1] جر الازار خيلاء

[وأما علة جرِّ الإزار خُيلاء][2]، فإن [الله][3] تعالى: العزُّ [إزارُه][4]، والكبرياءُ رداؤه. فجرُّ الإزار خيلاءَ و[فَخْراً][5] حرامٌ. واحتجبَ بالكبرياء، [فالفاعلُ][6] لهذا مُتَمَثِّلٌ به. فلذلك قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبهُ خيلاءَ، لم ينظر اللهُ بوجهه الكريم إليه يوم القيامة»[7]، لأنه ضاهاه، [وهذا من البَطَر. و][8] عن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى من يجر ثوبه خيلاء، [و][9] جَرَّ إزارَهُ بطراً»[10]، [و][11] عن رسول الله ﷺ [قال][12]: «يقول اللهُ تعالى: أربعةٌ لي، فمن نازعني فيهن، [كَبَبْتُهُ][13] في النار: الكبرياء، والعظمة، والفخر، والقَدَر سرِّي»[14].

(1) غير موجودة في: أ.
(2) غير موجودة في: ت.
(3) في أ: لله.
(4) غير موجودة في: أ.
(5) في أ: فخر.
(6) في ت: والفاعل.
(7) هو جزء من حديث رواه أبو داود والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح (انظر: *دليل الفالحين*: 3/ 289- 291).
(8) غير موجودة في: ت.
(9) في ت: أو.
(10) جمع الحكيم الترمذي بين حديثين في حديث واحد، فالأول بلفظ: "لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء" رواه مسلم، والثاني بلفظ: "لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا" متفق عليه من حديث أبي هريرة (انظر: *المغني*: "كتاب ذم الكبر والعجب": 3/ 358).
(11) غير موجودة في: ت.
(12) غير موجودة في: ت.
(13) في ت: كبيته.
(14) وجدت أجزاء هذا الحديث القدسي قد رويت مفرقة، فقد جاء في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شيئاً منهما ألقيته في جهنم" رواه أبو داود في "كتاب اللباس" برقم 3567 من سننه، وابن ماجة في "كتاب الزهد" برقم 4164 و4165 من سننه، وأحمد في "باقي مسند المكثرين" بأرقام 7078 و 8539، 8991 و 9143 و9326 من مسنده. وقوله: "والقدر سري" هو بنحو قوله ﷺ: «وإذا ذكر القدر فأمسكوا» أخرجه الطبراني وابن حبان في *الضعفاء* (انظر: *المغني*: "كتاب التوحيد والتوكل": 4/ 265).

ذكر [علة][1] قول رسول الله ﷺ: إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره ولا بشره شيئاً[2]

فمن أجل أن الأُضْحِيَةَ فدْيَةُ النفس، [ورثناها][3] في [المِلَّة][4] عن خليل الله صلوات الله عليه [وسلامه][5]، [فَدَى][6] ابنه من الذبح بكبش. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «إنه يُغْفَرُ له مع أول دُفْقَة من دمها»[7]؟! فهذه فديةُ النفس الخائنة التي أثقلتْ نفسَها بالذنوب، فاستوجبَت النارَ، فوُضِعَ لها هذه الأضحيةُ سبباً لنجاتها، وذلك قول رسول الله ﷺ: «من ضحَّى محتسباً [بنفقته][8]، طَيِّبَةً بها نفسُه، كانت [فداءَهُ][9] من النار»[10]. [وإذا][11] دخلت [الأيامُ][12] المعلومات، [فمن شأن القوم أن يُكثروا من ذكر الله][13]: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾[14]. كذلك قال [تعالى][15] في تنزيله، وكان [دخولَ العَشْرِ][16]، مُفْتَتحاً لارتياد أضاحيهم و[كَثْرَة][17] التكبير والذكر [والتحليل][18] للهَدْي تَعظيماً لشعَائر الله [تعالى. قال الله عَز وجل: ﴿ومن يعظم شعائر الله][19] فإنها من تقوى

(1) غير موجودة في: أ.
(2) رواه مسلم عن أم سلمة مرفوعاً (انظر: *رياض الصالحين*: 482، *ودليل الفالحين*: 4/ 537- 538).
(3) في أ: وتناها.
(4) في ت: المسألة.
(5) غير موجودة في: ت.
(6) في أ: فداء.
(7) لم أقف عليه.
(8) غير موجودة في: أ.
(9) في "أ" و"ت": فداؤه.
(10) لم أقف عليه.
(11) في ت: فإذا.
(12) في ت: أيام.
(13) غير موجودة في: ت.
(14) الحج: 28.
(15) في ت: جل وعز.
(16) غير موجودة في: أ.
(17) في ت: كثرت.
(18) في ت: كالتقليد.
(19) غير موجودة في: أ.

القلوب﴾[20]، وقال تعالى: ﴿فهو خير له عند ربه﴾[21]. [فكانوا][22] إذا دخل العَشْرُ، [أعَدُّوها، فاشتروها، و][23] كان ذلك عندهم نذراً يجب الوفاءُ به. وقد [أعلمهم][24] رسولُ الله ﷺ أن من أراد أن يفعل ذلك ألاَّ يأخذ من شعْره وبشره شيئاً، كي يأخذ من الفداء بحظه، لأنه إذا لم يفعل ذلك، وضحَّى يومَ النَحر، لَمَ يدخل مازايله من شعره وبشره [منه شيء][25] [في][26] الفداء. وقد كان شريك البدن في الذنوب والخطيئات، فبقي الزائلُ من شعره و[بشره][27] مع دَنَسَ الذنوب، ولم [يَحتَظ][28] من الفدية حظَّها. فلأهل الفهم عن الله تعالى في هذا نظرٌ لطيف، [يتفقَّدونَ][29] مثلَ هذه الأشياء، فاليسيرُ من أمر [الذنب][30] عظيمٌ قَدْرُهُ عند الله [تعالى][31]. ألا ترى أن الميتَ إذا كان طويلَ الأظفار، [و][32] وَافِر الشعر، لم [يُجزَّ][33] منه شيء، ولم يُؤْخَذ [منه شيءٌ][34]. وإذا زايله شيءٌ، ضُمَّ إليه، لأنه البشرى؛ [إنما][35] [يبشَّر][36] به المؤمنون عند الموت، قد عمَّتْ جميعَ الجسد، فوقع لكل شعرة ولكل ظُفْر منه حظٌّ، فاحتظى كلُّ شيء [منه][37] بحيَاله من [كرامة][38] الله تعالى و[بُشراه][39] ورحمته، فكذلك إذا [دخل][40] مُفتَتَحُ أيام الذبح، وهي [أيامٌ][41] معلوماتٌ مشهوراتٌ عند الله، ونوى أن يذبحَ، توقَّى أن يُزيلَ شيئاً من جسده عن [نفسه][42] حتى لا يُحْرَمَ الفداءَ والكرامةَ من الله [تعالى][43] والرحمةَ.

تمَّ [الكتاب][44] بحمد الله وعونه، [فنسأله التوفيق لصالح العمل . . . . . .
محمد القُمّي الأنصاري][45].

---

(20) الحج، 32.
(21) الحج، 30.
(22) في ت: وكانوا.
(23) مطموسة في: أ.
(24) في ت: علمهم.
(25) غير موجودة في: أ.
(26) في ت: من.
(27) في أ: بشر.
(28) في ت: يحيط.
(29) في ت: يفتقدون.
(30) في أ: الدين.
(31) غير موجودة في: ت.
(32) غير موجودة في: ت.
(33) في ت: يجزل.
(34) غير موجودة في: أ.
(35) في ت: بما.
(36) غير واضحة في: ت.
(37) غير موجودة في: ت.
(38) في ت: ذكر.
(39) في ت: بسراه.
(40) في ت: أدخل.
(41) غير موجودة في: ت.
(42) في ت: شعره.
(43) غير موجودة في: أ.
(44) في ت: كتاب العلل.
(45) غير موجودة في: "ت"، ومكان البتر مطموس في: "أ".

الفهارس العامة

ثبت الشواهد القرآنية

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾	الأنفال: 41	198، 199
﴿لولا كتاب من الله سبق﴾	الأنفال: 68	197
﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾	الأنفال: 69	197
﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾	التوبة: 103	185، 186، 190
﴿عزيز عليهم ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾	التوبة: 128	116
﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾	يونس: 58	233
﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾	هود: 3	156
﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾	هود: 48	181
﴿إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله﴾	هود: 72-73	160
﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾	هود: 80	160
﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾	هود: 114	93، 110
﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾	يوسف: 53	101
﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾	الإسراء: 30	77
﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾	الإسراء: 35	212
﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾	الإسراء: 78	122، 123
﴿وكبره تكبيرا﴾	الإسراء: 111	97
﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾	مريم: 15	114
﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني مباركا﴾	مريم: 30	115
﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾	مريم: 33	115
﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾	مريم: 62	177
﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تعرى﴾	طه: 119	207
﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾	الأنبياء: 35	69، 84

ثبت الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

ثبت الآثار

الأثر	الصفحة
إذا لم يقف بعرفات فقد فاته الحج (علماء السلف)	204
إذا نام الإنسان عرج بنفسه حتى يؤتى بها إلى العرش (أبو الدرداء)	124
أجد في التوراة أن الرجل من هذه الأمة ليخر ساجدا (كعب الأحبار)	140
ألا أخبركم بخصال كان عليها إخوانكم . . . (أبو عتبة)	219
أمة محمد ﷺ صفوة الرحمن (التوراة)	145
إن أبا بكر وعمر سهلان مختاران . . . (علي بن أبي طالب)	170
أنت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي (عيسى عليه السلام)	115
إن في هذه الأمة من يكون عمل يومه أثقل من سبع سماوات (عبد الله بن مسعود)	112
إن للإبنة النصف وما بقي فللعصبة . . . (عبد الله بن عباس)	227
إن الله تعالى لم يوصل إليه دون حجبه غير ثلاثة : الرحمة . . . (الحسن البصري)	77
إن الله تعالى ليعجب من صلاة الجماعة (عبد الله بن عمر)	140
إن لله ملكا يسمى شمخايل . . . (عبد الله بن عباس)	136
أيكم يخبرنا ما للأخت مع الإبنة . . (عبد الله بن الزبير)	228
الإيمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين . . . (علي بن أبي طالب)	77
الإيمان قول وعمل (الحسن البصري)	71
تعرج الأرواح في منامها فما كان منها طاهرا . . . (عبد الله بن عمر)	124
تقدم فلولا أنها سنة ما قدمت (الحسين بن علي)	166
ذو السهم أحق ممن لا سهم له (عبد الله بن مسعود)	228
الرحمة تنزل على الإمام ثم تأخذ من خلفه . . . (عبد الله بن عباس)	148

ثبت الأعلام

ثبت الأماكن

ثبت المصادر التي ذكرها الحكيم الترمذي

المصادر والمراجع المعتمدة
في الدراسة والتحقيق

I. المصادر والمراجع المنشورة:

1- *الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة* لعبد الحي اللكنوي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

2- *الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية* ضمن المجموعة الرابعة من *رسائل* الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/ 1994م.

3- *أحكام القرآن* لابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، 1394هـ/ 1974م.

4- *إحياء علوم الدين* للإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

5- *أخلاق أهل القرآن* لمحمد بن الحسين الآجري، حققه وخرج أحاديثه بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م.

6- *الأدب في الدين* للإمام الغزالي، ضمن المجموعة الخامسة من *رسائل* الإمام الغزالي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1988م.

7- *اصطلاحات الصوفية* لعبد الرزاق الكاشاني، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1404هـ/ 1984م.

8- *اصطلاحات الصوفية* لمحيي الدين بن عربي، في ذيل كتاب *التعريفات* لأبي الحسن الجرجاني، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971م.

9- *الأعلام* للزركلي، الطبعة الثانية، [illegible]

10- *آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان* لإسحاق بن الحسين، اعتناء الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.

11- *الأكياس والمغترون* للحكيم الترمذي، دراسة وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح والسيد الجميلي، دار الجيل - بيروت والمكتب الثقافي- القاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ/1990م.
12- *بدوّ شأن أبي عبد الله* للحكيم الترمذي، منشور ضمن كتاب *ختم الأولياء*، تحقيق الدكتور عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ت.
13- *بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب* للحكيم الترمذي، تحقيق الدكتور نقولا هير، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1377 هـ/ 1958م.
14- *تذكرة الأولياء* لفريد الدين العطار، مطبعة حاجي، د. ت.
15- *تذكرة الحفاظ* للإمام شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
16- *التعرف لمذهب أهل التصوف* للكلاباذي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ت.
17- *تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة* لابن عراق، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ.
18- *جامع كرامات الأولياء* ليوسف النبهاني، المكتبة الشعبية، بيروت، الطبعة الثانية، 1394 هـ / 1974م.
19- *جواهر القرآن* للإمام الغزالي، تحقيق الدكتور محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1990م.
20- *حجة الله البالغة* للإمام الدهلوي، قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكّر، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.
21- *حقيقة مذهب الاتحاديين* لابن تيمية، مطبعة رشيد رضا، د. ت.
22- *الحكيم الترمذي الفقيه الناقد* لكامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م.
23- *حلية الأولياء* لأبي نعيم.

24- *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين* لمحمد بن علان الشافعي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
25- *روضة الطالبين وعمدة السالكين* للإمام الغزالي، ضمن المجموعة الثانية من *رسائل* الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م.
26- *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء* لابن حبان البستي، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامس الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ/ 1997م.
27- *رياض الصالحين من كلام سيّد المرسلين* للإمام النووي، تحقيق عبد اللّه أحمد أبو زينة، وكالة المطبوعات - الكويت ودار القلم- بيروت.
28- *شرف العقل وماهيته* للإمام الغزالي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، منشور مع كتاب *شرف العقل وماهيته* للمحاسبي، وسيأتي توثيقه.
29- *شرف العقل وماهيته* للإمام المحاسبي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.
30- *الشفا بتعريف حقوق المصطفى* للقاضي عياض، تحقيق محمد أمين قره علي وأسامة الرفاعي وجمال السيروان ونور الدين قره علي وعبد الفتاح السيد، قدم له عبد الوهاب دبس وزين وعبد الكريم الرفاعي، دار الفيحاء، عمّان، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1986م.
31- *صفة صلاة النبي ﷺ* لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة السادسة، 1391هـ.
32- *صفوة الصفوة* لابن الجوزي، حققه وعلق عليه محمود فاخوري، خرج أحاديثه الدكتور محمد قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/ 1979م.
33- *طبقات الشافعية الكبرى* للسبكي. مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى، د.ت.
34- *طبقات الصفوية* للسلمي، مطبعة كتاب الشعب، د.ت.
35- *الطبقات الكبري* للشعراني، مطبعة صبيح، د.ت.
36- *علم الحديث* لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1989م.

37- *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان* لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت.

38- *فضائل القرآن* لابن كثير، تحقيق زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

39- *قصص الأنبياء* لابن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث، د. ت.

40- *الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين* للإمام الغزالي، ضمن المجموعة الخامسة من *رسائل* الإمام الغزالي، وقد سبق توثيقها.

41- *كيمياء السعادة* للإمام الغزالي، ضمن المجموعة الخامسة من *رسائل* الإمام الغزالي، وقد سبق توثيقها.

42- *لباب النقول في أسباب النزول* للإمام السيوطي، بذيل *تفسير الجلالين*، دار الكتب العلمية، بيروت.

43- *مدخل إلى مقاصد الشريعة* للدكتور أحمد الريسوني، مطبعة التوفيق، الرباط، الطبعة الثانية، 1417هـ/ 1997م.

44- *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع* لصفي الدين البغدادي، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1373هـ/ 1954م.

45- *المصنوع في معرفة الحديث الموضوع* لعلي القاري الهروي، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1404هـ/ 1984م.

46- *معارج القدس في مدارج معرفة النفس* للإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1988م.

47- *معجم مصطلحات الصوفية* للدكتور عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م.

48- *المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار* لزين الدين العراقي بذيل كتاب *الإحياء* للغزالي، وقد سبق توثيقه.

49- *مفتاح السعادة* لطاش كبرى زاده، مطبعة حيدر أباد، الهند، د. ت.

50- *المنار المنيف في الصحيح والضعيف*، لابن قيم الجوزية، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة السادسة، 1414هـ/ 1994م.

51- *منازل العباد من العبادة* للحكيم الترمذي، دراسة وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، المكتب الثقافي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م.
52- *الموافقات في أصول الأحكام* للإمام الشاطبي، دار الفكر، د. ت.
53- *موسوعة الحديث الشريف لبرنامج الحاسب*(1991-1996)، الإصدار الأول (1.2)، شركة صخر.
54- *الموضوعات* لأبي الفضائل الصغاني، منشور مع كتاب *الدر الملتقط في بيان الغلط* للمؤلف نفسه، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م.
55- *ميزان العمل* للإمام الغزالي، كتب هوامشه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م.
56- *نتائج الأفكار القدسية* للشيخ زكرياء الأنصاري، طبعة بولاق، 1290هـ.
57- *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي* للدكتور أحمد الريسوني، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، توزيع المكتبة السلفية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1990م.
58- *نفحات الأنس* لعبد الرحمن الجامي، مطبعة كلكتا، 1858م.
59- *نوادر الأصول في أحاديث الرسول* للحكيم الترمذي، استنبول، 1294هـ.
60- *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار* للإمام الشوكاني، دار القلم، بيروت، د. ت.
61- *هداية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين* لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1955م.

II. المصادر المخطوطة:

62- *إثبات العلل* للحكيم الترمذي، مخطوط برلين، رقم 3504، ومخطوط ولي الدين، قم 770.
63- *ختم الأولياء* للحكيم الترمذي، مخطوط ولي الدين، رقم 770.
64- *شفاء العلل* للحكيم الترمذي، مخطوط ولي الدين، رقم 770.
65- *علل العبادات* للحكيم الترمذي، مخطوط ولي الدين، رقم 770.

66- *رسالة في الإيمان والإحسان والإسلام* للحكيم الترمذي، مخطوط ولي الدين، رقم 770.

III. المراجع الأجنبية :

67- Massignon (Louis), *Essais sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Paris, Librairie orientaliste, 1992.

68- Yahya (Othman), "l'oeuvre de Tirmidhi (essai bibliographique)",*Mélanges Louis Massignon*, T.III, Damas, Publié sous le patronage de l'Institut français de Damas, 1957.

69- Gobillot (Geneviève), "Un penseur de l'amour (*Hubb*) le mystique Khurasanien al-Hakim at-Timidhi", *Studia Islamica*, T. LXXIII, Paris, 1991.

70- Gobillot (Geneviève), "Patience (*sabr*) et rétribution des mérites, gratitude (*shukr*) et aptitude au bonheur selon al-Hakim al-Tirmidhi", *Studia Islamica*, T.LXXIX, Paris, 1994.

72- Radtke (Bernd), *Al-Hakim al-Tirmidi, ein islamischer Theosoph des 3/9. Jahrhunderts*, Ereiburg 1980.

73- Radtke (Bernd), *Drei Schriften des Theosophen von Tirmid*, Beirut, 1996.

المحتويات

الفهارس العامة

منشورات كلية الآداب
والعلوم الإنسانية- الرباط

نصوص ووثائق
Textes et Documents

أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي*، تحقيق أحمد التوفيق، 1984 (ط.2، 1997).

بحوث ودراسات
Essais et Etudes

محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية (صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة)*، 1991.

أحمد الطرايسي أعراب، *الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية بالمغرب، من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين للميلاد*، 1992.

أحمد المتوكل، *آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي*، 1993.

عمر أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، 1993.

أحمد شوقي بنبين، *دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي*، 1993.

المكي المروني، *البيداغوجية المعاصرة وقضايا التعليم النظامي*، 1993.

سعيد بنسعيد العلوي، *أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة*، 1995.

عبد المجيد القدوري، *سفراء مغاربة في أوربا (1910-1922): في الوعي بالتفاوت*، 1995.

فاروق حمادة، *منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفًا وتحقيقًا*، 1995.

المكي المروني، *الإصلاح التعليمي بالمغرب*(1956-1994)، 1996 .

مصطفى بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني أحسن* (1860-1912)، 1996 .

محمد المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، 1996 .

نصوص مترجمة
Traductions

نظامي عروضي سمرقندي، *جهار مقاله (أربع مقالات)*، ترجمه عن الفاسية محمد بن تاويت، 1982 .

جورج ماطوري، *منهج المعجمية*، ترجمة وتقديم عبد العلي الودغيري، 1993 .

سوزان ميلار، *صدفة اللقاء مع الجديد، رحلة الصفار إلى فرنسا* (1845-1846)، تعريب خالد بن الصغير، 1995 .

فوزي عبد الرزاق، *مملكة الكتاب: تاريخ الطباعة في المغرب* (1865-1912)، تعريب خالد بن الصغير، 1996 .

دنييل شروتر، *تجار الصويرة، المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب*(1844-1886)، تعريب خالد بن الصغير، 1997 .

مايكل ريفاتير، *دلائليات الشعر*، ترجمة محمد معتصم، 1997 .

بيبليوغرافيا
Bibliographie

محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، جزءان، 1983-1989 .

دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، 1961-1994 .

دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، ملحق 1995 .

دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، ملحق 1996 .

هذا الكتاب

إن كتاب إثبات العلل من أهم الكتب التي صنفت في القرن الثالث الهجري، حيث نجد مؤلفه الحكيم الترمذي، يفلسف الشريعة الإسلامية بالبحث عن أسرارها ومقاصدها، وهو بذلك يعتبر مؤسسا لفكر إسلاميّ قائم على أساس الإيمان الإسلامي المستند إلى العقل والعرفان حين يقوم بتحليل المسائل المعقدة في الشريعة التي أخذت شكلها النهائي في عصره. ولذلك، فإن أفكاره ونظرياته حول الشريعة وأسرارها من الأهمية بمكان ؛ لأنها تقف شاهدة في عصره على التجديد التاريخي الذي خدم به الشريعة ؛ مما يجعل ملاحظاته وتعليقاته الفلسفية والعرفانية تغني المناقشة الحالية التي تدور حول العلاقة بين الإيمان الشخصي لكل مسلم والأهمية الأساسية للشريعة في التنظيم الإسلامي لحياة المسلم.

ب. م. فايتر